تنبيه الفكر إلى

حقيقة الذكر

بحث علمي يكشف عن فضائل الذكر وحقيقته الشرعية

الله

محمد أديب كلكل

ويتضمن كلمة لصاحب الفضيلة الأستاذ الجليل
الشيخ محمد الحامد



أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ

تنبيه الفكر إلى

حقيقة الذكر

بحث علمي يكشف عن فضائل الذكر وحقيقته الشرعية

تنبيه الفكر إلى

حقيقة الذكر

بحث علمي يكشف عن فضائل الذكر وحقيقته الشرعية

محمد أديب كلكل

ويتضمن كلمة لصاحب الفضيلة الأستاذ الجليل

الشيخ محمد الحامد



الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م

الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر : بحث علمي يكشف عن فضائل الذكر وحقيقته الشرعية / محمد أديب كلكل

٠ ـــ ط. ٢. ـــ حماة : توزيع المكتبة العربية ، ١٩٩٤ ٠ ـــ ١٩٩ ص. ؛ ٢٤ سم.

١ ـــ ٢١٨,٢ ك ل ك ت ٢ ـــ العنوان

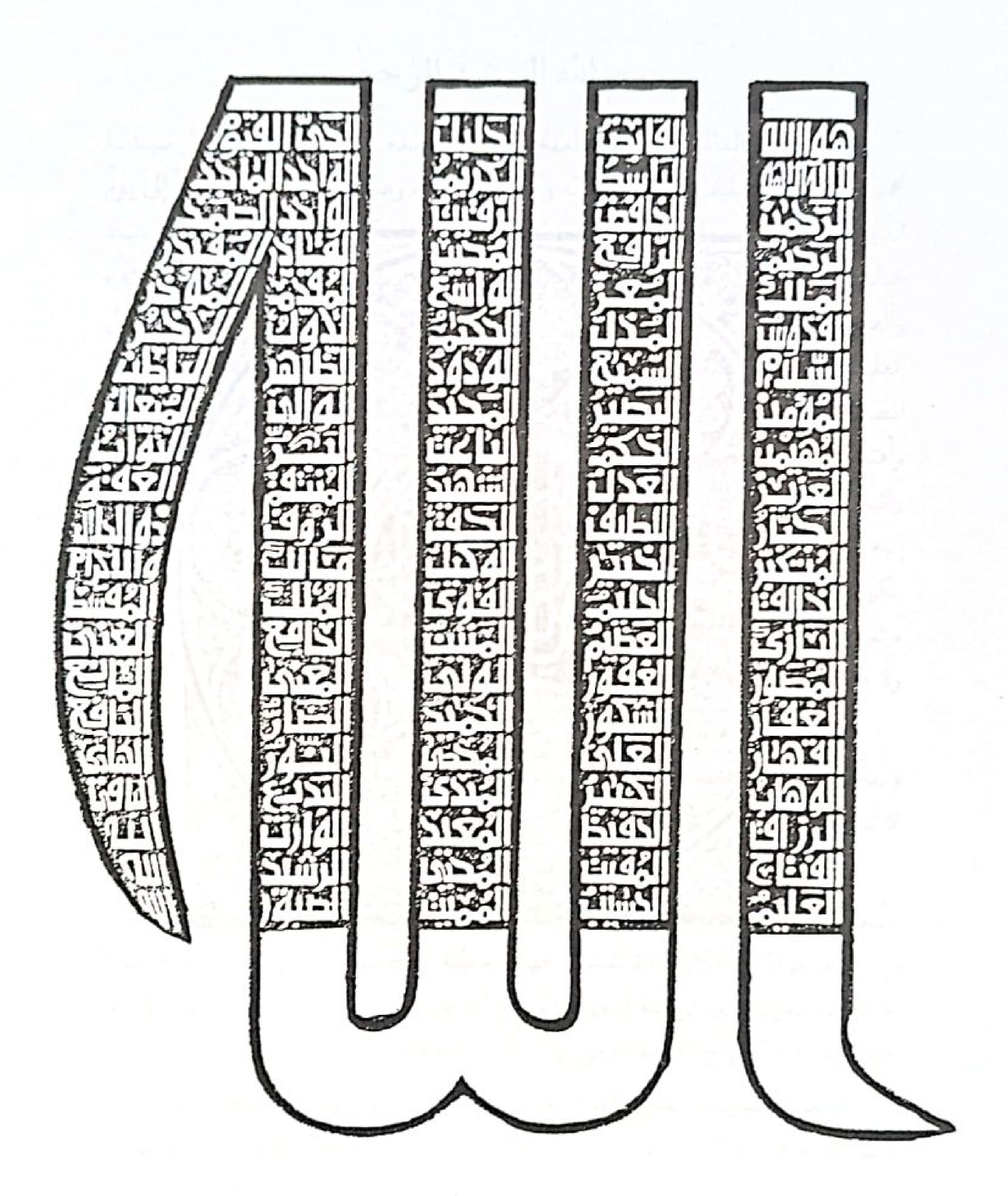
٣ ـــ كلكل

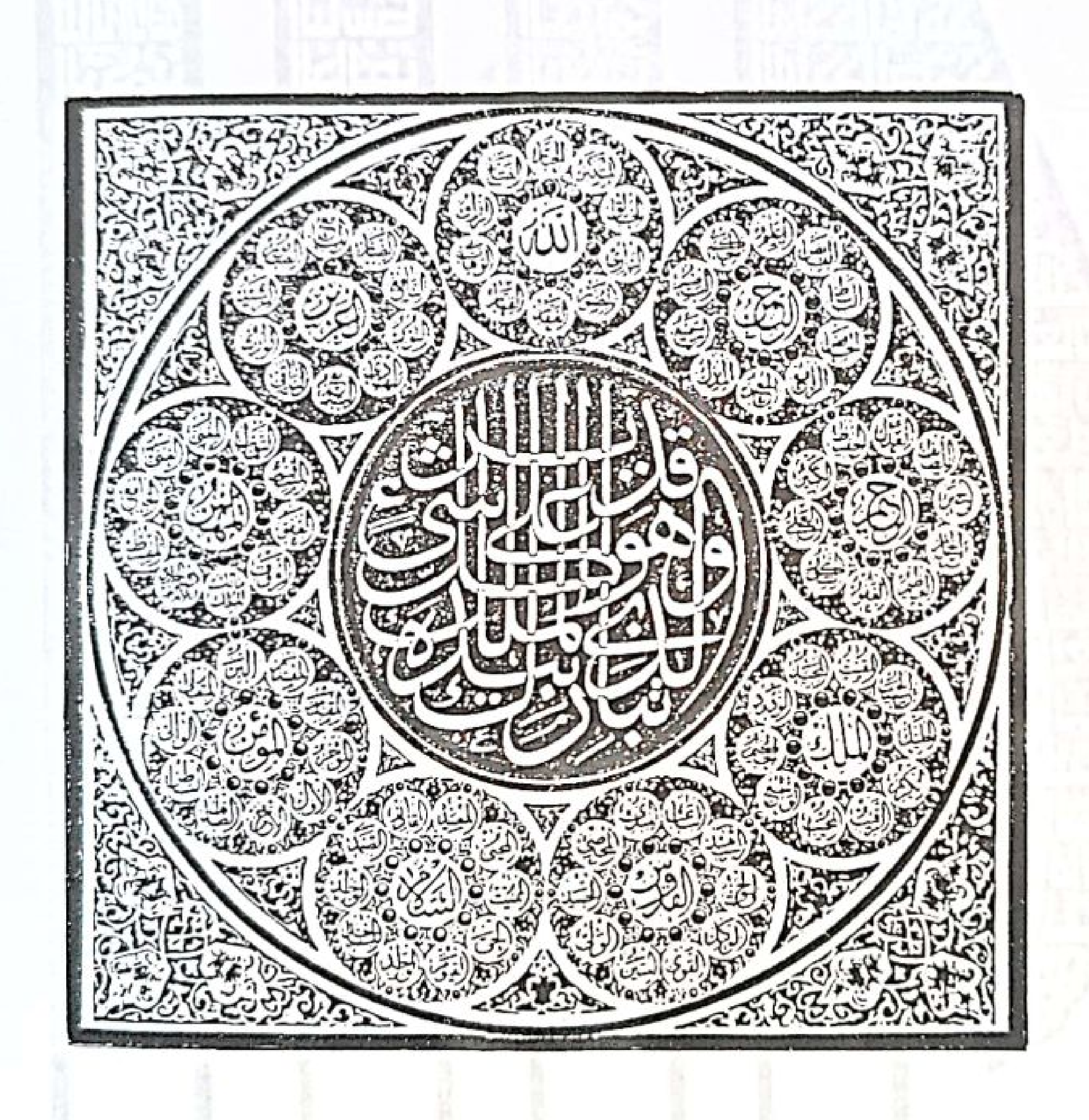
مكتبة الأسد

ع ـــ ٥١٣ / ٥ / ١٩٩٤

توزيع : المكتبة العربية ـ حماة ـ سورية

طباعة : المطبعة العلمية ـ دمشق ـ سورية





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة وسلاماً يليقان بجلاله وجماله وكماله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد : فإني - والحمد لله - منذ سنّ مبكرة متعلّق بذكر الله تبارك وتعالى وارتياد مجالسه ، والتنعم في رياضه ، لا أنقطع عنها غالباً . أذكر كما يذكر أهل تلك الحلقات ، وألفظ كما يلفظون ، وأتحرك كما يتحركون . وسرعان ما تنبهت - عن طريق بعض أهل العلم ممن كان يقيّم تلك المجالس - إلى أن كثيراً من تلك الألفاظ المحرّفة ، والحركات المصطنعة لا يرضاه الشرع ولا يقرّه ، بل ينكره أشد الإنكار . وبدأت أبحث عن الحقيقة ، وأفتش عنها بين ثنايا الكتب ، حتى انكشفت واتضحت وضوح الشمس في رابعة النهار ، وانبعث شعاع اليقين ليمزّق حجب الجهالة والتّرهات بنور العلم . وأخذت أُعلِن ما وصلتُ إليه من حق يقيني ، وأتحدث عنه ، وأدلّ عليه . وأبيّن أن التقرب إلى الله تعالى ينبغي أن يكون بمحض المشروع ، فكما يجب أن يكون العمل مشروعاً باعتبار ذاته ، يجب أن يكون مشروعاً باعتبار كيفيته وأدائه كما يفيده حديث « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » .

وفوجئت بأن هناك من يدعي أدلة تدحض ما وقفت عليه ، وتردّ ما وصلت إليه ، وبدأت أقارن بين هاتيك وتلك ، حتى تمكنت من الحق الذي لا لبس فيه ، واليقين الذي لا شك معه .

واتّهمتُ - أثناء ذلك - من قِبَلِ بعض الجاهلين المتعصبين للأشخاص والآراء ممن يتّسمون بسيما أهل العلم - بأني خصم لدود لأهل الذكر ، وعدو للتصوف وأهله ، وأنّ لديّ نزعات منحرفة ، وأفكار شاذّة تتبناها جهاتٌ معيّنة . فأصبتُ من جرّاء ذلك بأزمة نفسية خانقة ، وشعرت كأني الريشة في مهبّ الرياح العاصفة تُلقي بها هنا وهناك ، أو الكرة في خضمٍّ تتقاذفها الأمواج العاتية فترمي بها في كل ناحية وصَوْب .

فاتصلت بسيدي الشيخ محمد الحامد عليه الرحمة والرضوان ، وشرحت له أمري ، وصارحتُه بما استقرّ في فكري ، وما وصلتُ إليه من يقين . فوضّحَ لي بعض الأمور ،

وكشف لي الحقيقة ، وصارحني بأن الذي أشكوه وآلم منه ، قد مرَّ بـه هو في مرحلـة معينـة من مراحل دراسته ، وشجعني على متابعة البحث ، وتمحيص الأمر تمحيصـاً علميّـاً لئلاّ يردّ عليَّ رادّ . فجمّعت أقوالاً كثيرة لعلماء أفاضل ، تثبت الحقيقـة ، وتنير السبيل . فعرضتهـا عليه رحمه الله ، فسُرَّ بها سروراً عظيماً ، وكان مما كتبـه إليّ بخطـه : « ... أمـا بعـد : فقـد أجدْتَ وأفدتَ فيا كتبت أيها الأخ الناصح ، وإن هذا الذي تدعو إليه جماعة الذاكرين هو المهيع السليم ، والصراط المستقيم ، والمحجّة البيضاء الواضحة ، وجدير بكل مشفق على دينه من النقص أن يعتدّ بهذه النصيحة ، ويُحلّها محلّها من القبول ثم العمل .. » .

وتـابعت البحث أكثر وأكثر ، فوقع في يـدي كتـاب فيـه كلام غير سليم . وأقوال غير سديدة بشأن تلك الألفاظ المحرّفة ، والحركات المصطنعة . فأطلعت فضيلـة الشيخ عليـه ، فكتب كلمة بعنوان « المنع من الذّكر المحرّف » .

وفي عـام - ١٩٦٧ م - كُتب لتلـك الأقوال أن تخرج مطبوعـة في كتـاب يحمـل اسم : « تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر » مضمّناً كلمة الشيخ المـذكورة بعـد استئـذانـه بطبعهـا مع الكتاب .

وكنت أقصد في ذلك فريقين من الناس :

الفريق الأول : الذي هجر ذكر الله تعالى ، وحـارب أهلـه بحجّـة مطـاردة البـدع ، فقسى منه القلب ، وأظلم منـه الفؤاد ، وثقلت منـه الروح ، واستولى عليـه حب الـدنيـا ، ووقع أسير مجالس اللهو واللغو ، ليجد الأدلة النـاصعـة والبراهين القـاطعـة التي تنبهـه من غفلته ، وتأخذ بيده إلى النور حيث مجالس الذكر الشرعي التي تحفّها الملائكة ، وتغشـاهـا الرحمة ، وتتنزل عليها السكينة ، ويذكر الله أهلها فيمن عنده .

والفريق الثاني : هم الأخـوة المؤمنـون الصـادقـون الـذين أشربت أفئـدتهم حـلاوة الإيمان ، وتولهت قلوبهم بذكر الله ، ويهمهم أمر عبادتهم لأنهم يريـدون أن تكون موزونـة بميزان الشرع ، وأن يعبـدوا الله على علم وبصيرة ، ويحـاذروا الانحراف عن الجـادّة ، والانتصار للأهواء ، والتعصب للأشخاص ، لئلا يسيئوا إلى الـذكر ، ويشوّهوا حقيقتـه ، لأنهم أيقنوا أن معرفة الرجال بالحق هو الأصل ، لا الحق بالرجال .

وتلبية لرغبة الكثيرين أعدت طبع الكتاب مرة ثانية ليظهر بعد طول غياب ، وبعد أن أضفت إليه زيادات هامّة لا بدّ منها ، وفوائد نافعة إن شاء الله . ليتلقاها من كان ذا قلب حيّ أو ألقى السمع وهو شهيد .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفتح مسامع قلوبنا لذكره ، وأن يرزقنا طاعته وطاعة رسوله وعملاً بكتابه ، وأن يحفظنا من الزلل ومضلاّت الفتن والأهواء ، ونعوذ به عز وجل أن نشرك به شيئاً نعلمه ، ونستغفره لما لا نعلمه . وصلى الله وسلم وبارك على نور الأنوار ، وسرّ الأسرار ، وإمام الأبرار ، ما تعاقب الليل والنهار سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه .

المعتز بالله وحده

محمد أديب كلكل

أهمية ذكر الله تعالى

- الذكر وماهيته
- الذكر في القرآن الكريم
- الذكر في السنة النبوية
- الذكر في أقوال العلماء
- فوائد الذكر وثمراته
- الاجتماع على ذكر الله تعالى
- مشروعية الذكر في المساجد
- من آداب الذكر



الذِّكر وماهِيَّتُه

لقد أنعم الله تبارك وتعالى علينا بهذا الدين الإسلامي ، وجعله ديناً قِيَماً ، ديناً جمع بين الروح ومتطلباتها ، والجسد ورغباته ومتعلقاته ، ديناً جمع بين الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنْسَ نصيبَكَ من الدُّنيا وأَحْسِن كما أَحْسَنَ اللهُ إلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧/٢٨] .

وحثَّ الإنسان على سلامة الجسد من الأمراض ، فأباح له الطيبات من الرزق ، وأمره بالدواء والْحَجْر الصحي ، وحذره من إهماله ، أو التعرض لكل ما يودي به إلى الهلاك ، ولذا حرم عليه الخبائث ، وأعلم الإنسان أن هذا الجسد مطية إلى الآخرة ، وأنه مسؤول يوم القيامة عن جسده فيما أبلاه .

وكذلك اهتم بالروح اهتماماً كبيراً ، وحثَّ على تزكيتها وسلامتها وتنقيتها من أوضار المادّة ، وشجع على طهارتها من لوثات البهيمية ، وهيّأ لها علاجات روحية تقوم بالحفاظ عليها وتخلُّصها من أمراضها وعوائقها ، وإمدادها بطاقات فعَّالة تكسبها قوّة وإشراقاً وطهارة .

وبما أن الإنسان مركب من نوعين مختلفين ، وعنصرين متباينين : ماديّ أرضي وهو الجسم ، ومعنوي سماوي وهو الروح ، كان من رأفته سبحانه وتعالى بالإنسان أن هيأ لكلا النوعين غذاءه ، وأعدّ له وسائل قوّته ، ليحافظ على نمائه وقدرته وانطلاقه . فجعل للجسم غذاءً مادياً من نوعه لينمو ويشتد ويقوى ، ويقوم فيما يعود نفعه على الإنسان في هذه الحياة ، ومتى انقطع عنه ذبل وضعف ، وانحلت قوته ، وحدث من جراء ذلك اضطراب فيه ، وعجز عن القيام في المهمات المنوطة به . وإذا انقطع عنه نهائياً كان نصيبه الموت .

وكذلك الروح جعل غذاءها من نوعها لترتقي في معاريج الكمال ، وتحلّق في أجواء الصفاء ، وتستمد قوّة ونماءً ، وإشراقاً وطهارة ، وتلتحق بأفق ذلك العالم الروحاني الذي تعالى عن المادة وأوضارها ، وتصفو من شوائب الشهوات ، ورواسب الكدورات ،

وتتطهر من أدران الغفلات ، وترقى في مراقي الملأ الأعلى ، وتسبح في بحر ملكوت الله .
و إذا مُنعت غذاءها ، أو انقطع عنها كان نصيبها الذبول والاضمحلال ، ثم يتبع ذلك الموت المعنوي ، ويكون من وراء ذلك تردٍّ في عالم المادّة ، وركون إلى الشهوات ، وانغمار في حمأة الضلالات ، وانحطاطٌ إلى دركات البهيمية ، فيكون صاحبها حيواناً بمظهر إنسان ، وشيطاناً رجيماً :

﴿ إن هُم إلاّ كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤/٢٥] .

﴿ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرونَ أيَّان يُبعثونَ ﴾ [النَّحل : ٢١/١٦] .

وكان نقمة على نفسه وعلى بني جنسه ، وعنصراً فاسداً في مجتمعه .

إن العلاج الروحي الذي أعده الإسلام لصفاء الأرواح ونمائها وقوتها و إشراقها ، وغرس اليقظة الوجدانية في الضمائر ، وبعث الذكرى في النفوس والسرائر ، وقطع مادّة الغفلة عن الله ، ودوام مراقبته ، وبثِّ الطمأنينة في النفس الإنسانية ، ونبذ الهم والقلق اللّذين هما أعدى أعدائها ، إن ذلك العلاج هو ذكر الله عز وجل ، ودوام مراقبته ، واستشعار النفس علم الله المحيط بكل شيء كما قال عز وجل : ﴿ لا يعزُبُ عنهُ مثقالُ ذرّةٍ في السّموات ولا في الأرضِ ﴾ [سبأ : ٣/٣٤] . يعزُب : يغيب .

☆ ☆ ☆

ماهية الذكر : لو رجعنا إلى أيّ قاموس من قواميس اللغة العربية نجد أن :

ذكر الشيء ذكراً جرى على لسانه .

وذكر حق فلان : حفظه ولم يضيِّعه .

وذكر الله : استحضره في قلبه ، وحمده وأثنى عليه وسبَّحه ومجَّده .

وذكر النعمة : شكرها .

وذكر الأمر ذكراً ، وذكرى ، وتَذكاراً : استحضره في ذهنه بعد نسيان .

والذُّكر : بضم الذال : التذكر .

والذِّكر : بكسر الذال : الحفظ للشيء ، وهو نقيض النسيان .

وفي أساس البلاغة للزمخشري : « واجعله مني على ذُكر بضم الذال : أي لا أنساه ، واستذكر بدراسته : طلب بها الحفظ ، ومن المجاز : له ذِكرٌ في الناس : أي صيت وشرف ﴿ وإنَّهُ لذكرٌ لكَ ولقومِكَ ﴾ [الزُّخرف : ٤٤/٤٣] » .

فمن المفردات السابقة نستطيع تحديد الذكر بأنه : تحريك اللسان مع استحضار القلب بحمد الله ، والثناء عليه ، وتسبيحه وتمجيده ، وتلاوة كتابه ليتحقق الذاكر بالحضور الدائم مع الله تبارك وتعالى مما يبعث في القلب حفظ حقوق الله ، وأداء واجباته ، ليحظى من وراء ذلك بالشرف والرفعة .

أو أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحقّ ، وترديد اسم المذكور بالقلب واللسان ، وسواء في ذلك ذكر الله ، أو صفة من صفاته ، أو حكم من أحكامه ، أو فعل من أفعاله ، أو الاستدلال على شيء من ذلك ، أو دعاء ، أو ذكر رسله وأنبيائه ، فالمتكلّمُ ذاكر ، والمتفقه ذاكر ، والمدرس إذا ابتغى وجه الله ذاكر ، والمفتي ذاكر ، والواعظ ذاكر ، والممتثل ما أمر الله به والمنتهي عما نهى الله عنه ذاكر .

والذكر قد يكون باللسان ، وقد يكون بالْجَنان ، وقد يكون بأعضاء الإنسان ، وقد يكون بالإعلان والإجهار . والجامع لذلك كله ذاكر كامل .

وقد أتى الذكر بمعنى القرآن قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزّلنا الذّكرَ وإنّا لهُ لحافظونَ ﴾ [الحجر : ٩/١٥] .

﴿ وأنزلنا إليكَ الذّكرَ لتبيّن للنَّاسِ ما نزّل إليهم ﴾ [النَّحل : ٤٤/١٦] .

﴿ ولكن متّعتهُم وآباءَهُمْ حتّى نَسُوا الذّكرَ وكانوا قوماً بُوراً ﴾ [الفرقان : ١٨/٢٥] .

وأتى بمعنى صلاة الجمعة قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا إذا نُودِيَ للصَّلاةِ من يوم الْجُمُعَةِ فاسعَوْا إلى ذكرِ اللهِ ﴾ [الجمعة : ٩/٦٢] .

وبمعنى العلم ، قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهلَ الذّكرِ إن كنتُم لا تعلَمونَ ﴾ [الأنبياء : ٧/٢١] .

الذِّكْرُ في القرآنِ الكَريم

المتتبّع لآيات الذكر في القرآن الكريم يجدها كثيرة ، وهي تحث عليه في سائر الأحوال ، وتطلب استعمال هذا العلاج الروحي في كلّ وقت ودون قيدٍ أو شرط .

ومن المعلوم أن العبادات العملية لها قيودها ، وشرائطها ، وأوقاتها التي تصحّ أو لا تصحّ أو تُكره فيها ، إلا ذكر الله تبارك وتعالى فإنه مطلوب في كلّ الأوقات والظروف والملابسات ، وحتى وقت إتيان الرجل زوجته أو دخوله بيت الخلاء .

و إليك بعض الآيات التي تبيّن مكانة الذكر وترغب فيه ، وتحذّر من الغفلة والإعراض عنه .

قال الله تعالى آمراً بالذكر أمراً عاماً ، ومقيداً :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا اذكرُوا اللهَ ذكراً كثيراً ☆ وسبِّحوهُ بُكرةً وأصيلاً ☆ هُو الَّذي يُصلِّي عَليكُم ومَلائِكتُه ليُخرجكم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ وكانَ بالمؤمنينَ رَحيماً ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٣] .

قال ابن كثير رحمه الله : الصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخاري عن أبي العالية . وقال غيره : الصلاة من الله عز وجل الرحمة . وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار . وقوله تعالى : ﴿ ليُخرجكُم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ ﴾ أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ، ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين . وقال تعالى : ﴿ واذكر ربّك كثيراً وسبِّح بالعشيّ والإبكار ﴾ [آل عمران : ٤١/٣] . العشي والإبكار : أواخر النهار وأوّله .

وقال تعالى : ﴿ واذكر ربّك تضرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ من القولِ بالغدوِّ والآصالِ ولا تكُن من الغافلينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥/٧] .

تضرُّعاً وخيفة ودون الجهر : **في ذلك قولان :**

أحدهما : في سرّك وقلبك .

والثاني : بلسانك بحيث تُسمع نفسك . ونهى عن ضده - الذكر - بقوله : ﴿ ولا تكُن من الغافلين ﴾ لأن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان . والفرق بينهما أن الغفلة باختيار ، والنسيان ترك بغير اختيار ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ ، ولم يقل من الناسين ، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا يُنهى عنه . ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان .. » .

وعلّق الفلاح باستدامته وكثرته من غير حصر بعدَدٍ ووقت فقال تعالى : ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ﴾ [الجمعة : ٦٢/١٠] .

وأثنى على أهله ، وأخبر بما أعدَّ لهم من الجنة والمغفرة ، ورتب الأعمال الصالحة ترتيباً تصاعدياً ، وجعل خاتمتها وذروة سنامها (الذِّكر) فقال تعالى : ﴿ إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصَّادقينَ والصَّادقاتِ والصَّابرينَ والصَّابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ والصَّائمينَ والصَّائماتِ والحافظينَ فروجهُم والحافظاتِ والذَّاكرينَ اللهَ كثيراً والذَّاكراتِ أعدَّ اللهُ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٣٥] .

وأخبر عن خسران من لها عنه بغيره ، وأن الشيطان سيكون قرينه وسبب صدوده عن سواء السبيل فقال عز وجل : ﴿ يا أيها الَّذينَ آمنُوا لا تُلْهِكُم أموالكُم ولا أولادكُم عن ذكرِ اللهِ ومن يفعَلْ ذلكَ فأُولئكَ هُمُ الخاسرونَ ﴾ [المنافقون : ٦٣/٩] .

وقال عزّ من قائل : ﴿ ومَنْ يعشُ عن ذكرِ الرَّحمنِ نقيِّض لهُ شيطاناً فهوَ لهُ قرينٌ ☆ وإنَّهُم ليصدُّونهم عنِ السَّبيلِ ويحسبونَ أنَّهُم مُهتدونَ ☆ حتَّى إذا جاءنا قال ياليتَ بيني وبينكَ بُعدَ المشرِقَيْنِ فبئسَ القرين ☆ ولن يَنفعَكُمُ اليومَ إذ ظلمتُمْ أنَّكُم في العذابِ مُشتركونَ ﴾ [الزُّخرف : ٤٣/٣٦-٣٩] .

ونهى عن مخالطة الذين غفلت قلوبهم عن ذكره ، واستحكمت فيهم الأهواء فقال تعالى : ﴿ ولا تُطِع مَن أغفلنا قلبَه عن ذِكرنا واتَّبعَ هواهُ وكانَ أمرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف : ١٨/٢٨] .

وحذَّر من الإعراض عنه ، وتسرّب القسوة إلى القلب بسبب إهماله ، والغفلة عنه

فقال سبحانه : ﴿ ومَن أعرضَ عن ذكري فإنَّ لهُ معيشةً ضَنكاً ونحشرُه يومَ القيامةِ أعمى قالَ ربِّ لِمَ حَشَرتَني أعمى وقد كُنتُ بصيراً قالَ كذلكَ أتتْكَ آياتنا فنَسيتَها وكذلكَ اليومَ تُنسى ﴾ [طه : ١٢٤/٢٠] . ضنكاً : صعبة ضيقة .

وقال : ﴿ أفمَن شرَحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ فهو على نورٍ من ربِّه فوَيلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكرِ اللهِ أُولئكَ في ضلالٍ مبينٍ ﴾ [الزُّمر : ٢٢/٣٩] .

القاسية قلوبهم من ذكر الله ، قال ابن كثير رحمه الله : أي فلا تلين عند ذكره ، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم .

ووصف المنافقين بقلّة الذِّكر واشمئزاز نفوسهم منه فقال تعالى : ﴿ إنَّ المنافقينَ يُخادعونَ اللهَ وهوَ خادعهُم وإذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كُسالى يراؤونَ النَّاس ولا يذكرونَ اللهَ إلاّ قليلاً ﴾ [النِّساء : ١٤٢/٤] .

وقال : ﴿ وإذا ذُكِرَ اللهُ وحدَهُ اشمأزَّت قُلوبُ الَّذينَ لا يؤمنونَ بالآخرةِ وإذا ذُكِرَ الذينَ من دونِهِ إذا هُم يستبشِرُونَ ﴾ [الزُّمر : ٤٥/٣٩] .

وبيَّن سبحانه أنه جعل ذكره لمن ذكره جزاءً لذكرهم له فقال : ﴿ فاذكروني أذكُرْكُم واشكُروا لي ولا تكفُرونَ ﴾ [البقرة :١٥٢/٢] .

وأعلن أن الذكر أكبر من كل شيء فقال : ﴿ اُتلُ ما أُوحيَ إليكَ وأقِمِ الصَّلاةَ إنَّ الصَّلاةَ تنهَى عَنِ الفحشاءِ والمنكرِ ولذِكرُ اللهِ أكبرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥/٢٩] .

وفي هذه الآية ثلاثة أقوال :

الأول : أن ذكر الله أكبر من كل شيء ، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلّها إقامة ذكره ، فهو سرّها وروحها .

الثاني : أن المعنى أنكم إذا ذكرتموه ذكركم فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له . فعلى هذا : المصدر مضاف إلى الفاعل ، وعلى الأول : مضاف إلى المذكور .

الثالث : أن المعنى : ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر ، بل إذا تمّ الذكر محق كل خطيئة ومعصية .

قال ابن تيمية رحمه الله : معنى الآية : إن في الصلاة فائدتين عظيمتين :

إحداهما : نهيها عن الفحشاء والمنكر .

والثانية : اشتمالها على ذكر الله وتضمّنها له ، وما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

وجعل الله سبحانه الذكر خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها ، فختم به عمل الصيام بقوله : ﴿ ولِتكمِلوا العدّةَ ولِتكبّروا اللهَ على ما هداكُم ولعلَّكُم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥/٢] .

وختم به الحج في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتُم مناسِكَكُم فاذكُروا اللهَ كذِكرِكُم آباءَكُم أو أشدَّ ذِكراً ﴾ [البقرة : ٢٠٠/٢] .

وختم به الصلاة في قوله تعالى : ﴿ فإذا قُضيتِ الصَّلاةُ فانتشِرُوا في الأرضِ وابتغُوا من فضلِ اللهِ واذكُروا اللهَ كثيراً لعلَّكُم تُفلحونَ ﴾ [الجمعة : ١٠/٦٢] .

وأخبر سبحانه عن أهله بأنهم أهل الانتفاع بآياته ، وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم فقال : ﴿ إنَّ في خلقِ السَّموات والأرضِ واختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأُولي الألبابِ ☆ الَّذينَ يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهِم ويتفكَّرونَ في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠/٣ـ١٩١] .

وجعله سبحانه قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها ومتى خلت منه كانت جسداً بلا روح ، فقال سبحانه قارناً إياه بالصلاة ﴿ وأقِمِ الصَّلاةَ لذِكري ﴾ [طه : ١٤/٢٠] .

وقرنه بالصيام والحج ومناسكه ، بل هو روح الحج ولبّه والمقصود منه كما قال النبي ﷺ : « إنما جُعل الطواف والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، لإقامة ذكر الله » .

وقرنه بالجهاد وأمر به عند ملاقاة الأقران ، ومكافحة الأعداء ، وبيَّن أنه أحد أركان النصر عند ملاقاة الأعداء فقال سبحانه : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا إذا لقيتُم فئةً فاثبتُوا واذكروا اللهَ لعلَّكُم تُفلحونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥/٨] .

وفي أثرٍ إلهي يقول الله تعالى : « إن عبدي - كل عبدي - الذي يذكرني وهو ملاقٍ قِرنه » . فالمحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال القائل :

ذكرتُك والخطيُّ يخطو بيننا وقد نهلت منّا المثقفة السّمر

وقال آخر :

ولقد ذكرتُكِ والرِّماح شواجر نحوي ، وبيض الهند تقطر من دمي

وهذا كثير في أشعارهم . وهو مما يدل على قوة المحبة ، فإن ذكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه بمنزلة نفسه ، أو أعز منها ، وهذا دليل على صدق المحبة .

وبيَّن سبحانه أن المؤمنين الصادقين يتأثرون بذكر الله ويستولي على مشاعرهم ووجدانهم وتطمئن قلوبهم به ، وتلين نفوسهم به . فقال سبحانه :

﴿ إنَّما المؤمنونَ الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَت قُلوبُهُم ﴾ [الأنفال : ٢/٨] .

وقال سبحانه : ﴿ الَّذينَ آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهُم بذكرِ اللهِ ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوبُ ﴾ [الرَّعد : ٢٨/١٣] .

وقال سبحانه : ﴿ اللهُ نزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً مثانيَ تقشعرُّ منهُ جلودُ الَّذينَ يخشَوْن ربّهم ثمَّ تلينُ جلودُهُم وقلوبُهُم إلى ذكرِ اللهِ ذلكَ هدى اللهِ يهدي بهِ من يشاءُ ومن يُضللِ اللهُ فما لهُ من هادٍ ﴾ [الزُّمر : ٢٣/٣٩] .

وأخبر أن الذي يتأسَّى برسول الله ﷺ وينتفع بهديه من كان مُكثراً منه فقال : ﴿ لقد كانَ لكُم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لِمَن كانَ يرجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكرَ اللهَ كثيراً ﴾ [الأحزاب : ٢٤/٣٣] .

ورغب في تزكية النفس وتطهيرها والإكثار من ذكره والمحافظة على الصلوات ليكون من وراء ذلك الفلاح المحقق فقال سبحانه : ﴿ قد أفلحَ من تزكَّى ۞ وذكرَ اسمَ ربِّهِ فصلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤/٨٧-١٥] .

وطلب أن يختم المؤمن حياته بذكره لأن من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة .

الذِّكرُ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ

لما كان ذكر الله تبارك وتعالى علاجاً روحياً للإنسان ، وطمأنينة لقلبه ، وسبباً قوياً لنبذ الهم والقلق ، ومبعثاً قوياً للصلة بالله تعالى كثرت الأحاديث الشريفة الواردة فيه نذكر منها :

١ ـ: روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم ، وإن تقرَّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » . الباع : هو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره .

ومعنى الحديث كما ذكره الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم : من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زادت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه .

٢ ـ: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني ، وتحركت بي شفتاه » ، رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبّان في صحيحه .

٣ ـ: عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثُرت عليّ فأخبرني بشيءٍ أتشبث به ؟ قال : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » . رواه الترمذي وابن ماجه ، وابن حبّان في صحيحه . أتشبث : أتعلق .

٤ ـ: عن أبي المخارق رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مررتُ ليلة أُسريَ بي برجلٍ مغيَّبٍ بنور العرش ، قلت من هذا ؟ أهذا ملَك ؟ قيل : لا ، قلتُ : نبي ؟ قيل : لا ، قلت : من هو ؟ قال : هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه معلّق بالمساجد ، ولم يستسبّ لوالديه » . رواه ابن أبي الدنيا . لم يستسبّ : لم يسبّ ولم يشتم ولم يعق ، ولم يكن سبباً لشتم والديه .

٥ ـ: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقَوْا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله » . قال معاذ بن جبلٍ : « ما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله » . رواه أحمد بإسنادٍ حسن والترمذي وابن ماجه والحاكم .

٦ ـ: عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « إن لكل شيء صقالة ، وإنّ صقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » . رواه ابن أبي الدنيا عن البيهقي .

٧ ـ: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من عجز منكم عن الليل أن يُكابده ، وبخل بالمال أن يُنفقه ، وجبُن عن العدوّ أن يجاهده فليكثر ذكر الله » . رواه الطبراني والبزار .

٨ ـ: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أربع من أُعطيهُن ، فقد أُعطيَ خيري الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله » . رواه الطبراني .

لا تبغيه حوباً : لا تقع في ذنب بسبب عصيانها أوامره ، وتحفظ نفسها من الانحراف ، وماله من الضياع .

٩ ـ: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليذكُرنَ اللهَ أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهمُ الدرجات العلى » . رواه ابن حبان في صحيحه .

١٠ ـ: عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » . رواه البخاري ومسلم إلا أنه قال : « مثل البيت الذي يُذكر الله فيه » .

١١ ـ: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » . رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اذكروا الله ذكراً يقول المنافقون : إنكم مراؤون » .

١٢ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبلٍ يُقال له جُمدانُ ، فقال : « سيروا هذا جُمدانُ سبق المفرّدون ، قالوا : وما المفرّدون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً » . رواه مسلم واللفظ له ، والترمذي ولفظه : « يا رسول الله : وما المفرّدون ؟ قال : المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً » .

المفرّدون : بفتح الفاء وكسر الراء المشدّدة ، وقيل بإسكان الفاء وكسر الراء . يُقال : فرد الرجل في رأيه ، وفرد بالتخفيف والتشديد ، وأفرد واستفرد كلّه بمعنى أي استقلّ وتخلّى بتدبيره . والمراد به الذين تفرّدوا بذكر الله .

المستهترون : بفتح التاءين هم المولَعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم .

١٣ ـ : عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان واضعٌ خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه » . رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي .

١٤ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يقول : يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني » . رواه الطبراني في الأوسط .

١٥ ـ : عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « اغدوا وروحوا واذكروا ، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ؟ فإن الله يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » . رواه أحمد في المسند .

١٦ ـ : عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس يتحسّر أهل الجنة إلاّ على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها » . رواه الطبراني .

١٧ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرةً ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر

لهم » . رواه أبو داود والترمذي واللفظ له ، وقال حديث حسن .

التِّرة : بكسر التاء وتخفيف الراء هي النقص ، أو التبعة أو المسؤولية .

١٨ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان حسرةً عليهم يوم القيامة » . رواه أبو داود والحاكم .

١٩ ـ : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت » . رواه البخاري .

☆ ☆ ☆

فهنيئاً لأقوام امتلأت قلوبهم بذكر الله واستنارت بنوره ، ولهجت ألسنتهم به فأشرق نور الذكر على وجوههم فكانوا كالشجرة الخضراء وسط الصحراء ، وكالمصباح في البيت المظلم .

وفي أثرٍ إلهي : يقول الله تعالى : « إذا كان الغالب على عبدي ذكري : أحبّني وأحببته » .

وفي آخر : « فبي فافرحوا ، وبذكري فتنعموا » .

وفي آخر : « ابن آدم ، ما أنصفتني ؛ أذكرك وتنساني ؟ وأدعوك وتهرب إلى غيري ؟ وأُذهِبُ عنك البلايا ، وأنت معتكف على الخطايا ؟ يا ابن آدم ما تقول غداً إذا جئتني ؟ » .

الذِّكرُ في أقوالِ العلماءِ

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ذكر الله علامة على الإيمان ، وبراءة من النار ، وحصن حصين من الشيطان ، وحرز من النار .

وقال الحسن البصري : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، والذكر ، وقراءة القرآن ، فإن وجدتم ذلك وإلا فاعلموا أن الباب مغلق ، لأن كل قلب لا يعرف الله لا يأنس بذكر الله ولا يسكن إليه قال الله تعالى : ﴿ وإذا ذُكِرَ الله وحدهُ اشمأزّت قلوبُ

الـــذينَ لا يـــؤمنـــونَ بـــالآخرةِ ، وإذا ذُكرَ الـــذينَ من دونـــه إذا هُم يستبشرون ﴾ [الزُمر : ٣٩/٤٥] .

وقال مالك بن دينار رحمه الله : من لم يأنس بحديث الله تعالى عن حديث الخلق فقد قلَّ علمه ، وعمي قلبه ، وضاع عمره .

وقال أبو علي الدقاق : الذكر منشور الولاية ، فمن وفّق للذكر فقد أُعطي المنشور ، ومن سُلب الذكر فقد عزل .

وقال ذو النون المصري : من ذكر الله ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله تعالى عليه كل شيء ، وكان له عوضاً عن كل شيء .

وسئل أبو عثمان فقيل له : نحن نذكر الله تعالى ولا نجد في قلوبنا حلاوة فقال : احمدوا الله تعالى على أن زيَّن جارحة من جوارحكم بطاعته .

وقال أبو القاسم القشيري رحمه الله : الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر . وقال بعضهم : ذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم .

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور ، والتيقظ له ، وسمّي الذكر باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبي ، غير أنه لما كثُر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم .

ومعنى الآية : اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة . قاله سعيد بن جبير . وقال أيضاً : الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن .

وروي عن النبي ﷺ : « من أطاع الله فقد ذكره وإن أقلَّ صلاته وصومه وصنيعه للخير ، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير » .

وقال أبو عثمان النهدي : إني لأعلم الساعة التي يذكرنا الله فيها ، قيل له : ومن أين تعلمها ؟ قال : يقول الله عز وجل : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

وقال السُّدي : ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله عز وجل ، لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمته ، ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب .

وقال **أبو سعيد الخراز رحمه الله** : إذا أراد الله أن يوالي عبداً فتح له باب الذكر ، فإذا استلذّ بالذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسيّ من التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف عنه الجلال والعظمة ، فإذا نظر إلى الجلال والعظمة بقي بلا هو فيصير فانياً بارئاً عن دعاوى نفسه محفوظاً لله .

وقال غيره : الذكر ترياق المذنبين ، وأنس المنقطعين ، وكنز المتوكلين ، وغذاء الموقنين ، وحلية الواصلين ، ومبدأ العارفين ، وبساط المقربين ، وشراب المحبين .

روي أن سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال : يا ربّ أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فأوحى الله إليه : أنا جليس لمن ذكرني .

وقيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله : إن لي معك سرّاً ، ميعادُنا تحت شجرة طوبى ، فقال : نحن تحتها ما دمنا في ذكر الله .

وقال سيدنا علي رضي الله عنه : إن الله يتجلّى للذاكرين عند الذكر وقراءة القرآن . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : إن الملائكة يغضون أبصارهم عن ذاكر الله كما تغضون أبصاركم عن البرق .

وقال أحد العارفين : للذكر بداية وهي توجّه صادق ، وله توسّط وهو نور طارق ، وله نهاية وهو حارّ خارق ، وله أصل وهو الصفاء ، وفرع وهو الفناء ، وشرط وهو الحضور ، وبساط وهو العمل الصالح ، وخاصية وهو الفتح المبين .

وقال **السيد محمد بهاء الدين المشهور بالرواس رحمه الله** : الذكر طمأنينة وإيمان ، وصحّته الحضور ، وإخلاص وعرفان ، والذكر باللسان مع غفلة القلب زور وبهتان ، ينشر الذكر على قلب الذاكر طمأنينة وسكينة ، وعلى وجهه نوراً وبهجة ، وعلى روحه معرفة وصدقاً ، فطوبى لأهل الإخلاص من الذاكرين . الذكر سيف الصادق يصول به فيقطع وهو في غمده ، ولا يكون ذكراً إلا إذا صدر عن قلب سليم ، الذكر آية من آيات الله يكتبها الله في قلوب المذكورين المقبولين من عباده المقربين .

وقال ابن عطاء الله الاسكندري : الذكر نار لا تبقي ولا تذر فإذا دخل بيتاً يقول : أنا لا غيري ، وهو من معاني لا إله إلا الله ، فإن وجد فيه حطباً أحرقه فصار ناراً ، وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوّره ، وإن كان فيه نور صار نوراً على نور . والذكر يُذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ، ومن تناول اللقم الحرام .

ثمرة لباب الذكر مبدؤها اللسان ، ثم ذكر القلب تكلفاً ، ثم ذكره طبعاً ، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر ، وهذا سرّ قوله ﷺ : « من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله » .

وقال : اعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فإن شعورهم يقارن شعورك . الذكر يطرد الشيطان ، ويمنعه ويكسره ، ويرضي الرحمن ويسخط الشيطان ، ويزيل الهم عن القلب والغم ، ويجلب الفرح والسرور ، ويقوي البدن والقلب ، ويبهج القلب والوجه وينوّره ، ويكسو الذاكر مهابة ، ويلهم به في أمر صوابه ، وهو أصل موالاة الله وأسّها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها .

الغفلة للقلب داء ومرض ، والذكر شفاء له من كل داء وغرض كما قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ ... ونترك الذكر أحياناً فننتكس

للذكر لذّات أحلى من لذات المطعومات والمشروبات ، ووجه الذاكر وقلبه يكسبه في الدنيا نضرة وسروراً ، وفي الآخرة وجهه أشد بياضاً من القمر ونوراً .

الذاكر حيّ وإن مات ، والغافل وإن كان حيّاً فهو من جملة الأموات .

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

يقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتاب (مدارج السالكين) :

الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ، ومن مُنعه عُزل ، وهو قوت قلوب القوم ، الذي متى فارقها صارت كالأجساد لها قبوراً ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ، ودواء أسقامهم الذي متى فارقها انتكست منهم القلوب ، به يستدفعون

الآفات ، ويستكشفون الكربات ، وتهون عليهم به المصيبات ، إذا أظلّهم البلاء فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم ، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويوصل الذاكر إلى المذكور ، بل يدع الذاكر مذكوراً ، وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة ، والذكر عبادة القلب واللسان وهي غير مؤقتة ، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها ، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها ، وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلّما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقاً ، به يزول الوقر عن الأسماع ، والبَكم عن الألسن ، وتنقشع الظلمة عن الأبصار ، زيّن الله به ألسنة الذاكرين كما زيّن بالنور أبصار الناظرين ، فاللسان الغافل كالعين العمياء ، والأذن الصمّاء ، واليد الشلاّء .

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته .

وبالذكر : يُصرع الشيطان ، كما يَصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان .

قال بعض السلف : إذا تمكن الذكر من القلب ، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسّه الإنسي .

وهو روح الأعمال الصالحة ، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه .

صدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب . وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه ، وصدؤه بحسب غفلته ، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل .

إذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟!

قال الغزالي رحمه الله : « جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر ، ولا يتمكن منه إلا الذين اتَّقَوْا ، فالتَّقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر » .

ويقول الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في كتاب (قواعد الصوفية) : « الذكر مفتاح الغيب ، وجاذب الخير ، وأنيس المستوحش ، ومنشور الولاية ، فلا ينبغي تركه ولو مع الغفلة ، ولو لم يكن من شرف الذكر إلا أنه لا يتوقت بوقت لكان ذلك كفاية في شرفه ، وما ثَمَّ أسرع من فتح الذكر ، وهو جامع لشتات صاحبه . وإذا غلب الذكر على الذاكر امتزج بروح الذاكر المذكور » .

وقال ابن عطاء الله الاسكندري : « يحتاج الذاكر إلى ثلاثة أنوار : نور الهداية ، ونور الكفاية ، ونور العناية . فمن منَّ الله عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشرك . ومن منَّ الله عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش ، ومن منَّ الله عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة والحركات التي لأهل الغفلات ، فالنور الأول للظالم نفسه ، والثاني للمقتصد ، والثالث للسابق بالخيرات » .

فوائد الذكر وثمراته

لقد مرَّ في أقوال العلماء بشأن الذكر بعض هذه الفوائد والثمرات وأتابع القول في ذلك :

فمن فوائد الذكر[1] :

١ ـ : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ، ويرضي الرحمن ، ويزيل الهم والغم عن القلب ، ويجلب للقلب الفرح والسرور ، وينور الوجه والقلب ، ويورث المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره .

---

(١) ارجع إلى كتاب (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .

٢ ـ : أنه يورث المراقبة لله عز وجل حتى يوصله إلى مقام الإحسان فيعبد ربه كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان . ومن لوازم ذلك أن لا يجدك ربك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

٣ ـ : أنه يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى إذا ادلهمت الخطوب وتوالت الشدائد ، فمن أكثر من الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وقِبلَة قلبه ، ومهربه عند النوازل .

٤ ـ : أنه يورث الهيبة لربه عز وجل لشدة استيلائه على قلبه ، وحضوره مع الحق جل وعلا ، كما أنه يورث ذكر الله للذاكر كما قال تعالى : ﴿ فاذكُروني أذكُرْكم ﴾ [البقرة : ١٥٢/٢] . ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً .

٥ ـ : أنه يورث حياة القلب لأن الذكر للقلب مثل الماء للسمك .

٦ ـ : أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء ، عرفه في الشدة .

وقد جاء في أثرٍ معناه : أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى ، إذا أصابته شدة ، أو سأل الله تعالى حاجة ، قالت الملائكة : يارب صوت معروف ، من عبد معروف ، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله ، قالت الملائكة : يارب ، صوت منكر من عبد منكر .

٧ ـ : أنه يُسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان ، والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

٨ ـ : أن الاشتغال بالذكر سبب لعطاء الله الذاكر أفضل ما يعطي السائلين . يقول الله عز وجل في الحديث القدسي « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » ، رواه البخاري والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٩ ـ : أنه يحدث في القلب فرحاً بالله ، وأنساً برضوانه لا يعرفه إلاّ من جرّبه وخبره ، فالفرح والسرور والأنس ثواب عاجل ، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنّة الآخرة .

وقـال مرة : مـا يصنع أعـدائي بي ؟ أنـا جنتي وبستـاني في صـدري ، إن رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

وقـال مرة لابن القيم : المحبوس من حُبس قلبـه عن ربّـه تعـالى ، والمـأسـور من أسره هواه .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك مـا نحن فيـه لجـالـدونـا عليـه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الـدنيـا ، خرجوا منهـا ومـا ذاقوا أطيب مـا فيهـا . قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره .

وقال آخر : إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً .

١٠ ـ : إن الذكر نور للذاكر في الدنيـا ، ونور لـه في قبره ، ونور لـه في معـاده يسعى بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ أوَمَن كانَ ميتاً فأحييناهُ وجعلنا له نوراً يمشي بهِ في النَّـاسِ كمن مثلـهُ في الظُّلُماتِ ليسَ بخارجٍ منها ﴾ [الأنعام : ١٢٢/٦] .

فالأول : هو المؤمن استنار بنور الإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره .

والآخر : هو الغافل عن الله تعالى ، المعرض عن ذكره ومحبته ، والشأن كل الشـأن ، والفلاح كل الفلاح ، في النور ، والشقاء كل الشقاء في فواته .

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤاله ربّه تبارك وتعالى حين يسـألـه أن يجعل النور في لحمه وعظامه ، وعصبه وشعره ، وبشره ، وسمعـه وبصره ، ومن جميع جهـاتـه حتى يقول : « واجعلني نوراً » ، فسأل ربّه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والبـاطنـة . فدين الله عز وجل نور ، وكتـابـه نور ، ورسولـه نور ، وداره التي أعـدهـا لأوليـائـه نور يتلألأ ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض ، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمـات لنور وجهه ، فالله تبارك وتعالى جعل الحياة حيث النور ، والموت حيث الظلمة ، فحيـاة الوجودين : الروحي والجسمي بالنور ، وهو مادة الحياة ، كما أنه مادّة الإضاءة . فيه حيـاة القلب وانفسـاحــه وانشراحـه وسعتـه كما في حـديث الترمـذي في نـوادر الأصـول عن

النبي ﷺ : « إذا دخل النور القلب انفسح له وانشرح ، قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

١١ ـ : الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نَيْل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها ، كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد وهو أصل كل مقام .

١٢ ـ : الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعيّة معيّة خاصة غير معيّة العلم والإحاطة العامّة ، فهي معيّة بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ مع الذينَ اتَّقَوْا ﴾ [النحل : ١٦/١٢٨] . ﴿ واللهُ معَ الصَّابرينَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٤٩] . ﴿ إنَّ اللهَ معَ المحسنينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٦٩] . وللذكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث القدسي « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، رواه البخاري والإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان .

وفي أثرٍ آخر : « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من المعايب » .

١٣ ـ : إن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره ، فإنه اتّقاه في أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره .

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر . والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه ، وهذه هي المنزلة .

١٤ ـ : إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى .

١٥ ـ : إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلّى الله تعالى عليه وملائكته ، فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز . قال الله سبحانه : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا اذكُروا اللهَ ذِكراً كثيراً ☆ وسبِّحوهُ بُكرةً وأصيلاً ☆ هُوَ الذي يُصلِّي

عليكُم وملائكتـــهُ ليُخرجَكُم من الظُّلمــات إلى النُّـور وكان بـالمـؤمنين رحيماً ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٤١-٤٣] .

١٦ ـ : إن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه ، عن أبي الدرداء قال : « الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك » .

١٧ ـ : إن الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه ، وإقدامه ، وكتابته ، أمراً عجيباً . فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر . وقد شاهد العسكر من قوّته في الحرب أمراً عظيماً .

وقد علّم النبي ﷺ ابنته السيدة فاطمة وعلياً رضي الله تعالى عنهما أن يُسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ، ويُكبِّرا أربعاً وثلاثين ، لَمّا سألته الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة ، فعلّمها ذلك وقال : « إنه خير لكما من خادم » كما في صحيح البخاري . فمن داوم على ذلك وجد قوّة في يومه مغنية عن خادم .

قال الوليد بن مسلم : قال محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة يقول : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم ، لم يَرَوْا عملاً أفضل ثواباً من الذكر ، فيتحسّر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر .

١٨ ـ : الذكر ثلاثة أقسام :

أ ـ ذكر الثناء : نحو « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

ب ـ ذكر الدعاء : نحو ﴿ ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٧/٢٣] . و « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » . ونحو ذلك .

جـ ـ ذكر الرعاية : مثل قول الذاكر : الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي ،

ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله ، وفيه رعاية لمصلحة القلب ، ولحفظ الأدب مع الله ، والتحرز من الغفلة ، والاعتصام من الشيطان والنفس . والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة .

١٩ ـ: إن من أهداف الحياة الروحية المتمثلة بكثرة ذكر الله تبارك وتعالى وبثّ الطمأنينة في النفس الإنسانية ، ونبذ الهم والقلق اللّذيْن هما أعدى أعدائها ، وذكر الله هو الوسيلة الفعالة للوصول إلى هذا الهدف ، ويقضي على الأمراض النفسية التي لها ألم يعدل ألم الأسنان التالفة .

قال الدكتور (بريل) إن المرء المتدين حقاً لا يعاني مرضاً نفسياً .

وذكر الله أثر من آثار الإيمان بالله ، وهو الغذاء الروحي الذي يمدّ النفس الإنسانية بالعلاج لأدوائها ، والسكينة التي تحتاجها . قال الله عز وجل : ﴿ الذينَ آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكرِ اللهِ ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوبُ ﴾ [الرَّعد : ٢٨/١٣] .

وذكر الله مظهر لمعرفة الإنسان ربّه والثناء عليه ، ولهذا يصرح القرآن بأن الذكر وسيلة للتقرّب منه سبحانه وأن الذاكرين مجزيون بمحبته ورحمته .

إن ذكر الله له أثر كبير في تربية النفس ، فالذي يذكر ربّه ويتصور عظمته يخشع قلبه ويلين فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ، بينما الغافلون عن تذكر خالقهم ينزلقون في غمرة هذه الحياة فيكون ذلك داعياً لقسوة قلوبهم التي ينتج عنها الشر ، ولذلك حذّر الله من الوصول إلى هذه الحالة المقيتة فقال : ﴿ ألَم يَأْنِ للَّذينَ آمنُوا أن تخشَعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نزَلَ من الحقِّ ولا يكونُوا كالَّذينَ أُوتوا الكتابَ فطالَ عليهِمُ الأمدُ فقسَت قلوبُهم وكثيرٌ منهُم فاسقونَ ﴾ [الحديد :١٦/٥٧] .

الاجتماع على ذكر الله مطلوب شرعاً وكذلك التحلق له

إن الذي يتتبع الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في الذكر يجد أكثرها بصيغة الجمع مما يدل على استحباب الاجتماع على ذكر الله . ومعلوم أن الجماعة لها قوتها الروحية وأثرها ونشاطها وفائدتها المحسوسة في تطهير الروح وتزكية النفس أكثر من ذكر العبد لوحده ولهذه الفائدة أيضاً شرعت الصلوات في الجماعة .

وقد دلّ على الاجتماع على ذكر الله تعالى أحاديث شريفة كثيرة منها :

١ ـ: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا هلمّوا إلى حاجتكم فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال فيسألهم ربّهم ، وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ؟

قال : يقولون : يسبّحونك ويكبّرونك ويمجّدونك .

قال فيقول : هل رأوْني ؟

قال فيقولون : لا والله يا ربّ ما رأوْك .

قال فيقول : كيف لو رأوْني ؟

قال يقولون : لو رأوْك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً

قال فيقول : فما يسألوني ؟

قال يقولون : يسألونك الجنة .

قال فيقول : هل رأوْها ؟

قال يقولون : لا والله ما رأوْها .

قال فيقول : فكيف لو رأوْها .

قال يقولون : لو أنهم رأوْها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشدّ لها طلباً ، وأعظم فيهم رغبة .

قال فيقول : فمّ يتعوّذون ؟

قال يقولون : يتعوّذون من النار .

قال فيقول : وهل رأوْها ؟

قال فيقولون : لا والله ما رأوْها .

قال فيقول : فكيف لو رَأوْها ؟

قال يقولون : لو رأوْها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة .

قال فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم .

قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

٢ ـ: روى مسلم والترمذي والنسائي عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقةٍ من أصحابه ، فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا ، قال : « آلله ما أجلسكم إلاّ ذاك ؟ » ، قالوا : آلله ما أجلسنا إلاّ ذاك ، قال : « أما أنّي لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة » .

٣ ـ: روى أحمد وأبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم الجمعُ مَن أهل الكرم ، فقيل : ومَن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر » .

٤ ـ: روى أحمد بإسنادٍ حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجلَ من أصحاب رسول الله ﷺ قال : تعال نؤمن بربّنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ، فقال النبي ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » .

٥ ـ: روى أحمد عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من قومٍ

اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات » .

٦ ـ : روى الطبراني بإسنادٍ جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبعثَنَّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء » . قال فجثا أعرابي على ركبتيه فقال يارسول الله : « جلّهم لنا ـ صفهم ـ نعرفهم ؟ قال : « المتحابون في الله من قبائل شتّى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

٧ ـ : روى مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

٨ ـ : روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ، قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : « حِلقَ الذكر » . فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حِلق الذكر ، فإذا أتَوْا عليهم حفّوا بهم . هذا وكما أن هذه النصوص تدل على مشروعية حلق الذكر وفضل مجالس الذكر ينبغي أن يُعلم أن الذكر الذي يترتب عليه صفاء القلب ، وإشراق الروح بأنوار التجليات الإلهية هو ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى الواردة في القرآن والسنة مع الأدب الكامل ، واستحضار عظمته ، وإخلاص التوجه إليه .

مَشروعِيَّةُ الذِّكرِ في المسَاجِد

قال الله سبحانه : ﴿ ومَن أظلمُ ممّن منعَ مساجِدَ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ وسَعَى في خَرابها أُولئِكَ ما كانَ لَهُم أن يَدخُلوها إلاّ خائفينَ لَهُم في الدُّنيا خزيٌ ولَهُم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ [البقرة : ٢/١١٤] .

وقال سبحانه : ﴿ في بُيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرفعَ ويُذكرَ فيها اسمُهُ يسبّح لهُ فيها بالغُدوِّ والآصال ☆ رجالٌ لا تُلهيهِم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر اللهِ وإقام الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ يخافونَ

يوماً تتقلّبُ فيهِ القلوبُ والأبصارُ ☆ ليَجزِيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما عملوا ويزيدَهُم من فضلهِ واللهُ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ ﴾ [النُّور : ٣٦/٢٤-٣٨] .

وروى البيهقي : يقول الرب تعالى يوم القيامة سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أهلُ الكرم ، فقيل ومن أهل الكَرم يا رسول الله ؟ أهل مجالس الذكر في المساجد .

فالمسجد بيت الله ، ومن دخله كان آمناً وهو في زيارة الحق تبارك وتعالى ، وعلى الزائر أن يلتزم الأدب والوقار ، ويستحضر في قلبه الخشية والجلال ، وليكن دائم الذكر ، دائم الفكر ما دام في المسجد ، وليكثر من الاعتكاف به ، والتسبيح والتحميد فعمارة المساجد تكون بإقام الصلاة فيها ، ومجالس العلم والذكر . فهي العمارة المعنوية والمقصودة من بناء المساجد .

مِن آدابِ الذِّكر

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب (**الأذكار**) : « ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، فإن كان جالساً في موضع استقبل القبلة وجلس متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار ، مطرقاً رأسه ، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقّه .

وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً (أي من كل ما يشغل البال) نظيفاً فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور ، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة .

وجاء عن الإمام الجليل أبي ميسرة رضي الله عنه قال : لا يُذكرُ اللهُ تعالى إلا في مكان طيّب ، وينبغي أيضاً أن يكون فمه نظيفاً ، فإن كان في فيه تغيُّرٌ أزاله بالسواك ، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء ، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يحرم . ولو قرأ القرآن وفمه نجس كره ، وفي تحريمه وجهان لأصحابنا أصحها لا يحرم » .

☆ ☆ ☆

ويقول ابن عطاء الله الاسكندري في كتاب (مفتاح الفلاح) : « للذكر آداب سابقة ، وآداب لاحقة ، وآداب مقارنة ، ومنها ظاهرة ، ومنها باطنة » .

أما الآداب السابقة فمنها : التوبة ، وتهذيب النفس ، وتخفيف العلائق ، وقطع كل عائق ، وتحصيل علم الأديان والأبدان ، ومنها الملبس الحلال الطاهر المطيب بالرائحة الطيبة ، وطهارة الباطن بأكل الحلال .

ومن آدابه المقارنة : الإخلاص ، وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة ، والجلوس متربعاً مستقبل القبلة إن كان وحده ، وإن كان في جماعة فحيث انتهى به المجلس ، ووضع راحتيه على فخذيه ، وغمض عينيه ، وأن يذكر بقوة تامة مع التعظيم ، وتصعد لا إله إلا الله من فوق السّرة ناوياً بـ (لا إله) نفي ما سوى الله عن القلب ، وناوياً بـ (إلا الله) إيصالها إلى القلب اللحمي الصنوبري الشكل ليتمكن إلا (الله) في القلب ويسري بجميع الأعضاء ، وإحضار معنى الذكر بقلبه كل مرة .

ومن آدابه اللاحقة : إذا سكت باختياره يحضر قلبه متلقياً لوارد الذكر وهي الغَيْبَةُ الحاصلة عقب الذكر ، فكما أن الله تعالى أجرى العادة بإرسال الرياح بُشراً بين يدي رحمته المطرية ، أجرى العادة بإرسال رياح الذكر بشرىً بين يدي رحمته العلية ، فلعلّه يرد عليه ما يعمر قلبه في لحظة ما لا تعمره المجاهدة والرياضة في نحو ثلاثين سنة .

ثم فرق رحمه الله بين الذاكر الصاحي الواعي الحاضر العقل المختار ، وبين من تطرأ عليه أحياناً حالات نفسية ، وانفعالات تسلب الاختيار ، وتفقد الوعي ليتنبه من يتصنع بألفاظ الذكر صنعاً منكراً مع العمد وكامل الاختيار ، ويحتجون بأدلة سيأتي بيانها ودحضها بحقائق الأقوال والنصوص الصحيحة .

قال رحمه الله : « وهذه الآداب تلزم الذاكر الواعي المختار ، أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من جملة الأسرار فقد تجري على لسانه : الله ، الله ، الله . أو : هو ، هو ، هو . أو : لا ، لا . أو : ااا . أو : اه ، اه ، اه . أو صوت بغير حرف ، أو تخبط فأدبه التسليم للوارد ، وبعد انقضاء الوارد يكون ساكناً ساكتاً » .

☆ ☆ ☆

وآكد الآداب شأناً ، وأعلاها منزلة : هو حضور القلب مع الله تعالى أثناء الذكر وخارجه ، ولن تظهر آثار الذكر الروحية على الذاكر إلا بحضور قلبه ، وخشوع

جوارحه ، ومتى استمر الذاكر على هذا تنوّر قلبه ، وصقلت مرآة فؤاده فانطبع فيها ما غاب عنه من أسرار هذا الكون العجيب ، وشاهد الأنوار تتنزل على قلبه ، ورأى عجائب وغرائب بقدر قوة حضوره واستعداده .

يقول الأستاذ محمد الغزالي المصري في كتابه (ليس من الإسلام) :

« فالذكر يقابل النسيان ، أي أنه وصف للقلب ، لا وصف للسان ، والمرء قد يتذكر الشيء تذكراً جلياً واضحاً ، يملأ عليه أقطار نفسه ، دون أن تتحرك شفتاه أو تختلج في جسمه عضلة ، بل إن سكون بدنه أعون له على الاستذكار ، وكلما هدأ واستغرق اكتملت في ذهنه الصور التي يريد أن يتمثلها ، وحركة اللسان عندئذٍ إنما تأتي نتيجة غير محتومة لاستفاضة الوجدان بما فيه .

وربّ ساكت لا تسمع منه حرفاً وقلبه عامر بذكر الله . وربّ متحدث عن الله بلسانه ، وفؤاده عن الله مشغول أو معزول .

إن الذكر باللسان لا يتم ويرتفع إلا إذا كان اللسان مفتاحاً للقلب ، ومحركاً له من خمود الذكر الأصيل . المفروض أن يعرف المرء ربّه وقت النفقة فيكرم ، وحين البأس فيقدم ، فإذا نسيه في هذه أو تلك فهو خاسر كما قال تعالى : ﴿ لا تُلهِكُم أموالكُم ولا أولادكُم عن ذكرِ اللهِ ومَن يفعل ذلكَ فأُولئكَ هُمُ الخاسرونَ ﴾ [المنافقون : ٩/٦٣] .

نعم هم الخاسرون ولو صاحوا بذكر الله حتى شقّوا أجواء الفضاء .

لا تقولن : الذكر خير ، والاستكثار منه ليس شناعة تستحق النكير ، فإن الذكر خير حقاً ، والاستكثار منه في حدود ما شرع الله أمر ندعو إليه ، ولا يتصور أن يعترض عليه مسلم ، وما شرع الله من ذكر أوسع من أن يكون حديث لسان أو ترديد كلام » .

☆ ☆ ☆

فالذكر الحقيقي هو ذكر القلب لأن كلمة الذكر إنما يراد بها في أصل معناها اللغوي : **وصول الفكر والذهن إلى أمرٍ قد انقضى في الزمان الغابر ، واستعادته إلى الذاكرة .**

أما أن تذكر أمراً ما ، فمعناه أن ترسل فكرك وذهنك إليه ، وتتصل به اتصالاً ذهنياً . وحينما يريد المرء أن يذكر أمراً منسياً فمعناه : أنه يوجه ذهنه أو قلبه إليه

ويلتفت بها إليه ، وفي كل هذه الأحوال يجب عليه أن يعبر عن كل ذلك بلسانه .

فالذاكر الحق من ذكر ربّه في سائر أحواله وشؤونه في بيعه فلا يغش ، وفي شرائه فلا يخادع وفي معاملاته فلا يراوغ ، وفي عباداته فلا يرائي ، قد انطبع الذكر في سويداء قلبه فأثمر له ثمرة الذكرى لأوامر الله ، والمراقبة لجنابه عز وجل .

يقول الشيخ التهانوي الهندي رحمه الله : « يظن بعض الناس بعد ترديدهم لكلمة (الله) مائة ألف مرة أنهم أتَوْا بالذكر مع أنهم لم يأتوا بحقيقة الذكر بل إنما أتوا بصورة الذكر ، وبأثر من آثاره لأنهم لو كانوا أتَوْا بحقيقة الذكر لم تخلُ حياتهم من الأعمال الحسنة الأخرى بل ونجد أن كثيراً من الذين يرددون كلمة (الله) مائة ألف مرة لا توجد عندهم الأعمال الأخرى بتاتاً » .

ويقول عبد الباري الندوي في كتاب (بين التصوف والحياة) : « إن شغل الباطن بإدامة الذكر واجب للوصول إلى الرتبة العليا في التصوف . والمراد منه التفات القلب . والذكر الباطني حيث يستقر ذكر الله في القلب فيكون رضى الله وعنايته ومحبته وجلاله وعقابه وثوابه نصب عينيه في أحوال الحياة كلها من حركات وسكنات ، وبعد ذلك يجب على المرء ألا يقع في المعاصي ، وأن لا يتعمد ذنباً ، سواء كان صغيراً أو كبيراً إلا لغفلة بشرية أو عند نسيان » .

ويقول الشيخ التهانوي رحمه الله أيضاً : « إن الذكر القلبي المحض الذي يقترح به الصوفية على تلامذتهم خير شيء مع أنه لا يستمر ولا يدوم لزمن طويل لأن الذاكر يظن في نفسه أنه مشتغل بالذكر مع أن قلبه يتلفت هنا وهناك ، ولذلك أقترح أنا أن يشتغل الذاكر بالذكر اللساني مع توجّه القلب ، واشتغاله وأن يستخدم لسانه وقلبه في الذكر معا فإنه إذا انقطع عنه الذكر القلبي ولو لمدة قصيرة لا ينقطع عنه ذكره باللسان ، وبذلك لا يذهب عمله سدىً بل يبقى له الذكر ولو باللسان » .

وبعد فإن الغاية التي يجب أن يهتم بها الذاكرون باللسان أن يستقر ذكر الله في قلوبهم ، فإن لم يحصل لهم هذا فلا أقل من أن يتحرز اللسان عن فضول القول وهجر الكلام ويزاول ذكر الله .

ومن آداب الذكر في الجماعة أن يستشعر الذاكر الرابطة الروحية بينه وبين إخوانه لتحصل الفائدة من جراء الذكر في الجماعة .

وليتجنب الذاكر شرب الماء بعد الانتهاء من الذكر لما فيه من ضرر روحي وجسمي .

قال ابن المنير في كتابه (تحفة السالكين) في معرض ذكر جملة من آداب الذكر : « ... ويأخذوا في الذكر بسكينة ووقار وخشوع بصوت متوسط على الهوينا من غير تمطيط ، وعليهم مراعاة الوفاق في الأصوات علوّاً وخفضاً لأن في ذلك نشطة للنفس ، ولذة للروح ، وراحة للسّر ، وقهراً للشيطان وفراراً ، ولا يكثر أحدهم الالتفات ، ولا يعبث بلحية ، ولا يلعب بيده ولا بشيء من ثيابه لأنه مجلس الله عز وجل ، ولا ينظر بعضهم بعضاً لأنه مانع من الحضور بل يغمض عينيه ..

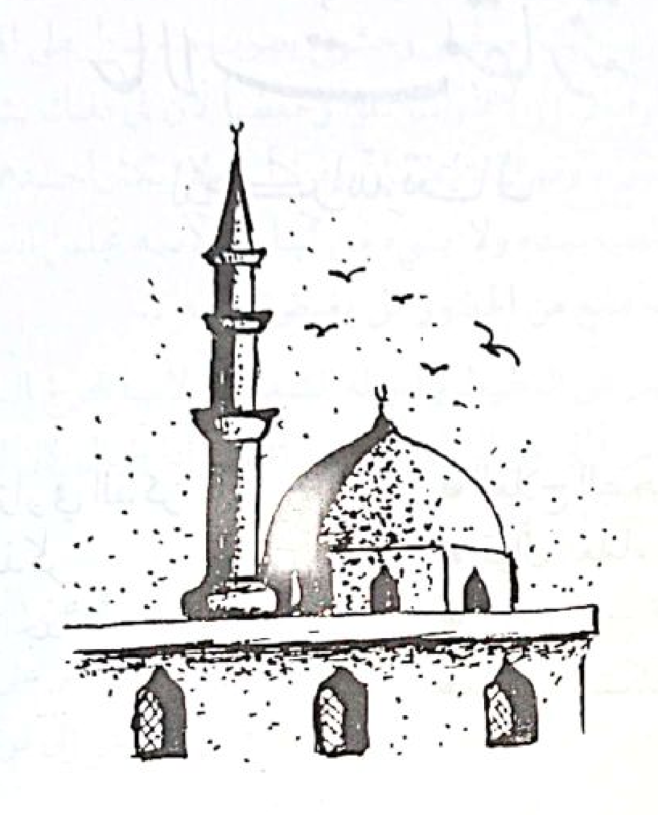
ثم قال : وعليه أن يحذر من التمطيط والعجلة الشديدة لأنها تخرج الذكر عن حدّه الشرعي والاقتصار في المجلس أوْلى من التطويل ، إذ المجلس إذا طال كان للشيطان فيه نصيب ما لم يحصل خشوع ولذة فلا يقطع ذلك عليهم .

ثم قال : ولا ينبغي للشيخ أن يُقر أحداً على الصراخ بل يزجرهم عن ذلك كلّه إلا إن تحقق أنه من غلبة قوية ، وحالة صادقة ، ويحرصون أن يكون الذكر على وتيرة واحدة وطريقة مستقيمة ، وليس لأحدهم أن يغيِّر الطريقة من حدرٍ إلى ترتيل وعكسه مثلاً .. إلخ » .

ويقول السيد محمد بهاء الدين المشهور بالرواس رحمه الله تعالى : « كمال الأدب حالة ذكر الله تعالى سواء كان ذلك مع الإخوان ، أو بالانفراد ، فإن طريقنا يشمل الذكرين الجلي والخفي ، أما الجلي فمع الإخوان في حلق الذكر ، وأما الخفي فهو ورد المرء يخلو به مع الله تعالى ، ولا ينفع كلاهما بغير الأدب الصحيح ، وهو صحة الحضور مع المذكور ليذكره الذاكر معتبراً بآياته ، معظماً لجلال سلطانه ألا إلى الله تصير الأمور » .

حالات مقارنة
لذكر الله تعالى

- الجهر والإسرار في الذكر
- الحركة في الذكر
- الوجد والتواجد
- العلاج الصحيح
- أقوال العلماء في الذكر الشرعي
- كلمة الشيخ محمد الحامد
- طبيعة المشكلة



الجَهْرُ والإسْرارُ في الذّكْر

للسيوطي رحمه الله تعالى رسالة سمّاها (نتيجة الفكر في الجهر في الذكر) وهي مما تضمنه كتابه (الحاوي للفتاوي) من رسائل وهذا ملخصها :

قال رحمه الله تعالى : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حِلق الذكر والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل ، وهل ذلك مكروه أو لا ؟ الجواب :

أنه لا كراهة في شيء من ذلك وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به . والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن ، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها ، **وها أنا أبيِّن ذلك فصلاً فصلاً ،**

ذكر الأحاديث الدالة على استحباب الجهر بالذكر تصريحاً والتزاماً :

١ ـ : أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه » . والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر .

٢ ـ : أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

٣ ـ : أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الجوزاء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مراؤون » .

ووجه الدلالة من هذا والذي قبله أن ذلك إنما يقال عند الجهر دون الإسرار .

٤ ـ : أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فما بكَت عليهِمُ السَّماءُ والأرضُ ﴾ [الدُّخان : ٢٩/٤٤] .

قال : إن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأرض الموضع الذي كان يُصلي فيه ويذكر الله فيه . وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبيد قال : إن المؤمن إذا مات نادت بقاع الأرض عبد الله المؤمن مات فتبكي عليه الأرض والسماء فيقول الرحمن : ما يبكيكما على عبدي ؟ فيقولون : ربّنا لم يمش في ناحية منّا قط إلاّ وهو يذكرك . ووجه الدلالة من ذلك أن سماع السماء والأرض للذكر لا يكون إلا عن الجهر به .

٥ ـ : أخرج البيهقي عن زيد بن أسلم قال : قال ابن الأدرع : انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمرَّ برجل في المسجد يرفع صوته قلت : يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً ؟ قال : لا ولكنه أوّاه .

وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين : إنه أوّاه وذلك أنه كان يذكر الله .

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته ، فقال رسول الله ﷺ : دعه فإنه أوّاه .

٦ ـ : أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال : كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمرَّ النبي ﷺ فكفّوا فقال : ما كنتم تقولون ؟ قلنا : نذكر الله ، فقال : إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشاركم فيها ثم قال : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر معهم[1] .

فإذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحاً أو التزاماً كما أشرنا إليه .

وأما معارضته بحديث : « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضته الجهر بالقرآن بحديث « المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة » . وقد جمع النووي رحمه الله بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء ، أو يتأذّى به مصلّون أو نيام ، والجهر أفضل في غير ذلك ،

---

(١) مشيراً إلى قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسَك مع الذينَ يدعونَ ربَّهُم بالغداةِ والعشيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ ، ولا تعْدُ عيناكَ عنهُم تريدُ زينةَ الحياةِ الدُّنيا ولا تُطِع من أغفلنا قلبَهُ عن ذِكرنا واتَّبعَ هواهُ وكانَ أمرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف : ٢٨/١٨] .

لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدّى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همّه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط . قال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر ، والجاهر يكلّ فيستريح بالإسرار ، وكذلك نقول في الذكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

فإن قلت : قال الله تعالى : ﴿ واذكُر ربَّكَ في نفسِكَ تضرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ منَ القولِ بالغدوِّ والآصالِ ولا تكُن منَ الغافلينَ ﴾ [الأعراف : ٧/٢٠٥] .

قلت : الجواب عن هذه الآية من ثلاثة وجوه :

الأول : أنها مكية كآية الإسراء ﴿ ولا تجهر بصلاتِكَ ولا تُخافِت بها ﴾ [الإسراء : ١٧/١١٠] . وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله ، فأُمر بترك الجهر سداً للذريعة كما نهى عن سبِّ الأصنام لذلك في قوله تعالى : ﴿ ولا تَسبُّوا الذينَ يدعونَ من دونِ اللهِ فيسبُّوا اللهَ عَدواً بغيرِ علمٍ ﴾ [الأنعام : ٦/١٠٨] . وقد زال هذا المعنى ، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره ، وذكر الألوسي في تفسيره أن المراد بالجهر رفع الصوت المفرط ، وبما دونه نوع آخر من الجهر أي أقلّ منه .

الثاني : أن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ الإمام مالك وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنده الأصوات ، ويقوّيه اتصالها بقوله تعالى : ﴿ وإذا قُرئَ القرآنُ فاستَمعوا لهُ وأنصِتوا لعلكُم تُرحمون ﴾ [الأعراف : ٧/٢٠٤] .

قلت : وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإخلاد إلى البطالة فنبّه على أنه وإن كان مأموراً بالسكوت باللسان ، إلا أن تكليف الذكر بالقلب باقٍ حتى لا يغفل عن ذكر الله ، ولذا ختم الآية بقوله : ﴿ ولا تكُن منَ الغافلينَ ﴾ .

الثالث : ما ذكره السادة الصوفية أن الأمر في الآية خاصّ بالنبي ﷺ الكامل المكمّل وأما غيره ممّن هو محلّ الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

قلت : ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى منكم بالليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلّي بصلاته وتسمع لقراءته ، وإن مؤمني الجن يكونون في الهواء ، وجيرانه معه في مسكنه يصلون ويستمعون قراءته ، وأنه ينطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فسّاق الجن ومردة الشياطين » .

فإن قلت : فقد قال تعالى : ﴿ ادعُوا ربّكُم تضرُّعاً وخفيةً إنّه لا يحبُّ المعتدينَ ﴾ [الأعراف : ٧/٥٥] . وقد فسَّر الاعتداء بالجهر في الدعاء .

قلت : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور به أو اخترع دعوة لا أصل لها في الشرع ، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم في مستدركه وصححه عن أبي نعامة رضي الله عنه أن عبد الله بن مغفّل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء » . وهذا تفسير صحابي هو أعلم بالمراد .

الثاني : على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر ، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ، ولذا قال تعالى : ﴿ إذ نادَى ربَّه نِداءً خفيّاً ﴾ [مريم : ١٩/٣] ، ومن ثم استُحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً لأنها دعاء .

فإن قلت : فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوماً يهللون برفع الصوت في المسجد فقال : ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد .

قلت : هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم ، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة ، وهي مقدّمة عليه عند التعارض « أي المثبت متقدم على النافي » .

ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود . قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب (الزهد) ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا المسعودي عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ، ما جالست عبد الله مجلساً

إلا ذكر الله فيه ، وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال : إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله تعالى و إن عليهم من الآثام أمثال الجبال و إنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء .. انتهى ملخص رسالة السيوطي .

فقد تبين مما تقدم أن الجهر بالذكر مطلوب شرعاً ومرغّب فيه ، وهو أدعى إلى النشاط وصرف الخواطر ودفع الوساوس الشيطانية ، والدسائس النفسانية ، وأن نفعه متعدٍّ إلى الغير . وقد دلَّ على جواز رفع الصوت بالذكر زيادة على ما تقدم ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة - الصلاة - كان على عهد النبي ﷺ وكنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته .

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخافت في صلاته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة ، وكان عمر رضي الله عنه يجهر في صلاته ، فسأل رسول الله ﷺ أبا بكر عن فعله فقال : من أناجيه يسمع كلامي ، وسأل عمر فقال : أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان ، وأرضي الرحمن ، فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قليلاً ، وأمر عمر أن يخفضه قليلاً إشارة منه ﷺ إلى أن الاعتدال في الأمور كلها أسلم وأقوم . ألا ترى أنه ﷺ أقرَّ أبا بكر برفع الصوت وهو الجهر ، ولم يأمر عمر بالإسرار بل بخفض الصوت قليلاً وذلك ليس بالإسرار إرشاداً منه ﷺ إلى أن هناك صراخاً وخروجاً عن الحد المطلوب وجهر ، وقد بيَّن أن الجهر المعتدل هو المطلوب و إذا كان هذا في القرآن وهو أفضل الذكر فغيره كذلك بل أوْلى .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكُر ربّك في نفسِكَ تضرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ .. ﴾ قال : يستحب أن لا يكون الذكر نداءً ولا جهراً بليغاً .

ويقول الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله في كتابه (فتاوى شرعية) : « قوله تعالى : ﴿ واذكُر ربّك في نفسِكَ .. ﴾ إلخ ، ففيه مع الدلالة على طلب الذكر كل وقت ، والتحذير من الغفلة عنه ، وعلى مشروعية الذكر اللساني المصاحب للتوجه القلبي ، وعلى التضرع والخشوع فيه والخوف من الله تعالى تنبيه على الاقتصاد فيه بحيث يكون وسطاً بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى : ﴿ ولا تجهَر بصلاتِكَ ولا تُخافِت بها وابتَغِ بينَ ذلكَ سبيلاً ﴾ [الإسراء : ١٧/١١٠] .

أما حديث « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً » حينما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير في بعض الغزوات ، أي أشفقوا على أنفسكم ، فلا أراه إلا وارداً بحق الجهر المفرط الذي يؤذي الآخرين ، ويقلق به النائم ويتشوش وإن لم يكن ذلك كذلك ، فليس الجهر محظوراً لذاته كما روي عن ابن عباس في الحديث المتقدم من أنّ رفع الصوت دليل الانصراف عن الصلاة .

إن الجهر بالذكر ليس مقصوداً لذاته حقيقة ، ولا قربة في حدّ نفسه ، وإنما هو وسيلة للنشاط ودفع الكسل وطرد الوساوس والخواطر لأن الصوت في الوقت الذي يتردد إلى الآذان يسهل للقلب الالتفات إليه ، وهذا النفع إنما يحصل عند الجهر الخفيف المعتدل » .

وذكر الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح نقلاً عن كتاب (ذكر الذاكر للمذكور) للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما لفظه : « وأجمع العلماء سلفاً وخلفاً على استحباب ذكر الله تعالى جماعة في المساجد وغيرها من غير نكير إلا أن يشوّش جهرهم بالذكر على نائم أو مصلٍ أو قارئ قرآن كما هو مقرر في كتب الفقه » .

وذكر ابن الجزري في كتاب الحصن الحصين : « أن كل ذكر مشروع أي مأمور به في الشرع واجباً كان أو مستحباً لا يُعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع نفسه » .

فينبغي للذاكر إذا كان وحده أن يخفض صوته بالذكر ، وإن كان مع الجماعة شاركهم في الجهر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة لأن ذلك أشد وقعاً في القلب وأعظم أثراً . وليحذر أن يميز صوته عن الآخرين برفع أو خفض لئلا يشوّش على غيره ويفقد الذاكرون حضور القلب فيه ، ومن أجل أن يحصل لكل واحد ثواب ذكره وثواب سماع الذكر من غيره .

وقد شبه الله القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى : ﴿ ثمَّ قسَت قلُوبُكم من بعدِ ذلكَ فهيَ كالحجارةِ أو أشدّ قسوةً ﴾ [البقرة : ٧٤/٢] .

والحجارة لا تتكسر إلا بقوة فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بالذكر القوي ، والجماعة قوة ﴿ واعتَصِموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣/٣] .

الحركَةُ في الذِّكْرِ

الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، وعندما برزت الأجساد إلى عالم الوجود أودعت تلك الأرواح فيها .

والروح من طبعها السمو والتعالي عن صفات البشرية ، بل هي من مرافقات الملأ الأعلى ، فمن صفت روحه من شوائب الأغيار ، وطهرت من دنس الأوزار كان قريباً إلى العالم الروحاني الذي لا يغفل عن ربِّه ولا يلتفت إلا إليه .

ومن انكسفت أنوار روحه ، وغشتها ظلمات الوهم والشهوات هوى في سحيق عميق أودية البهيمية وكان ﴿ كالأنعامِ بل هُم أضلّ سبيلاً ﴾ [الفرقان : ٢٥/٤٤] .

وحينما يقرأ العبد القرآن ، أو يذكر الله تستمد الروح من ذلك طاقات فعالة ، وتكتسب قوة وصفاء ، فتهتز في الجسم ، وتضطرب شوقاً لمن ألفتهم من يوم ﴿ ألستُ بربِّكُم ﴾ ، وهذا هو سبب تحريك الإنسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكأن الروح تشتاق إلى القرب من حضرة ربِّها إذا سمعت كلامه أو اسمه ، فتكاد تلحق بعالمها وأفقها السماوي الروحاني حيث الملأ الأعلى وتتجرد من ظلمة هذا الجسد وتتخلص من عوائقه وعلائقه . ولكن الذي يعوقها ضعفها وكدورتها ، والقيود التي قيدها بها الجسد من شهوات وغيرها . فكم من رجال ملائكيين بأرواحهم ، ربانيين بأخلاقهم ، لا يقدرون على تثبيت أنفسهم أثناء الذكر لشدة اضطراب أرواحهم في أجسادهم وانفعال نفوسهم ، وربما غابوا عن إدراكهم وسبحت أرواحهم في عوالم الملكوت .

قال بعض العارفين : سبب اضطراب الإنسان بالصوت الحسن أن الروح تتذكر لذيذ الخطاب يوم ﴿ ألستُ بربِّكم ﴾ حين أخرجت من صلب آدم وخوطبت بذلك فتحنُّ لمّا تتذكر ذلك .

وقال آخر : قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول : هؤلاء المشتاقون إليَّ أشهدكم يا ملائكتي أني إليهم أشوق .

والحركة نوعان : حركة اختيارية ، وحركة اضطرارية .

فالحركة الاختيارية في حدّ الاعتدال مطلوبة لأنها أدعى إلى النشاط وصرف الأفكار الرديئة ، والخواطر الشاغلة . اللهم إلا إذا كانت على إيقاع معين كأنها الرقص بتثنياته وخفضه ورفعه فتكون حينئذٍ ممنوعة شرعاً ، لأن الأصل في الذكر الهدوء والسكينة من أجل تحصيل التذكر والتدبر وحضور القلب . والإنسان إذا أراد أن يتذكر أمراً فإنه يجمع تفكيره ، ويسكن جوارحه ، ويطلق لعقله وتفكيره العنان ، وعلى اعتبار أن الإنسان محل للوساوس والهواجس ، والخواطر الشاغلة ، وأن النشاط في العبادة أمر مطلوب ، لذلك استحب العلماء الحركة المعتدلة في الذكر دفعاً للكسل ، وقطعاً للملل ، وصداً للخواطر ، واستجلاباً للنشاط ، ولكن ضمن المسموح به شرعاً وهو الحاجة فهي وسيلة لغاية ، وللوسائل حكم المقاصد ، والوسائل تقدر بقدرها .

يقول عبد الباري الندوي في كتابه (بين التصوف والحياة) : « إن الحركة المعتدلة في الذكر قربة من القربات ، بل فيها حكمة طبية وهي : أن الحركة العنيفة تنشئ الحرارة ، والحرارة تولد اللين والرقة ، واللين والرقة يفضيان إلى التأثر ، والتأثر يساعد في الطاعة والحب اللذين هما من الغايات .

فالحركة لكونها سبباً لغاية كانت غاية بدون مباشرة ، والإكثار من الحركة العنيفة قد يفضي إلى خفقان القلب ، ولذلك يجب أن لا يتعدى صاحبها القصد في ذلك . إن طبائع القدماء وأذهانهم كانت قوية تستطيع أن تحتمل هزّ الرقبة يميناً وشمالاً بل إنها لم تكن تقبل التأثير والتغيير بدون ذلك لقوة طبائعهم ، ولذلك كانوا يفتقرون إلى ذلك ، أمّا الآن فقد طرأ الضعف ، وأصبح القلب يتأثر بأدنى جهد ، وأقلّ محاولة للأشغال فلا يحسن للطالب أن يأتي بها خارجة عن حدّ الاعتدال لأنه إن أتى بها فيكون من انحراف عقله وذهنه على خطر » .

إن الحركة العنيفة التي خرجت عن حدّ الاعتدال وكانت اختيارية ومتلقّاة بإشارات وإيقاعات معينة ممنوعة لمنافاتها الوقار والأدب من جهة ، والضرر الذي ربما تسببه لصاحبها من جهة ثانية .

قال الإمام الأخضري في منظومة التصوف :

والرقص والصراخ والتصفيق (عمداً) بذكر الله لا يليق

وإنمــــا المطلـــوب في الأذكار الــذكر بــالخشــوع والــوقــار
وغير ذا حركـــــة نفسيــــــة سببهـــا الغلبـــة القــويـــة
فـــواجب تنزيــــــه ذكر الله على اللبيب الـــــذاكر الأوّاه
عن كل مـا تفعلـه أهـل البـدع ويقتـدي بفعـل أربـاب الـورع

وأما الحركة الاضطرارية التي خرجت عن سيطرة صاحبها ، ولم يستطع ضبط نفسه وتمالكها فلا مؤاخذة عليها ، ولا يلام صاحبها ، لأن الانفعالات النفسيـة لا يمكن التحكم بهـا وضبطهـا أحيـانـاً . والـواجب يقضي تحسين الظن بمن صـدرت عنــه لكن لا يُقلَّـد ، ولا يجوز أن نتكلّف حركة كحركته لأن المعذور له أحكامه الخاصة بـه ولا تنطبق على من لا عذر له . وقد اختلف الفقهاء في الاهتزاز عند قراءة القرآن ، وانحط الحال على فعله بقـدر الحاجة للنشـاط ودفع الكسل ، وكـذلـك الـذكر لعـدم الفـارق ، لكن مع الأدب والوقـار فلا يتجاوز الحد المطلوب وإلا أصبح تلاعباً . هـذا فيمن تمـالـك حـالـه ، وضبـط أفعـالـه وكانت باختياره ، أما من غلب عليه حاله ، وسُلب بالـذكر اختيـاره ، وغـاب عن حسّـه وشعوره فلا حرج عليـه فيما يصنـع لأن أفعـالـه أضحت اضطراريـة ، والأحكام الشرعيـة تتعلق بما يصدر عن الإنسان من أفعال اختيارية ، لا بما استكن فيه من إنفعالات ومشـاعر قسرية . وذلك كما قال العارف :

وبعد الفنـا في الله كن كيفما تشـا فعلمك لا جهل ، وفعلـك لا وزر

قال العلامة المناوي رحمه الله : سئل جدّي شيخ الإسلام يحي المنـاوي رحمـه الله هل الاهتزاز في القراءة مكروه أم خلاف الأَوْلى ؟ فأجـاب : بـأنـه في غير الصلاة غير مكروه ، ولكن خلاف الأَوْلى ، ومحلّـه إذا لم يغلب الحـال ، أو احتـاج إلى نحـو النفي في الـذكر إلى جهـة اليمين والإثبـات إلى جهـة القلب ، وأمـا في الصلاة فمكروه إذا قـلَّ من غير حـاجـة ، وينبغي إذا كثر أن يكون كتحريـك الحنـك كثيراً من غير أكل ، وأن الصلاة تبطـل بـه ، والله أعلم .

ودلَّ على جواز الحركة والتمايل ما جاء عن سيدنا علي رضي الله عنه أنـه صلى الغـداة ثم جلس في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأنّ عليه كآبـة ثم قـال : لقـد رأيت أثراً من أصحـاب رسول الله ﷺ ، فمـا أرى أحـداً يشبههم ، والله كانوا ليصبحون شعثـاً غبراً صفراً

وجوههم ، بين أعينهم مثل رُكب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله ، إذا ذكروا الله تعالى مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح ، فانهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، والله لكأنّ القوم باتوا غافلين .

وقال سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله : « والذي نراه من بعض متصوفة عصرنا من الحركات الزائدة حال الذكر ؛ إن كانت من وجدٍ صحيح ، ووارد قوي ، أفقد صاحبه التماسك حتى غدت حركات كحركات المرتعش ؛ فلا إثم عليه ولا لوم ولا محذور ، وإنه في حالٍ غالبة ، وما لم يكن كذلك ، فإن لم تشبه حركاته حركات المخنثين فلا ؛ أيضاً . أما إن أشبهتها وكانت حركات جماعية بخفض ورفع على مقدارٍ معلوم ، لا يزيد أحدهم ولا ينتقص عن الآخرين شيئاً ولو يسيراً ، وكانت شبيهة بالرقص فإن الشرع يمنع من هذا ويُلزم الوقوف عنه الأدب الشرعي الإسلامي ، والذكر المحرّف ممنوع ، والواجب النطق باسم الله الكريم كما أنزله إلينا دون تغيير . والإنشاد مسموح فيه إن لم يكن حاوياً معاني غير صحيحة كالقول بالحلول وما إليه .. » .

الوَجْدُ والتَّواجُد

من الأمور المسلّم بها أن الإنسان يتأثر بالكلمة الطيبة ، ويهتز للصوت الرخيّ ، ويطرب للنغمة الحلوة والإيقاع الموزون ، ويأسره المنظر البهيج ، ولا يدري كيف تتم هذه الأمور في نفسه ، وأين محالها في ذاته ، فإن أراد التعبير عنها باللغة الموضوعة للتخاطب ، جاء تعبيره ناقصاً وتخونه العبارة إذا أراد أن يفصح عما يشعر به إفصاحاً واقعياً لأنها أمور لا تنال إلا بالذوق ، ويقف الحسّ أمامها مبهوتاً حائراً ، قد لا يستطيع ضبط نفسه عن ذلك التأثر ، فتصدر عنه أصوات أو حركات دون إرادته وقد ينتقده الآخرون عليها ، وينفعل بذلك ولكنه لا يملك التحكم بمشاعره وانفعالاته .

وهكذا قد يستولي حب الذكر على قلب صاحبه استيلاءً قوياً ، ويتمكن منه تمكناً لا يستطيع ضبط نفسه عنده ، وهذا ما عبّر عنه العلماء بـ (الوجد والتواجد) .

فالوجد كما قال الشيخ أمين الكردي في (تنوير القلوب) : « وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها فيدهش الروح ، أو يظهر ذلك على الجوارح فيهتز الرأس

ويشطح البدن ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦/٥٧] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢/٨] . فإن صاحب الخشوع القلبي ، والوجل بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس واعتبار أهل المجلس ، فيقوم ويقعد ويدور ويتواجد ، وربما يسقط على الأرض على حسب قوة استعداده لتحمّل الواردات الإلهية عليه ، ولا يجوز سوء الظن به ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢/٣٩] .

وفي بعض الآثار : « جذبة من جذبات الرحمن توازي عبادة الثقلين » .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام القشيري رحمه الله في كتاب (التحبير والتذكير) : « الواجد في اصطلاح هذه الطائفة : الذي أصابه الوجد ، ومعنى الوجد عندهم : ما يجده الإنسان ويصيبه في قلبه من الأحوال من غير تطلُّب ولا تكلُّف ، وقيل : الوجد مكاشفة الأسرار بمشاهدة المحبوب . وقيل : الوجد نيران الأنس تثيرها رياح القدس .

وقال المرتعش : من تواجد ، ولم ير في تواجده زيادة فينبغي أن يستحي ويتوب .

وقال أبو سعيد الخراز : كل وجد يظهر على الجوارح الظاهرة ، وفي النفس أدنى حُمولة له فهو مذموم (أي رؤية وتطلع) .

وقال النصراباذي : مواجيد القلوب تظهر بركتها على الأبدان ، ومواجيد الأرواح تظهر بركتها على الأسرار » .

☆ ☆ ☆

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين) : « الوجد ما يصادف القلب ويرد عليه من واردات المحبة والشوق والإجلال ، والتعظيم وتوابع ذلك ، والمواجيد فوق الوجد ، فإن الوجد : مصادفة ، والمواجيد ثمرات الأوراد ، وكلما كثرت الأوراد قويت المواجيد .

التواجد : نوع من تكلّف وتعمّل واستدعاء ، واختلفوا فيه ، هل يُسلّم لصاحبه أم

لا ؟ على قولين : فطائفة قالت : لا يسلم لصاحبه ويُنكر عليه لما فيه من التكلّف والتصنع المباين لطريق الصادقين وبناءه هذا الأمر على الصدق المحض .

وطائفة قالت : يُسلّم لصاحبه إذا كان قصده استدعاء الحقيقة لا التشبه بأهلها » .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) : « الوجد رقّة نفسية ، وهزّة قلبية ، ونهضة روحانية ، وهو ما كان يبدو على جملة من أصحاب رسول الله ﷺ وهو البكاء ، واقشعرار الجلد التابع للخوف الآخذ بمجامع القلوب وبذلك وصف الله عباده في كلامه حيث قال : ﴿ اللهُ نزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مثانيَ تقشعرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخشَوْنَ ربَّهُم ثمَّ تلينُ جلودهُم وقلوبهُم إلى ذكرِ اللهِ ﴾ [الزُّمر : ٢٣/٣٩] .

☆ ☆ ☆

وفي كتاب القواعد لابن زروق القاعدة /١٤٠/ « يعذر الواجد بحالة لا يملك نفسه فيها ، وله حكم المجنون في حاله بسقوط اعتبار أفعاله ، وعدم جري الأحكام عليه وينتفي جواز الاقتداء به » .

☆ ☆ ☆

وقال السيد محمد بهاء الدين المشهور بالرواس رحمه الله في كتابه (مراحل السالكين) مبيناً الوجد الصادق من الوجد الكاذب قال : « **فما كان عن هزّة قلب من غير قصدٍ** كان وجداً صالحاً ، وما كان عن تكلّف وهمّ كان تواجداً كاذباً .

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي كما نقله عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمهما الله تعالى في كتاب (اليواقيت والجواهر) : « لا ينبغي للأشياخ أن يسلّموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه إحساس بمن في المجلس ، ولا تُسلّم له حركةً إلا إن غاب ، ومهما أحسّ بمن في المجلس تعيَّن عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرون أنه متواجد لا صاحب وجد فيسلّم له ذلك علماً أن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها » .



وقال الإمام الكلاباذي في كتابه (التعرُّف لمذهب التصوف) : « ومعنى الوجد : هو ما صادف القلب من فزع ، أو غم ، أو رؤية معنىً من أحوال الآخرة ، أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل . قالوا : وهو سمع القلوب وبصرها ، فمن ضعف وجده تواجد ، والتواجد ظهور ما يجده في باطنه على ظاهره ، ومن قوي تمكن فسكن .

قال النوري : الوجد لهيب ينشأ في الأسرار ، ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند الوارد . وقالوا : الوجد مقرون بالزوال ، والمعرفة ثابتة بالله تعالى لا تزول ، وأنشدوا للجنيد رحمه الله :

الوجد يُطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقودُ
قد كان يُطربني وجدي فأشغلني عن رؤية الوجد ما في الوجد موجودُ

والغلبة : حال تبدو للعبد لا يمكن معها ملاحظة السبب ، ولا مراعاة الأدب ، ويكون مأخوذاً عن تمييز ما يستقبله ، فربما خرج إلى بعض ما يُنكِر عليه من لم يعرف حاله ، ويرجع على نفسه صاحبه إذا سكنت غلبات ما يجده » .

☆ ☆ ☆

ورد أن النبي ﷺ صعد أُحداً يوماً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فاهتزَّ الجبل فرحاً وتحرّك طرباً وزهواً بمن علاه ، فضرب رسول الله ﷺ الأرض برجله وقال : « اثبت أُحد ، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان » . وورد : « أن أُحداً جبل يحبنا ونحبّه » .

إن الجبال الرواسي قد طربت واهتزت فرحاً برسول الله ﷺ ومحبة فيه ، فكيف حال المؤمن الصادق الذي وَله بذكر محبوبه ، واستولى حبه على قلبه ؟ لكن السكون أَوْلى والتماسك وضبط النفس مع القدرة هو المطلوب أخذاً من قوله ﷺ : « اثبت أُحد » . إن التواجد الحق الذي لا يلام صاحبه عليه ما كان غير متعمد ولا متكلّف ولا متصنّع ، ولم يكن عبثاً وشهوة نفسية خفية ، وتلاعباً ، والله أعلم بالنيات ، وعلينا تحسين الظن بالناس وكلٌّ أعلم بنفسه ﴿ بلِ الإنسانُ على نفسِهِ بصيرةٌ ﴾ [القيامة : ١٤/٧٥] .

☆ ☆ ☆

قال الإمام القشيري رحمه الله في الرسالة : « فالمريد لا تسلم له الحركة بالاختيار البتة ، فإن ورد عليه وارد حركة فلم يكن فيه قوة فبمقدار الغلبة يعذر ، فإذا زالت الغلبة يجب العود والسكون ، فإن استدام الحركة مستجلباً للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح » .

☆ ☆ ☆

وقام الإمام اليافعي في كتابه (نشر المحاسن الغالية) : « .. يتقي الصادق استدعاء الوجد ، ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن لا سيما بحضرة الشيوخ .. فليتق اللهَ ربّه ولا يتحرّك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك ، وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرّد العطسة ، وتكون حركته بمثابة اَلنَفَسٍ الذي يَتنفس ، تدعوه إلى التنفس داعية الطبع قهراً .

قام رجل يتواجد في حضرة ذو النون المصري رحمه الله فقال له : ﴿ الَّذي يراكَ حينَ تقومُ ﴾ [الشُعراء : ٢٦/٢١٩] . فجلس الرجل .

☆ ☆ ☆

قالوا : للمريد الصادق أن يتواجد طلباً للحقيقة بمنزلة التباكي المأمور به لما روي « اقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » .

قلت : قال ابن حجر رحمه الله في كتابه (كفّ الرعاع) : وتمسّكوا أيضاً بما جاء « إن لم تبكوا فتباكوا » . وجوابه : أن التباكي يفضي إلى البكاء غالباً الذي هو مطلوب شرعاً ، والتواجد بالحركة لا يفضي إلى الوجد غالباً فافترقا ، ولم يجز حمل أحدهما على الآخر ، ولو سلمنا أنه يفضي إليه غالباً ، فلا نسلّم أن الوجد مطلوب شرعاً لأنه لا يدخل تحت اختيار العبد بخلاف البكاء ثم العجب أن المحققين من شيوخ هذه الطائفة قالوا : إن التواجد غير مسلّم لصاحبه لما يتضمنه من التكلف والتصنع والرياء .

قال السهروردي : التواجد من الذنوب ، فليتق الله ربّه ، ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك .

وقال السّري : شرط الواجد في وجده أن يبلغ وجده إلى حدّ لو ضُرب وجهه بالسيف لم يشعر به .

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير : قلت لجدّتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ القرآن ؟

قالت : كانوا كما وصفهم الله تعالى في كتابه : تدمع أعينهم ، وتقشعر جلودهم .

قلت : إن أناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشيّاً عليه ، قالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . إن عبد الله بن عمر مرَّ على رجل من أهل العراق يتساقط فقال : أما يخشى وما يسقط إن الشيطان يدخل في جوف أحدكم ما هكذا يصنع أصحاب رسول الله ﷺ .. إلخ ، وهذا الإنكار من هؤلاء السلف إنما هو على المتكلفين المتواجدين .

☆ ☆ ☆

قلت : إن الذي أفهمه من حديث « فإن لم تبكوا فتباكوا » أن البكاء أثناء التلاوة لا ينتج إلا من رقة في القلب وصفاء في الروح ، وطهارة في النفس ، أو بنفحة قدسية من نفحات الله سبحانه ، فإن لم يجد التالي ذلك « فليتباك » باتخاذ الوسائل التي تحطم الحجب الكثيفة عن قلبه ، وتزيل الكدورات عن نفسه ، وتغسل لوثات نجاسات الذنوب فحينئذٍ يحصل البكاء ، أما التظاهر بالبكاء مع قسوة القلب والإغراق في الماديات ، والرتع في الشهوات والضلالات ، وعدم تحليل الحلال ، وتحريم الحرام ، وتحكيم الشرع في كل القضايا والمشكلات فهذا مما يتنافى ومقصد حضرة الرسول ﷺ . وإن كان لا يوافق على هذا المعنى بعض الواقفين على المعنى الحرفيّ للحديث .

إن التواجد الحق لا يصدر إلا عن الكاملين المتمكنين بحقائق الشريعة ، الذين اهتدوا بهديها ، واستناروا بنورها ، وسلب اختيارهم بوجدهم . **ولذلك قال ابن عابدين رحمه الله في بعض رسائله كما ذكر صاحب كتاب (النصرة النبوية) :**

ما في التواجد إن حققت من حرج ... ولا التمايل إن أخلصت من بأس
فقمت تسعى على رجل وحُقّ لمن ... دعاه مولاه أن يمشي على الرأس

والرخصة فيا ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع إنما هي : للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال ، السالكين المالكين لضبط أنفسهم عند قبائح الأحوال ، فهم لا يسمعون إلا من الإله ، ولا يشتاقون إلا لله ، إن ذكروه ناحوا ، وإن شكروه باحوا ، وإن وجدوه صاحوا ، وإن شهدوه استراحوا ، وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا ، إذا غلب عليهم الوجد بغلباته ، وشربوا من موارد إراداته ، فمنهم من طرقته الهيبة فخرَّ وذاب ، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرّك وطاب ، ومنهم من طلع عليه الحبّ من مطلع القرب فسكر وغاب .. » .

فلا يدَّعينَّ ذلك أحد لنفسه من غير بيِّنة ، ولا يتطاول إلى هذا المقام من غير دليل ، وليتأدب بأدب الملائكة الكرام حيث قالوا ﴿ وما منّا إلاّ لهُ مقامٌ معلومٌ ﴾ [الصَّافات : ٣٧/١٦٤] ، وإلاّ فالله يعلم السرّ وأخفى ويعلم ما يبدي كلّ منا وما يخفيه وهو عليم بذات الصدور .

☆ ☆ ☆

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح : « وأما الوجد فهو مراتب ، وبعضه يسلب الاختيار ، فلا وجه لمطلق الإنكار ، وفي التتارخانية : ما يدل على جوازه للمغلوب عليه الذي حركاته كحركات المرتعش » .

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ أمين الكردي في كتابه (تنوير القلوب) مشيراً إلى الوجد الصادق الصادر عن سلب الاختيار : « فإذا تمكن منك هذا الوجد أدهشك ، فإذا أدهشك حيّرك ، فأنت ههنا مريد ، فإذا ما تحيَّرك أخذك منك ، وسلبك عنك فتبقى مسلوباً ، ثم مجذوباً . وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى شيء من ذلك حيث يقول :

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله	إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا	ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى	إذا ذكر الأوطان حنَّ إلى المغنى
يفرّج بالتغريد ما بفؤاده	فتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى

ويرقص في الأقفاص شوقاً إلى اللقا ويُطرب أربـاب العقـول إذا غنّى

كـذلـك أرواح المحبين يـا فتى تهزهـزهـا الأشـواق للعـالم الأسنى

أنلـزمهـا بـالصبر وهي مشـوقـة وهل يستطيع الصبر من شـاهـد المعنى

فيـا حـادي العشـاق قم وأحْدِ قـائمـاً ودندن لنـا بـاسم الحبيب وروّحنـا

وصن سرّنـا في سكرنـا عن حسـودنـا وإن أنكرت عينـاك شيئـاً فسـامحنـا

فـإنـا إذا طبنـا وطـابت قلـوبنـا وخـامرنـا خمر الغرام تهتكنـا

فـلا تلُم السكران في حـال سكره فقـد رفـع التكليف في سكرنـا عنّـا

وسلّم لنـا فيما ادعينـاه إننـا إذا غلبت أشـواقنـا ربمـا بُحنـا

شربنـا ، طربنـا ، ثم همنـا صبـابـة فبـالله يـا خـالي الحشـا لا تعنفنـا

ومن صحة الوجد أنه يعطي قوة في حال سماعه زائدة على قوّتـه في حـال الصحو كأن يحمل شيئاً ثقيلاً أو نحوه .

ورحم الله امرأ عرف حـدّه فـوقف عنـده وراقب الله في سرّه وعلنـه وتمثـل قـول الله عز وجل دائماً ﴿ الَّذي يراكَ حينَ تقومُ ﴾ [الشُّعراء : ٢١٩/٢٦] .

وأما الاحتجـاج بحـديث : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » ، فهو وارد في حق الإكثار من الذكر لا في حق تلك الحركات المنضبطة والموزونـة والمصطنعـة والخـارجـة عن الاعتدال المطلوب ، والتي هي أشبه بحركات المجانين .

وأما الاحتجاج بقول الشاعر :

إن لم تكـونـوا مثلهم فتشبهـوا إن التشبـه بـالكرام فـلاح

لا يصلح للاستشهاد في مثل هذه الحـالات لأن التشبـه مطلوب في السلوك والأعمال وليس في الأحوال ، لأن الأحـوال ليسَت مختـارة وهي أمـور طـارئـة على النفس لا دخـل للكسب فيها ، وإنما هي محض سلب الشعور ، والفيض الإلهي والمدد الربـاني ، فـالأحوال مواهب ، والمقامـات مكاسب . والأحوال تـأتي من غير الوجود ، والمقـامـات تحصل ببـذل المجهود .

العِلاجُ الصَّحِيحْ
أو حقيقة الذّكر الشَّرعي

من المعلوم أن لكل داء دواء ، ولكل علّة علاج ، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله تعالى ، وإذا كان الوصف دقيقاً وواقعياً واستعمال الدواء ضمن إرشاد الطبيب من غير زيادة ولا نقصان تيسّر الشفاء ، وقضى على العلة وانمحت آثارها . وإذا اختلّ تركيب الدواء ، ولم يكن استعماله حسب إرشاد الطبيب المختص فإن الشفاء قد يتعذر ، وتطرأ مضاعفات تزيد من خطورته ، وربما أودت بصاحبه إلى الهلاك والقضاء عليه .

هذه هي السُّنة المتّبعة في علاج أمراض الجسم والتخلص من عِلَله ، وكذلك الأمر يطّرد في علاج الروح وتصفيتها ، وتخليصها من عوائقها وعلائقها ، وإنقاذها من عللها وأمراضها ، ولهذا كانت العبادات في الإسلام مبنية على قواعد ثابتة ، وضمن إطار عام لا تخرج عنه حتى تكون صحيحة وتؤدي وظيفتها في العلاج .

وقد ذكرت أن العلاج الذي أعده الإسلام للروح ونمائها وتقويتها وصقلها وطهارتها وإشراقها هو ذكر الله عز وجل المستمد من كتاب الله الكريم والسُّنة الشريفة . لقد أنزل الله سبحانه كتابه العظيم والقرآن الحكيم ، وجعله معجزة كبرى ، ومنقبة عظمى لن ولن يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ كتابٌ أُحكِمَت آياتهِ ثمَّ فُصّلت من لدنِ حكيمٍ خبيرٍ ﴾ [هود : ١/١١] . هذا الكتاب الذي ﴿ لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا مِن خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ﴾ [فصّلت : ٤٢/٤١] . فيه سعادة الأبد لمن وقف على تعاليمه ، وأخذ بأحكامه ، ودرسه دراسة متكاملة ، وأكثر من تلاوته ليل نهار .

ومن المعلوم أنه لا يحق لقارئ القرآن أن يقرأه هذرمة ، أو يلحن في قراءته ، أو يزيد فيه حرفاً ، أو ينقص منه آخر ، بل الواجب يقضي عليه أن يقرأه بترتيل ، ويتدبر معانيه بإمعان ، وأن يراعي أحكام التجويد والقراءات لتكون قراءته مرضية .

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجوّد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إليه وصلا

مع العلم أنه لا يجوز زيادة حرف عن طريق إشباع حركة بمدّ ، أو نقصان آخر بقصره ، ولا يجوز الترقيق محل التفخيم ، ولا التفخيم محلّ الترقيق ، ولا مدّ ما يستحق القصر ، ولا قصر ما يوجب المدّ . فهذا أمر مسلّم به ، ومعلوم لدى الجميع .

والذكر بـ (لا إله إلا الله) أو (الله) هو من القرآن ﴿ فاعلَم أنّهُ لا إلـهَ إلاّ اللهُ ﴾ [محمد : ١٩/٤٧] . ﴿ قُل : اللهُ ثُمَّ ذرهُم في خوضِهِم يلعبونَ ﴾ [الأنعام : ٩١/٦] . ﴿ ولئن سألتَهُم من خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ : اللهُ ﴾ [لقمان : ٢٥/٣١] . إذن فلا يجوز اللحن فيهما ، ولا النطق بهما على خلاف ما ذُكرا في القرآن الكريم .

ومعلوم أيضاً أن حضرة الرسول الكريم ﷺ هو أفصح من نطق بالضاد ، وكلامه منزّه عن الركاكة والتشويه وفساد النطق ، وأنه أوتي جوامع الكلم ونوابغ الحكم ، واختصر له الكلام اختصاراً ﴿ وما يَنطقُ عنِ الهوى ۞ إن هُو إلاّ وحيٌ يوحَى ﴾ [النجم : ٣/٥٣-٤] . وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « أفضل ما قلته أنا والنّبيون من قبلي : لا إله إلاّ الله » ، وهو القائل : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : الله الله » . هكذا ينطق رسول الله ﷺ كلمة التوحيد ، ولفظ الجلالة نطقاً واضحا لا عوج فيه ولا أمتاً ، ولا زيادة ولا نقصان ، ولا خلط ولا خبط .

ومعلوم عند علماء الحديث ومتتبعي الأسانيد والروايات : أنه إذا ورد حديث ما ، وآخر بخلاف الأول سواء كان بزيادة بعض الكلمات أو بعض الحروف أو نقصانها فإنهم يجعلون لكل لفظ رواية .

مثال على ذلك ، قوله عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » ، وورد « بالنية » وورد « بالنيات » ، وكلا الروايتين صحيحة فيقولون : « إنما الأعمال بالنيات » ، وفي رواية « بالنية » ، كل ذلك من أجل حفظ الكلم المحمدي وصونه من الحذف والتغيير والتبديل ، وحرصاً على اللفظ الذي نطق به ﷺ .

مثال آخر : قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي » ، وهو دعاء علّمه ﷺ أبا بكر الصدّيق ليقرأه حينما ينتهي من تشهده ، فورد بلفظ « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً » وورد بدل « كثيراً » « كبيراً » ، فالرواة رحمهم الله يقولون ورد بصيغة « كثيراً » وفي رواية « كبيراً » ، ولا يردون إحدى الروايتين لأنها

صحيحتان والفارق بينهما يسير وهو : إبدال (الثاء) (باءً) . كل ذلك حرصاً على كلام رسول الله ﷺ من التغيير والتبديل .

والذكر بـ (لا إله إلا الله) أو (الله) هو من السّنة أيضاً فوجب بمقتضى ذلك الحفاظ على اللفظ الوارد دون تحريف أو تشويه .

هذا هو العلاج الصحيح الذي من استعمله على هذا النحو تخلص من أمراضه النفسية وعلله القلبية ولوثاته الروحية وسارع إليه الشفاء ، وما سوى ذلك من ألفاظ مشوهة فإنها داء لا دواء فيها ، وهذا هو سبيل المؤمنين ، وطريق المتقين ، وهديهم وعلاجهم فبهداهم اقتده ﴿ ومن يبتغِ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ نولِّهِ ما تولَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ وساءت مصيراً ﴾ [النِّساء : ٤/١١٥] .

أقوالُ العُلَماء في حَقِيقَةِ الذِّكْرِ الشَّرعي

قال السيد عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في كتابه (لطائف المنن) الجزء الثاني نقلاً عن الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله في كتابه (نتائج الأفكار) :

« وينبغي لمن يذكر الله تعالى بالجلالة : أن يحقِّق الهمزة ، ويسكِّن الهاء ، (أي يظهر الهمزة التي في أول لفظ الجلالة « الله ») ، فإن فتح الذاكر الهاء ، وأسقط الهمزة ، ووصل الهاء باللام المدغمة كان تلفظه بها كتلفظه بكلمة (هلاّ) فلا تنتج له شيئاً من الخصائص لأنه تعالى ما هو مسمى بذلك الاسم ، إذ هو كلمة تحضيض كلوما ، ولولا .. ثم قال رحمه الله : وصورة الذكر بالجلالة أن يقول : الله ، الله ، الله ، حتى ينقطع نفسه بتحقيق الهمزة في أوله ، وسكون الهاء في آخره ، وهكذا كل ذكر يذكر العبد ربّه عزّ وجلّ أن لا يحرك آخره بل يسكّنه ، ويحقّق أوله . ومن لم يذكر كذلك لا يجد لذكره نتيجة لأنه سبحانه وتعالى ما هو مسمى ذلك الاسم المصحّف ، والمقصود الذكر باللفظ الصحيح ، ولو أنه تصوّره في خياله على الصواب لا يفيد إذ اللفظ هو الدعاء ، والإجابة لا تكون إلا لمن ينادي باسمه الصحيح ، وليس لله تعالى اسم (هلاّ) مثلاً إذا فتح الهاء ووصلها باللام المدغمة ، بل ذلك اسم كون من الأكوان حتى أن الذاكر لو بدّله في لحن آخر

وقصد به هـذا المعنى الملفوظ بـه في لسـان العرب لا ينتج لـه شيئـاً إذ الإنتـاج إنمـا هو لهـذا التركيب الخاص بالحروف » .

☆ ☆ ☆

فعلى الذاكر أن يحرص على اللفـظ الصحيح ، والنطق الصريح ، وليحـذر من اللحن لأن لكل حرفٍ من حروف الأذكار كما هي خاصيته ونوره .

☆ ☆ ☆

قالوا : إن صورة هذا الذكر إنما هو ذكر الخلوة ، وفي الجلوة على الـذاكر أن يسرع في ذكره لإنماء الحال في نفسه .

قلت : هذا حق في نفسه من حيث المبـدأ ، ولكن هل يعني الإسراع أن نحرّف اللفـظ الكريم ، وأن تصـدر عنـا تلـك الأصـوات المنكرة التي لا يستبين بهـا لفـظ ، ولا يتميز بهـا حرف ، ولا يُفقـه لهـا معنى ؟! هـل يعني الإسراع أن نتصـور اللفـظ الكريم في أذهـاننـا صحيحـاً ، ولـو خرج من ألسنتنـا مشوّهـاً ؟ اللهم لا هـذا ولا ذاك ، ومـا هـو النطق الصحيح ، واللفظ الصريح .

☆ ☆ ☆

وقال ابن عطاء الله الاسكندري أذاقنا الله حلاوة مشربه رحمه الله في كتابه (القصد المجرد لمعرفة الاسم المفرد) : « فتنبّه أيّدك الله تعالى في هذه الآيـات ، وفي أمثـالهـا كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله ، ونفي ما سواه ، وإثباته إياه ، فكل اسم من أسمائـه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته ، وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه ، فإنـه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء » .

وحاصل معنى الجملة الأخيرة : أنـه لا يتم الـذكر الكامل بهـذا الاسم إلا بـإظهـار سـائر حروفه ومنها الهاء في آخره .

☆ ☆ ☆

وقـال الشيـخ محمد المنير في كتـاب (تحفـة السـالكين) : « وليحـذر من اللحن في (لا إلـه إلا الله) لأنهـا كلمـة من القرآن ، قـال الله تعـالى : ﴿ ورتّـلِ القرآنَ ترتيـلاً ﴾

[المزمّل : ٤/٧٣] . وقال عليه الصلاة والسلام : « ربّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه » ، فهي كلمة من القرآن يجب تجويدها على تاليها ، ومعرفة مبانيها ومعانيها ، فيمدّ على اللام بقدر الحاجة ، ويحقّق الهمزة المكسورة بعد (لا) ولا يمدّ عليها أصلاً ، ويفتح (الهاء) من (إله) فإنك إذا لم تحققها قلبت ياءً ، وكذا (إلا) ، وتسكين آخر لفظ الجلالة (الله) .
قال سيدي الشيخ يوسف العجمي : وما ذكره الأشياخ من هذه الآداب للذّكر محلّه في المريد الصاحي المختار المكلّف بالشرع ، أما مسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأسرار والأذواق واللوامع والأنوار ، فقد يجري على لسانه : الله ، الله ، أو : هو ، هو ، أو : لا ، لا ، أو : آه ، آه ، أو صوت بغير حرف ، أو اختباط ، أو بكاء ، أو صراخ ونحوه .. » .

ومن ذلك تبين أن الذاكر الصاحي المختار عليه أن يتقيد باللفظ الصريح والنطق الصحيح ، ولا يجوز له تقليد من سلب اختياره ، وسيطر عليه الانفعال النفسي ، فليس من له عذر كمن لا عذر له ، والرخص منوطة بأصحابها لا تتعداهم إلى غيرهم .

فليتنبه الذاكرون إلى هذا ، وليذكروا الله على علم وبصيرة ، وليحذروا التقليد الأعمى والتعصب المقيت لأقوال وأحوال بعض الشيوخ التي لا تستند إلى منطق سليم ، ولا تستمد حقائقها من كتاب أو سنّة ، أو نقل صحيح ممن يعتدّ به .

☆ ☆ ☆

وقال سيدي الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي رحمه الله تعالى في كتابه (رياضة الأسماع في أحكام الذكر والسماع) : « تنبيهات : ليحذر الذاكر بلا إله إلا الله من قلب الهمزة ياءً من (إله) فيقول : لا إيلاها إلا الله ، ومن إشباع فتحة الهاء من (إله) أيضاً حتى تصير ألفاً فيقول : لا إلها إلا الله ، ومن إشباع ضمة الهاء من الاسم العظيم حتى تصير واواً فيقول : لا إله إلا اللهو . قال سبحانه : ﴿ فاعلم أنّه لا إلـهَ إلاّ الله ﴾ . وبهذا جاءت الأحاديث من غير زيادة ولا نقص . وليحذر أيضاً في قوله : محمد رسول الله من إشباع فتحة الحاء حتى تصير ألفاً فيقول : « محامّد » ، قال الله سبحانه : ﴿ محمّد رسول الله ﴾ [الفتح : ٢٩/٤٨] ، ومثل هذا ما يقع من كثير من المكبّرين في أيام العيد من قولهم : « الله أكبار ، ولله الحامد » ، وهذا يقع غالباً من المؤذنين فليفهم هذا وأمثاله ويترك .

ومن كان إماماً لجماعة يذكرون الله تعالى فحيث خرجوا عن الحدّ فعليه أن يسكت ليسكتوا ، فإن لم يسكتوا أسكتهم ، فإن من آداب الذكر أن يكون على أكمل الصفات متذللاً خاشعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه لا خبط ولا خلط . هذا أسلوب الذكر وعليه أهله نفعنا الله بهم .. ثم ذكر أحكاماً كثيرة وبعض الفتاوى حول تحريف لا إله إلا الله فليراجعها من أحبّ الاطّلاع عليها .

ثم قال : إن مجلس الذكر الذي اصطلح عليه عند السادة الرفاعية أهل المحجة المرضية ، وهو مجلس يكون بعد أداء الصلاة المفروضة وما يتبعها من السُّنن المعروفة يجتمع فيه الإخوان على صدق نيّة ، وإخلاص ، وسكينة ، وأدب وخشوع ، ويفتتح بتلاوة الفاتحة وكثير من الآيات والسور القرآنية والصلوات الطيبة على ساكن طيبة الزكية عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ألف ألف صلاة وسلام وتحية ، ثم يبادر فيه جهراً لتلاوة ذكر الله والقوم قاعدون بنص (لا إله إلا الله) ثم يقول أهل المجلس على هذا ثم تنتقل طبقة الذكر إلى قول (الله) بلفظ صريح ونطق صحيح » .

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في كتابه (الأنوار القدسية) :

« وليحذر الذاكر من اللحن في (لا إله إلا الله) فإنها من القرآن ، فيمدّ على لام النفي بقدر الحاجة ، ويحقق الهمزة المكسورة بعد (لا) ، ولا يمدّ عليها أصلاً ، ويمدّ على اللام التي بعدها مدّاً طبيعياً ، وينطق بالهاء بعدها مفتوحة بغير مدّ بالكلّية ، ثم ينطق بالهمزة من حرف الاستثناء مكسورة مخففة بغير مدّ أيضاً ، ولا يمدّ على لام الألف بعدها مدّاً ، ثم ينطق بالجلالة فيمدّ على اللام ويقف على حرف الهاء بالسكون إن وقف . وكذلك ينبغي اجتناب المدّ على حرف الهاء من (إله) فيتولد منه ألف ، وذلك تحريف للقرآن ، وكذلك النطق بالهاء من الجلالة ممدودة حتى ينشأ منها واوٌ .

قال سيدي علي بن ميمون بن عراق رضي الله عنه : وهذا اللحن كله قد أخذته فقراء العجم والروم . واتّباع السُّنة المحمدية والسلف هو المطلوب » .

☆ ☆ ☆

وذكر **الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه (الحاوي)** وفي المجلد الثاني منه في الأجوبة على الأسئلة المائة قال : « إن إحداث الألحان في الذكر بدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ ، ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا السلف الصالحين ، فإن انضم إلى ذلك تمطيط الأحرف والإشباع في غير موضعه ، والاختلاس في غير موضعه ، والترقيص والتطريب ، وتعويج الحنك والرأس فهذا مغنٍّ لا ذاكر ، وأخشى عليه أن يجاب من قبل الله باللعنة ، فإن سرّ الذكر إحضار عظمة الله وهيبته في القلب بخشوع وخضوع وإعراض عما سواه ، والملحّن في شغل شاغل عن ذلك ، وليعرض الإنسان على نفسه أن لو وقف شخص تحت بيته ونادى آه يا سيدي فلان وكرّر ذلك بهذا التلحين والترقيص أكان يرضيه ذلك ، أو يعدّه قليل الأدب ؟ فالتأدب مع الله أولى وأحق » .

☆ ☆ ☆

وفي **كتاب قواعد التصوف لابن مرزوق** : « من آداب الذكر التزام أدب الذكر من كونه شرعياً أو في معناه ، بحيث يكون بما صحّ واتّضح ، وذكره على وجه السكينة ، وإن مع قيام مرة وقعودٍ أخرى لا مع رقص وصياح ونحوه فإنه من فعل المجانين كما أشار إليه الإمام مالك رحمه الله لما سئل عنهم أمجانين هم ؟ وغاية كلامه الاستقباح بوجه المنع فيه أحرى فافهم .

☆ ☆ ☆

وقال **الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى في كتابه (فتاوى شرعية)** : « مما يجب التنبّه إليه أن كثيراً من حلقات الأذكار الحاليّة يقترن بها بدع ومحرمات ، فمن تحريف في أسماء الله تعالى ، إلى التزام هيئات بشعةٍ ، وحركات مستهجنة ، إلى أعمال جاهلية وشعوذة شيطانية لا يقرّها الشرع ، ولا يعرفها الدين الخالص » .

☆ ☆ ☆

وقال **الشيخ عبد الله الهرري الحبشي في كتابه (صريح الإيمان)** : « ومنها : أي من البدع العملية السيئة : تحريف اسم الله كما يحصل من كثير من المنتسبين إلى الطرق ،

فإن بعضهم يبـدؤون بـ (الله) ثم إمـا أن يحـذفوا الألف التي بين اللام والهـاء فينطقون بهـا بلا مدّ ، وإما أن يحذفوا الهـاء نفسهـا فيقولون (اللاّ) ، ومنهم من يقول (آه) وهو لفـظ موضوع للتوجع والشكاية بإجماع أهل اللغة ، قـال الخليل بن أحمـد : لا يجوز حـذف ألف المدّ من كلمة (الله) .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام المناوي في كتابه (فيض القدير) : « وحذف ألفه ـ أي لفظ الجلالـة ـ لحن يبطل الصلاة لانتفاء المعنى بانتفاء بعض اللفظ الموضوع ، ولا ينعقد به اليمين لابتنائه على وجود الاسم ولم يوجد » .

قلت : إذا لم تصح الصلاة ولا ينعقـد اليمين بهـذا اللفـظ المحرف ، فكيف يصح الـذكر به ؟!

☆ ☆ ☆

نشرت مجلة العشيرة المحمدية المسماة مجلة المسلم فتوى في بيـان الـذكر الحلال والـذكر الحرام للشيخ سليم البشري رحمـه الله ، وكان من أكابر علمـاء الأزهر في عـدد شعبـان لسنـة ١٣٧٤ هـ ، وهذا ملخص تلك الفتوى وجوابها :

سئل رحمه الله عن حقيقة الـذكر الشرعي ، ومـا قولـه في ذكر غـالب المتصوفـة لهـذا الـزمـان حيث افترقـوا فرقـاً فمنهم من يقـول : « لا إيلهـا إلا الله » بـإشبـاع همـزة « إلـه » فتولدت عنهـا يـاء ، وإثبـات ألفهـا مع شـدة صوت غليـظ . ومنهم من يقول : « لا ايلهـا إلا الله » بتفخيم أداة النفي مع إخراجها من أقصى الحلق والغلظ وإبدال همزة (إلـه) يـاءً ، وإشباع هائه فتولدت عنها ألف ، وقصر لفظ الجلالة جداً عن المـدّ الطبيعي مع قوة صوت منكرٍ وأنهم يـزجرون أتبـاعهم إذا ذكروا بـالاسم خـالصـاً كما جـاء بـه القرآن ، ونطـق بـه النبي ﷺ وأصحابه وأئمة المسلمين ، ويوبخونهم على ذلك ويقولون : أخرجوه مثلنـا لأجل أن تستنير قلوبكم ، وربمـا طردوا من لم يوافقهم . تـارة يقـولـون : « لـوّ إلـوّاهـا إلا الله » بتفخيم اللام وضمها مع الفظاظة الشديدة والإشباع فتولدت عنها واو ، وإبـدال الألف واواً مشدّدة ، وقصر لفظ الجلالة جداً عن المدّ الطبيعي ، وربما أسرعوا فلا تسمع لهم إلا أصواتـاً

كأصوات النائحين على الجيفة إلى غير ذلك من الحالات التي شاعت مشاهدتها منهم في غالب الجهات .

وتارة يذكرون بلفظ الجلالة وحده فمنهم من يقول « آلله ، آلله » بمدّ الهمزة مع التفخيم الغليظ كصوت من في حلقه حجر ، وقصر لفظ الجلالة عن المدّ الطبيعي . وتارة يقولون « آلله » بالسكون مع القصر ، وقد يسرعون فيقولون : « هلّ ، هل ، هل » بهاء مضمومة ولام غليظة ، وتارة يقولون : « آله ، آله » بهمزة ممدودة ولام قوية الغلظ وهاء ساكنة ، إلى غير ذلك من الأصوات الساذجة كما هو مشاهد منهم .

ومنهم من يقول « اح ، اح » بهمزة وحاء ساكنة ، ومنهم من يقول : « الله حاي » بقصر الجلالة مع سكون الهاء ، ومدّ « حي » نحو العشر حركات .

فكان الجواب ملخصاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله وبعد : فإن ذكر الله تعالى الوارد فضله في الكتاب والسُّنة المقدسة هو المتلقى من رسول الله ﷺ بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة ، ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام أفصح العرب والعجم ، وأبلغهم ، وأصحابه الآخذون عنه هم من الفصاحة والبلاغة بالمكان الأعلى . والقرآن العزيز والسُّنة النبوية المطهرة إنما أُخِذا على الحال الواصل إلينا بطرق التواتر أو الآحاد الصحيحة من المدّ والقصر ، والتفخيم والترقيق ، والإدغام ونحو ذلك ، فالذكر إما من القرآن أو السُّنة وحالها ما علمت . وهذا ما تقتضيه اللغة العربية التي هو ﷺ ناطق بأفصحها ، وكل ما خالف ذلك ما أنزل الله به من سلطان ، بل مما اخترعه الشيطان ولقنه أتباعه أهل الطغيان . وليس من الذكر في شيء ، بل هو النكران والخسران ، وهو حرام قطعاً لما فيه من تحريف الأسماء واللعب بها ، وتسميته تعالى بما لم يرد في كتاب ولا سنّة ولا إجماع ، وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد » ، وكل تلك الألفاظ المحرّفة مخالفة لما نطق به رسول الله ﷺ » .

☆ ☆ ☆

وقال صاحب كتاب (النصرة النّبوية لأهل الطريقة الشاذلية) المطبوع في هامش شرح رائية الشريشي : « القصر في اسم الجلالة (الله) بحذف الألف بين اللام والهاء ، فهذا سُمع في بعض لغات العرب ، ولا مانع من التكلّم بأي لغة (لهجة) من لغاتهم ، بل قد جوّز الفقهاء ذبيحة من سمّى بتلك اللغة ، وقالوا بانعقاد يمينه . قال ابن الشحنة في شرح الوهبانية : المراد بالألف بين الهاء واللام (أي المدّ الطبيعي) إذا حذفها الحالف أو الذابح أو الداخل في الصلاة قيل لا يضرّ لأنه سمع حذفها في لغة العرب ، وقيل يضرّ » .

☆ ☆ ☆

قلت : إن الخلاف القائم بين العلماء فيما تقدم منحصر في جواز القصر عن المدّ الطبيعي وعدمه ، وبما أن المسألة محل للخلاف بين المحققين فترك القصر أولى خروجاً من الخلاف ، وهو أسلم وأقوم وأحوط لمن أشفق على دينه وعبادته ، والمعروف عن المتصوفة أنهم يأخذون بعزائم الأمور ليكونوا دائماً على المنهج الحق .

أما تشويه الحروف وتبديلها ، والنطق بها نطقاً لا يستبين معه حرف على الوجه السليم ، وبأصوات منكرة ، فذلك مما لا خلاف في عدم جوازه قطعاً وقولاً واحداً وإلا : فـ ﴿ ائتوني بكتابٍ من قبلِ هذا أو أثارةٍ من علمٍ إن كنتُم صادقينَ ﴾ [الأحقاف : ٤/٤٦] .

☆ ☆ ☆

وقد سألت فضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى عن حقيقة هذا الذكر المشوّه والمحرّف فأجاب : « أما الزيادة والنقصان في الاسم الكريم (الله) فلا يجوزان لأنه إخلال مستتبع اللوم والإثم ، ولقد استظهر على ذلك الإمام أحمد حين سئل عن الذكر المشوّه فقال لمن اسمه (محمد) أيسرّك أن يقال لك : (يا موحامّد) .

☆ ☆ ☆

وقال شيخ الإسلام العلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه (فتح الباري) : « إن ألفاظ الأذكار توقيفية ، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الوارد بحروفه ، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ، ولعلّه أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها » .

قلت : خذ على ذلك مثالاً حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عند البخاري في كتاب الدعوات قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت متَّ على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول » . فتلاه البراء أمام رسول الله ﷺ ليحفظه فأبدل أثناء التلاوة نبيك برسولك فقال رسول الله ﷺ : لا ، ونبيك الذي أرسلت .

إرشاداً منه ﷺ إلى المحافظة على الكلم المحمدي من تغيير أو تبديل ، أو تقديم أو تأخير ، أو تحريف أو خلط .

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع في مضار الابتداع) : « ومن بدعهم المحرمة أنهم خرجوا عن الذِّكر الشرعي إلى ذكر محرّف يخالف الكتاب والسُّنة والإجماع على ما سيأتي بيانه ، ويقولون : وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون بحضرة العلماء وهم ساكتون ، فإن الذكر الذي لا يوافق قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحيُّ القيّومُ ﴾ ، ولا قوله ﷺ : « أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي : لا إله إلا الله » وغير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة حرام بإجماع الأمة ، ومردود على فاعله كيف لا ؟! وقد قال ﷺ : « أصحاب البدع كلاب النار » ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » متفق عليه ، وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وهؤلاء قد أحدثوا في الدين ما ليس منه ، وتعبّدوا بما لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ، ولا عن صالح المؤمنين ، ولا ريب أن تحريف أسماء الله تعالى من أقبح البدع المحرمة ، إذ فيه إخراجها عن حقيقتها الواردة عن رسول الله ﷺ ، وهو من الإلحاد المحرّم بالإجماع .. ثم قال : وأما قولهم : وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون بحضرة العلماء فهو لا يصدر إلا من جاهل لجواز أن هؤلاء الأشياخ جاهلون بأمر دينهم ، أو أكابر استغرقوا في حبِّ خالقهم حتى خرجوا بذلك عن حدِّ التكليف ، وعلى كلا الاحتمالين لا يصح الاقتداء بهم ، لأنهم

حينئذٍ لا يصلحون للوراثة ، ولا يورث عن الأشياخ إلا ما يكون منهم حالة الصحو موافقاً للشريعة ، والعارفون منهم لا يخرجون في أحوالهم عنها قيد شعرة ما داموا في صحوهم ، وقد تبرؤوا ممن يخرج في حركاته وسكناته عن الكتاب والسُّنة .

ثم قال : .. فقول المحرّفين للذكر هكذا وجدنا أشياخنا يذكرون لا يصح أن يكون دليلاً على الشريعة ، بل ينادى عليهم بالسّفه وعدم الرّوية ﴿ وإذا قيلَ لَهُم اتَّبعوا ما أنزلَ اللهُ قالوا بَل نتَّبِع ما ألفَينا عليهِ آباءَنا أوَلَو كانَ آباؤهُم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠/٢] .

وأما قولهم بحضرة العلماء وهم ساكتون فهو باطل أيضاً لجواز أن يكون سكوت العلماء عن هؤلاء الجهلة لظنهم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفيد عندهم ، بل ذلك هو الظن في هداة الأمة الذين هم ورثة الأنبياء ، ويجوز أن من حضرهم كان ممن تسمّوا باسم العلماء وليسوا منهم ، وجملة القول حجتهم داحضة . وكما يحرم الذكر بما لم يوافق الكتاب أو السُّنة أو الإجماع يحرم سماعه لأن للسامع حكم المسموع ، كما أن للناظر حكم المنظور ، والساكت شريك الجاني ، ولذا كان السامع للغيبة في الإثم كالناطق بها نسأله تعالى السلامة .

ثم قال : .. نعم المأخوذ عن حسّه الغائب عن نفسه كل ما جرى على لسانه لا لوم عليه فيه ، وإنما كلامنا في هؤلاء الذين يتعمدون ذلك وهم لم يخرجوا عن حدّ التكليف ، وتطرأ عليهم مواجيد نفسانية يتخيلونها واردات رحمانية (كلا) والله ما كل واجد بمحمود إلا إذا ورد على طريق الشرع المحدود ، بخسوا أنفسهم في نطقهم بهذه الكلمة التي توضع في بطاقة صغيرة يوم القيامة في الميزان فترجح على سجلات كثيرة من السيئات كل سجلٍ منها مدّ البصر كما في الحديث .. فياليت شعري كيف توزن لهم بل يخشى من تقطيع أسماء الله تعالى وتحريف أذكاره أنهم يذكرونها وهي تلعنهم .

ثم قال : .. فهم يذكرون الله تعالى ويعبدونه بالسيئات فيصيرون من الذين ﴿ ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدُّنيا وهُم يحسبونَ أنَّهم يُحسنونَ صُنعاً ﴾ [الكهف : ١٠٤/١٨] .

فيجب على كل ذاكر سواء كان (رفاعياً ، أو أحمدياً ، أو بيومياً ، أو حفناوياً ،

أو شـاذليـاً ، أو .. أو ..) أو غير ذلـك من الطرق أن لا يخرج عن مـا ورد عن رسول الله ﷺ ووضّحه أئمة المسلمين وإلاّ فلا يلومنّ إلا نفسه .

ثم قال : .. ويجوز الذكر بجميع أسماء الله تعالى المأخوذة من السُنة النَّبوية ، ولو من غير شيخ عارف لكن به أكمل وأرجى لقطع العلائق الشيطانية ، ولتجلي الأنوار الملكوتية ، وليس عندنا لله أسماء ثابتة عن غير رسول الله ﷺ وأتباعه الآخذين عنه ، إذ لا طريق إلى الله تعالى ومعرفة أسمائه إلا هو وغيره طريق الشيطان » .

ويرحم الله الإمام الأخضري حيث يقول في منظومة التصوف :

ومن شروط الذِّكر أن لا يسقط	بعض حروف الاسم أو يفرطا
في البعض من مناسك الشريعة	(عمداً) فتلك بدعة شنيعة
والرّقص والصراخ والتصفيق	(عمداً) بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب في الأذكار	الذِّكر بالخشوع والوقار
وغير ذا حركة نفسية	سببها الحركة القوية
فواجب تنزيه ذكر الله	على اللبيب الذاكر الأوّاه
من كل ما تفعله أهل البدع	ويقتدي بفعل أرباب الورع
فقد رأينا فرقة إن ذكروا	تبدعوا وربما قد كفروا
وصنعوا في الذكر صنعاً منكراً	صعباً فجاهدهم جهاداً أكبرا
خلوا من اسم الله حرف الهاء	فألحدوا في أعظم الأسماء
لقد أتوا والله شيئاً إدّا	تخرُّ منه الشامخات هدّا
والألف المحذوف قبل الهاء	قد أسقطوه وهو ذو إخفاء
وغرّهم إسقاطه في الخطّ	وكل من يتركه فمخطي
قد غيَّروا اسم الله جلّ وعلا	وزعموا نيل المراتب العلى
تغرّهم مذاقة طبعية	سببها الحركة النفسية
فزعموا أن لهم أسرارا	وأن في قلوبهم أنوارا
وزعموا أن لهم أحوالا	وأنهم قد بلغوا الكمالا
والقوم لا يدرون ما الأحوال	فكونها لمثلهم محال

حـاشـا بسـاط القـدس والكمـال | أن تطـؤه حـوافر الجهـال
قـد ادّعـوا من الكمـال منتهى | يكلّ عن تحصيلـه أولـوا النُهى
والجـاهلـون كالحمير المـوكفـة | والعـارفـون سـادة مشرّفـة
وهـل يُرى بسـاحـل الأنـوار | من لـجّ في بحر الظـلام سـاري
وقـال بعض السـادة المتبعـة | في رجـز يهجـو بـه المبتـدعـة
ويـذكرون الله بـالتغيير | ويشطحـون الشطـح كالحمير
وينبحـون النبـح كالكـلاب | طريقهم ليست على الصـواب
قلت : وشـاع أمر الاشتبـاه | في المتـذاكرين بـاسم الله
فمن يكن مشتهراً بـالـذكر | فشرطـه من خشيـة وفكر

وقد خبَّرني فضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى أنه ذات مرة أعلن إنكاره على هذا التحريف والتبديل في لفظ الجلالة (الله) بعد الفراغ من الذّكر في مجلس الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ يوم جمعة ، وبيَّن للقوم أن النقص أو الزيادة في اسم (الله) لا يجوزان فسكت القوم وانصرفوا ، ولكن بعض الحاضرين حمل هذا الكلام إلى الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله بدمشق ، فبعث إليه الهاشمي برسالة ألّفها بعض العلماء في جواز الذكر باسم الذات ـ الله ـ وإن لم يحافظ الذاكر على المدّ الطبيعي فيه ، وهي مكتوبة بخط الشيخ الهاشمي وبنمط الخط المغربي الذي له قواعد خاصة في الكتابة ، ومن لم يألف ذلك الخط يجد صعوبة بالغة في قراءته ، فبعث الشيخ محمد الحامد الرسالة إليّ مع كتاب (حجة الذاكرين) للاطّلاع ، وكرّر قوله لي : « أنا مع القوم الذين يَرَوْن تحرير الذكر من الخلل في النطق حال الصحو ، والنطق بالاسم الكريم كاملاً غير منقوص من حروفه ومدوده شيء » ، وبعد الاطّلاع على رسالة الشيخ الهاشمي رحمه الله علمت منها أن كثيراً من العلماء أنكروا على السادة الشاذلية هذا ، والصواب أنه لا إثم فيه لأنه أسرع للذاكر وأدعى لنموّ الحال في نفسه بهذا الإسراع ، ثم هو بعد لغة فلا وجه للإنكار على الذاكر به ، واليمين منعقدة به عند السادة الحنفية ، وفيها أيضاً أن القائلين بالقصر ذكروا أن الأفصح عدم القصر ، هذا هو ملخص تلك الرسالة . وإثر ذلك كتبت كلمةً أوجزت فيها ما تقدّم من أقوال وفتاوى لعلماء أفاضل وعرضتها على سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله فوافق

عليها وقال لي بالحرف الواحد : « أنا معك في هذه الكلمة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة ، وأنه لا غبار عليها » . ومن أجل الفائدة وتمام النفع أودعتها هذا الكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومقتفي أثره وناصري شريعته إلى يوم الدين وبعد : فهذه خلاصة عن حقيقة الذِّكر الشرعي مأخوذة من كلام العلماء والمحقِّقين ، واقتنعت بأنها أقرب إلى الصواب ورضاء الله سبحانه إن شاء الله .

لقد بحثت هذه المسألة بحثاً علمياً بعدما جمعت الأدلة الواضحة ، والبراهين القاطعة التي تثبت التزام الوضوح بلفظ الذِّكر ، والأدلة التي يستند إليها بعض الذاكرين في هذا الزمان ، وقد تبين من ذلك أنه لا يحق للذاكر الزيادة أو النقصان في الاسم الكريم (الله) ، بل ينبغي النطق به صريحاً صحيحاً دون خبط أو خلط هذا من ناحية الحروف . أما من ناحية المدّ الطبيعي في الاسم (الله) الذي ينبغي مدّه مقدار حركتين فيه خلاف بين العلماء ، فمنهم من قال بجواز مدّه إلى أربع عشرة حركة إذا أريد الوقف عليه ، استناداً إلى بعض القراءات الشاذة وقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي رحمه الله في كتابه (رياضة الأسماع) .

أما إذا وصل مع كلمة أخرى فلا يجوز مده أكثر من حركتين .

ومنهم من قال بجواز القصر دون الحركتين ونصّ على ذلك بعض الحنفية ، وذكر أن اليمين منعقدة به وبناءً عليه يجوز الذِّكر به من باب أولى واستدل على ذلك بأن قصره جائز لغة ، وقد جاء في بعض لغات العرب ما يدل على ذلك ، وصرّح به العلامة الصبّان في البسملة الكبرى ، والشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي .

وما سبق يشير إلى طريقين :

أحدهما : طريق المحافظة على المدّ الطبيعي وعدم تحريف اللفظ الكريم (الله) ، وهو مذهب جمهور العلماء والمحققين وأغلبية السادة الصوفية لأنه صريح الكتاب والسُّنة ، وهو أسلم وأحكم وأرضى لله سبحانه وأقوم .

وثانيهما : ما جاء في روايات القصر والمدّ وبعض لغات العرب وعليه السادة الشاذلية لما فيه من إنماء الحال في نفس الذاكر ، وأن القائلين بالقصر ذكروا أن الأفصح عدم القصر وأشار إلى ذلك سيدي الشيخ محمد الهاشمي رحمه الله في رسالة إلى الشيخ محمد الحامد رحمه الله ، والمنقولة عن المؤلف القاياتي .

والجمع بين الطريقين : يكون حسب حالة الذاكر ، فإن كان الذاكر مسلوب الاختيار أو مغلوب عليه وسيطرت عليه الانفعالات النفسية ففي حقه فقط لا غير قطعاً يكون اتّباع القصر ويكون مع ما يرد عليه ولكنه لا يقلّد ولا يتابع .

أما إذا كان الذاكر حاضر العقل غير مسلوب الاختيار أو مغلوب عليه فعليه التزام النطق الصحيح واللفظ الصريح دون خبط أو خلط أو تحريف أو تشويه حفظاً للفظ القرآني ، والكلم المحمدي ، وسداً للذريعة ، وبهذا تتضح حقيقة الذكر الشرعي .

أما ذكر اللهجات ، والأصوات فإنه يعتري الذاكر المسلوب الاختيار ، أما أن يتعمد الصاحي ذلك فلا يجوز لأن ذلك يكون تلاعباً واستهزاءً وتحريفاً . إن نقطة الخلاف منحصرة في جواز القصر أو عدمه ، أما تغيير الحروف وطمس معالمها بأصوات منكرة وألفاظ مستهجنة لا يستبين بها حرف ، أو يفقه لها معنى ، فإنها غير داخلة في هذا الخلاف أبداً وكيف وقد صرّح جمهرة العلماء إن لم يكن كلهم أن الإخلال في كلمة التوحيد أو اسم الذات (الله) مستتبع اللوم والإثم .

فيا ليت شعري بأي دليل تمسّك بعض الذاكرين المحرّفين لاسم (الله) ، وعلى أي قول وقفوا ؟ إنهم تمسكوا بشبهات سيأتي كشفها وأباطيل سيأتي دحضها . ويا ليت شعري : ما يضرّهم في سلوكهم لو التزموا الوضوح ، وحافظوا على النطق الصحيح ، وساروا في طريق الجماعة ، وقطعوا ألسنة المستهزئين والمنتقدين ولم يسيؤوا إلى حقيقة الذّكر الشرعي ، والتصوف الشرعي ؟ نعم ما يضرّهم إن فعلوا ذلك ؟ هل تنقطع عنهم مواهب أم تنكمش عنهم أنوار ؟ هل يحطّ ذلك في درجاتهم أم يكونوا من زمرة الأشرار ؟ أين العمل بالقواعد الأصولية : (درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح) ، وقاعدة (الإنكار سدّاً للذرائع) ، و (المباح إذا تولد منه محظور منع) ، ﴿ قل : الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٦/٩١] .

كلمة صاحب الفضيلة

الشيخ محمد الحامد

وقد طلبت منه إلحاقها في هذا الكتاب فأذن بذلك وهي تحت عنوان :

المنع من الذّكر المحرّف

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فلقد سئلت غير مرة عن جواز الذكر المحرّف ، و إني أجيب مستعيناً بالله القوي العزيز فأقول : قد يتعلق أصحاب الذكر المحرّف بأن اللغة غير مقصودة لذاتها ، بل هي لمحض التفاهم ، وأن المعنى هو الذي عليه التعويل و « إنما الأعمال بالنيات » ، فلا ينبغي التشديد في هذا الأمر ، لأن اشتراط النطق بالاسم الكريم باللغة الفصحى يقعد كثيراً من الناس عن التعبّد ، وذا يتنافى ومقصد الشارع ، وإنه من التكلف ، ولا ضير في تركه ما دام الإخلاص حاصلاً ، وحسن القصد ماثلاً ، وقد يعززون دعواهم بأن اللحن في القرآن الكريم غير ضارّ في بعض المسائل ، وأن افتتاح الصلاة بغير العربية لا يؤثر في صحتها ، وأن قراءة ترجمة سورة الفاتحة الشريفة تجوز بها الصلاة ، وأن الدعاء بغير العربية سائغ .. إلى آخر ما يستظهرون به على جواز ما هم متلبسون به من عدم مراعاة النطق حال الذكر باسم الله الكريم واضحاً غير محرّف .

وقبل أن أشرع في تركيز الحقيقة الدينية في وجوب النطق بالاسم الكريم كما أنزله الله سبحانه إلينا ـ أحبّ أن يعلم الذاكرون ـ أني لا أتهمهم في إخلاصهم ، ولا أصادرهم في قصدهم ، فإن الإخلاص سرٌّ بين العبد وربّه تعالى ، وليس من الحق التحكم في الضمائر ، ولا من الإنصاف التهجم على السرائر ، بل إني لأراهم في نفسي خيراً منّي ، وإني أحمد إليهم سمتهم الطيب ، وسيرهم الحميد ، وخشوعهم لله ، وخضوعهم لأمره ، وابتعادهم عن

المنكرات ، وانطواءهم على الذوات ، كما أني لا أجحد منازلات السائرين إلى الله تعالى ، والسالكين سبيل التصفية ، فإنها حقائق مقررة لا يجحدها إلا الجهول الذي لم يشم للقرب من الله رائحة ، ولم تعبق في روحه منه فائحة .

إن السادة الصوفية لهم من هذا النصيب الأوفى ، والحظ الأوفر ، والله المسؤول أن يعيد علينا من بركاتهم ، ويحشرنا في زمرهم وجماعاتهم آمين .

لكن هذا كله لا يمنع قائل الحق من قوله ، وإن الله فرض علينا التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وقديماً قال العارفون بالله سبحانه : « لا يزال الصوفية بخير ما تناكروا » . إن الغيرة على اسم الله المجيد تحمل صاحبها على النصح بالتزام تصحيح حروفه ، والنطق به تاماً كاملاً ، فإنه أكرم الأسماء وأمجدها ، وإن المرء ليغضب إذا نودي باسمه الشخصي محرّفاً فكيف باسم الله المجيد ، وهو سبحانه أحبّ إلى المؤمن من نفسه ، ومن كان كذلك ذاق حلاوة الإيمان على ما جاء في الحديث النبوي الشريف .

وعن هذا يمنع التطريب في الأذان ، وهو إخراج كلماته عن وضعها بزيادة المدّ والتمطيط ، وقد ذكر المحقِّق الشيخ كمال الدين ابن الهمام الحنفي في كتابه (فتح القدير) الذي شرح به كتاب (الهداية) في فقه الحنفية : ذكر فيه أن الإمام أحمد سئل عن هذا في القراءة فكرهه ومنعه ، فقيل له : لِمَ ؟ فقال للسائل : ما اسمك ؟ قال : محمد ، فقال : أيعجبك أن يُقال لك : يا موحامّد ؟ وإذا لم يحلّ هذا في الأذان ، ففي قراءة القرآن أولى .. وقد نقله عنه الشيخ الشلبي في حاشيته على شرح الكنز للزيلعي وأقرّه .

وإذا كان ممنوعاً في القراءة فهو ممنوع حال الذكر أيضاً ، والتفريق بينهما تحكم محض ، ومن المعلوم أن لام الجلالة في الاسم الكريم تفخم تارة وترقق أخرى ، ولا يجوز الترقيق في مقام التفخيم ، ولا التفخيم في مكان الترقيق ، وكل هذا من الحق المتلقّى عن سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً ، ولا يجوز العدول عنه بحال ، اللهم إلا إذا فقد الذاكر تماسكه وغشيته حال شديدة جرى معها لسانه بما لا ينطق به لولاها ، فهذا يغتفر له ما لا يغتفر للمتّزن المتماسك ، وقد يتلبس بحركات، كحركات المرتعش فيكون منه اضطراب وصياح ، وقد يمزّق ثيابه وجداً وهياماً ، وشوقاً حارّاً إلى الله يلتهب به التهاباً محرّقاً ممزّقاً ؛ فمثل هذا تسلّم له حاله الصادقة ، ولا يعترض عليه إلا الأجنبي عن

هذه النفحات الأقدسية التي تضرع قلوب إلى الله تعالى أن يبقي بابها مفتوحاً ، وفيضها ممنوحاً .

ولا ضير على من نزلت به هذه الحال في كل حركة يأتيها فإن الممنوع من الحركات ما كان على النحو غير المشروع المأذون فيه ، والشرع إنما يأذن بما ليس فيه تثنٍّ وتكسّر وما إليها ..

أما ادّعاؤهم بأن اللحن المتعمد في القرآن الكريم غير ضار في بعض المسائل فهو من الغرابة بمكان ، إذ كيف يسوّغ اللحن المتعمّد في كلام الله عز وجل ؟! اللحن الذي لا يضرّ هو ما يزلّ به لسان القارئ في الصلاة من غير عمدٍ على نحو ما ذكره الفقهاء رضي الله تعالى عنهم في فصل : زلّة القارئ من باب مفسدات الصلاة ، على أنه يغتفر للعاميّ منها ما لا يغتفر للفقيه العالم ، فقد تفسد في حق إنسان ، ولا تفسد في حق آخر . والتحريف في الذكر ليس من هذا في ورد ولا صدر من حيث إنه متعمد متلقف ، فقياسه على زلّة القارئ لا يتم لأن الفارق بينهما قائم ، والقياس يعمل عمله عند التشابه التام بين المقيس والمقيس عليه ، وعند اتحاد العلّة أيضاً ليكون الحكم فيهما واحداً ، وشرطه أن لا يكون في المقيس نصّ وإلا فلا قياس ، ونصوص الدين تمنع تحريف اسم الله تعالى ، وهل شرع علم التجويد إلا لإعطاء الحروف حقّها ومستحقها من المخارج والصفات ؟ واسم الله الكريم أحق من سائر الكلمات بهذه المراعاة المفروضة ..

☆ ☆ ☆

وأما افتتاح الصلاة بغير العربية ، فأمر مختلف فيه ، فأبو حنيفة يجيزه للقادر على العربية مع الإثم وكراهة التحريم ، لأن التكبير واجب في أول الشروع ، وتارك الواجب واقع في كراهة التحريم التي يستحق مقارفها العقوبة بالنار لأنها إلى الحرام أقرب ، بخلاف كراهة التنزيه فإنها إلى الحلّ أقرب .

والصلاة التي دخلتها كراهة التحريم تُعادُ وجوباً في الوقت بل وبعده على الأصح ، نعم لا تكون الصلاة باطلة بترك الواجب إذ البطلان ينجم عن ترك الفرض ، وإن كانا مشتركَيْن في الإثم ، والحظر على تفاوت بينهما فيهما . قال الشيخ ابن عابدين في حاشيته (ردّ المحتار على الدّر المختار) بعد أن ذكر جواز الشروع في الصلاة بالفارسية على قول

الإمام لأن المطلوب الذكر والتعظيم وذلك حاصل بأي لفظ كان وأيّ لسان كان قال : نعم لفظ الله أكبر واجب للمواظبة عليه لا فرض » .

والجواز لا يتنافى مع كراهة التحريم لترك الواجب كما هو مقرر الفقه ، أما صاحباه أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى فإنهما لا يجوّزان الشروع فيها إلا بالعربية للقادر عليها ، ويجوزانه للعاجز عنها ، فهما يشترطان العجز لجواز الشروع كما في الدّر المختار .

فما لم يكن لم يكن . على أن هذا قياس مع الفارق أيضاً لأن الكلام في منع ذكر اسم الله بحروفه العربية المحرّفة لا في لغة أخرى فليتنبه إلى هذا .

وأما جواز الصلاة بقراءة ترجمة سورة الفاتحة بغير العربية فلا يفيدهم شيئاً ، ذلك أن هذا الجواز مقيَّد بالعجز عن قراءتها بالعربية إلى أن يتعلمها ، وهذا هو الذي عليه الفتوى إذ الأصح أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى رجع إلى قول صاحبيه أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى بأن قراءتها بالفارسية ونحوها لا تجوز بها الصلاة إلا عند العجز عن قراءتها بالعربية ، وقد كان الإمام أولاً يقول بجوازها مطلقاً ثم رجع إلى قولهما كما في (الدّر المختار وردّ المحتار) من كتب الحنفية ، والقول المرجوع عنه لا يصح اعتماده والعمل به ولو للمرء في خاصة نفسه فضلاً عن الاحتجاج به كدليل .

☆ ☆ ☆

وأما تسويغ الدعاء بغير العربية فلا وجه للاستدلال به على جواز الذكر المحرّف لأن الدعاء ضراعة إلى الله تعالى ، وذلّة له سبحانه ، ومن ذا الذي يمنع الأعجمي أن يبسط كفّ الضراعة إلى خالقه ، ويذلّ له طالباً منه سبحانه قضاء حاجته ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويحقق له رجاءه ؟! إنه سبحانه المدعو بكل لسان ، والمرجو في كل آن ، وقد طلب إلى خلقه أن يدعوه ليستجيب لهم . على أن عوام العرب إذا دعوا ربّهم بلغتهم العامّة غير الفصحى فإنهم ينطقون باسم الذات فصيحاً بـ (يا الله) و (اللهم) و (يا ربّنا) ، وما إلى هذا مما ليس لتحريف الحروف فيه سلوك ، وأما باقي كلماتهم فهي أوعية للمعاني التي يشكون بها بثّهم وحزنهم إلى الله ، والله عليم بالمقاصد والنوايا ، وما انطوت عليه الصدور من أسرار وخفايا .

وأما الذكر بلفظ (آه) طياً لما في القلب من اسم (الله) وحبساً للنفس بالهمزة منه ثم تصريفاً له بالهاء الصاعدة من القلب للتفريج عن قلوب المنتهين ، ولتحريك قلوب المبتدئين ، وللاستعانة على سرعة الاستحضار فأمر متوقف على ورود الشرع بأن لفظ (آه) من أسمائه تعالى التي هي توقيفية ليس للاختراع إليها سبيل نعم يُنسب إلى بعض الصوفية أنهم يثبتونه اسماً له تعالى ، ويا ليتهم بيّنوا دليل هذه التسمية من دليل سمعي كتاب أو سنّة ، فإن الأمر من حيث هو متوقف عليهما .

☆ ☆ ☆

وبعد ، فما الذي يُضر إخواننا الذاكرين لله تعالى أن يدعوا ما فيه من شبهة إلى ما ليس فيه شبهة ، وقد قال فقهاؤنا رضي الله تعالى عنهم : إذا ترددنا في شيء بين كونه بدعة أو سنّة فتركه لازم .

وإلى الفقهاء الرجوع في الأحكام لا إلى المفسّرين والمحدثين والصوفية على احترامنا لهم . وفي الحديث الشريف الذي رواه سيدنا أمير المؤمنين الحسن ابن أمير المؤمنين عليّ رضي الله تعالى عنهما وكرّم وجوههما عن سيدنا جدّه المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام أنه قال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

هذه نصيحة أملاها عليّ النصح للإخوة في الدين والله وليّ المؤمنين .

يوم الخميس ٢٦ ذي القعدة ١٣٨٥ هـ

الفقير إلى الله تعالى
محمد الحامد

مدرس جامع السلطان وخطيبه

طَبيعَةُ الْمُشكلَة

إن المشكلة التي يعاني منها المصلحون تتمثل في تمسك كثير من المريدين بأقوال شيوخهم وانتصارهم لها سواء كانت حقاً أم باطلاً ، وسواء خالفت صريح الكتاب والسُّنة وجمهور العلماء أم لا ، من غير وقوف على دليل سليم ، ومنطق مستقيم فكانوا كالببغاوات يرددون ما يسمعون ، وممن قيل لهم فقالوا ، وكفروا بعقولهم ، والنقل الصحيح ، وسلّموا لذوق فلان ، ووجد فلان ، وحال فلان ، وفعل فلان ، كأن هذا الـ (فلان) حجة على الشريعة ، وأقواله وأحواله لا تناقش ولا ترد ، وما علموا أن الحفظ المطلق هو لكتاب الله عز وجل ، والعصمة الكاملة لسنّة نبيّه ﷺ ، وما كان وجد وذوق وحال فلان أن يكتب له الحفظ والعصمة ، ويرحم الله الإمام مالكاً حيث قال : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر ويعني به رسول الله ﷺ .

☆ ☆ ☆

قال العلامة علي القاري في شرحه على (الفقه الأكبر) للإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه : « لم يحوجنا ربّنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان ، وذوق فلان ، ووجد فلان في أصول ديننا ، ولذا نجد من خالف الكتاب والسُّنة مضطربين ، بل قال الله سبحانه : ﴿ اليومَ أكملتُ لكُم دينكُم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورَضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً ﴾ [المائدة : ٣/٥] . فلا نحتاج في تكميله إلى أمرٍ خارج عن الكتاب والسُّنة وأقوال المجتهدين والمحققين » .

☆ ☆ ☆

وقال العلامة الشاطبي في كتابه (الاعتصام) : « إن قوماً استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلاناً الرجل الصالح فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا ، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف . وقال : السّنة حجة على جميع الأمة ، وليس عمل أحد من الأمة حجة على السُّنة ، لأن السُّنة معصومة عن الخطأ ، وصاحبها معصوم ، وسائر الأمة لم تثبت لهم عصمة إلا مع إجماعهم خاصة ، وإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلاً شرعياً .. وقال : كل كلام مأخوذ منه ، ومتروك منه إلا ما كان من كلام النبي ﷺ ..

وقال : الواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ ، ونقف عن الاقتداء بمن لا يمتنع عليه الخطأ إذا ظهر في الاقتداء به إشكال ، بل نعرض ما جاء عن الأئمة على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه ، وما لم يقبلاه تركناه ولا علينا إذا قام لنا الدليل على اتباع الشرع ، ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها وبذلك وصى شيوخهم » .

☆ ☆ ☆

وقال ابن الحاج العبدري في كتابه (المدخل) : « السعيد السعيد من شدَّ يده على ملازمة كتاب الله وسنّة رسوله ، والطريق الموصلة إلى ذلك هي اتّباع السلف الماضين لأنهم أعلم بالسُّنة منّا إذ هم أعرف بالمقال ، وأفقه بالحال .

وقال : ليحذر كل منّا أن يغترّ أو يميل إلى بدعة لدليل قام عنده على إباحتها من أجل استئناس النفوس بالعوائد ، أو بفتوى مفتٍ قد وهم أو نسي ، أو جرى عليه من الأعذار ما يجري على البشر وهو كثير .

وقال : إن المشكلة العويصة تكمن في تحسين البعض الظن بمشايخهم ، واعتقادهم أنهم لا يخالفون ، وأنهم على سبيل الاتباع وترك الابتداع ، ألا ترى أنهم يقولون : من لم ير خطأ شيخه صواباً لم ينتفع به ، وإذا أمرت أو بينت وجهة الصواب قالوا : لو لم يكن ما نحن فيه صواباً لأنكره شيخنا علينا ، كيف وقد كان سيدي فلان يعمل كذا فصار فعل الشيخ هو المحكم في كل التصرفات .

ولو قلت لأحدهم مثلاً السُّنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق فيقول : كان شيخي كذا وما هذا طريق شيخي ، وكان شيخي يقول كذا ويصادم بذلك كله السُّنة الواضحة والطريقة الناجحة » .

إن طريق الحق واحد واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وطرق الباطل كثيرة وغامضة ومظلمة ﴿ الله وليُّ الَّذينَ آمنُوا يُخرجُهُم منَ الظُّلُماتِ إلى النُّور ﴾ [البقرة : ٢٥٧/٢] ، جمع الظلمة وأفرد النور لهذا المعنى ، فحريّ بالمؤمن أن يلتزم الحق ولا ينظر إلى قلّة المتمسكين به ، ويجانب الباطل ولا يغرّه كثرة سالكيه .

الطرق شتّى ، وطرق الحـــق مفردة   والســـالكـون طريـق الحـق أفراد

قال أبو عثمان النيسابوري : من أمّر السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بـالحكمة ، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بـالبدعة ، لأن الله تعـالى يقول : ﴿ وإن تُطيعوهُ تهتدُوا ﴾ [النُّور : ٥٤/٢٤] . وقال أبو عمرو بن نجيد : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسُّنة فهو باطل .

☆ ☆ ☆

وقال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) : « إن الذوق والحال والوجد ، هل هو حاكم أو محكوم عليه فيحكم عليه بحاكم آخر ويتحاكم إليه ، فهذا منشأ ضلال من ضلّ من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً فتحاكموا إليه فيما يسوغ ويمتنع ، وفيما هو صحيح وفاسد ، وجعلوه محكّاً للحق والباطل فنبذوا لذلك موجب العلم والنصوص ، وحكّمُوا فيها الأذواق والأحوال والمواجيد ، فليتدبر اللبيب هذا الموضع في نفسه وفي غيره ، فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ، مالاً كان أو رياسة ، أو صورة ، أو حالاً ، أو ذوقاً ، أو وجداً .

وقال : إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حالٌ من الأحوال ، أو ذوق من الأذواق هل هو صحيح أو فاسد ؟ حق أو باطل ، وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله ، وعند عباده المؤمنين وهي وحيه الذي تتلقى أحكام النوازل والأحوال والواردات منه ، وتعرض عليه ، وتوزن به ، فما زكّاه منها وقبله ورجحه وصححه فهو المقبول ، وما أبطله وردّه من الدين في شيء ، وما أبطله وردّه فهو الباطل المردود ، ومن لم يبْن على هذا الأصل علمه وسلوكه وعمله فليس من الدين في شيء ، فالأذواق مختلفة في نفسها ، كثيرة الألوان ، متباينةً أعظم التباين ، فكل طائفة لهم ذوق وأحوال ومواجيد بحسب معتقدهم وسلوكهم فإلى من نحتكم ؟! ومن اغترّ بذوقه وحاله وجانب النصوص الصحيحة ، والنقول الواضحة مثله ﴿ كسراب بقيعةٍ يحسبهُ الظّمآنُ ماءً حتّى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً ووجدَ اللهَ عندَهُ فوفّاهُ حسابَهُ واللهُ سريعُ الحساب ﴾ [النُّور : ٣٩/٢٤] .

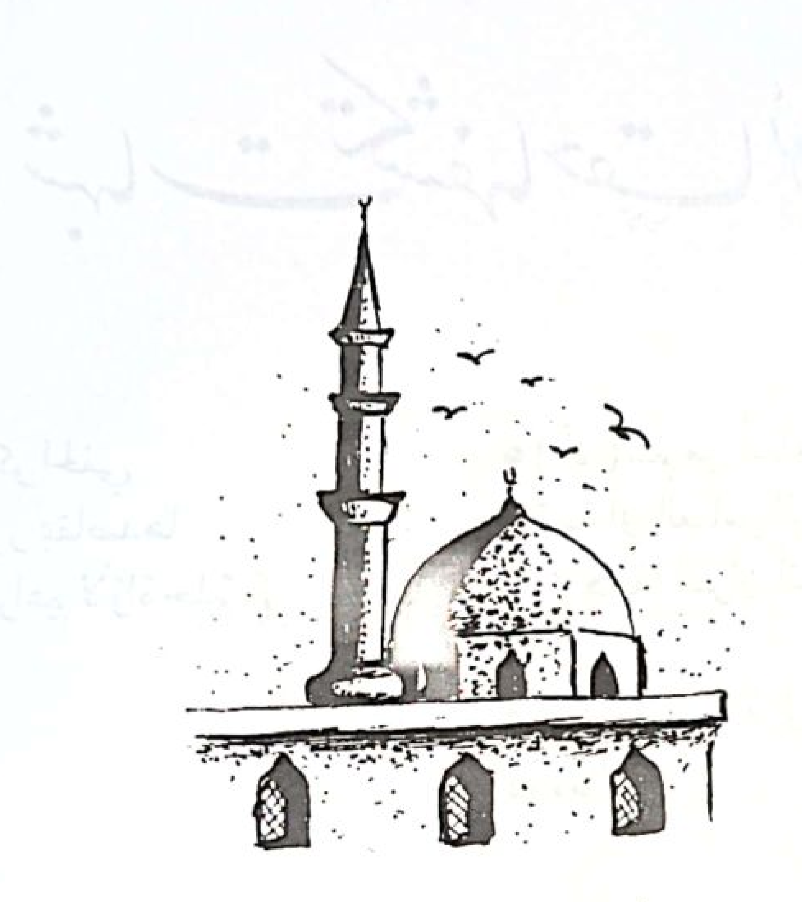
☆ ☆ ☆

فليعرف المؤمن الرجال بالحق ، فإن ذلك هو الرشاد والهدى ، وقصد السبيل ، وليحذر من معرفة الحق بالرجال وذلك عين المقت والطرد والبعد والضلال . فالمقصد الله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

☆ ☆ ☆

شبهات تكشفها حقائق

- خير الذكر الخفي
- إنما الأمور بمقاصدها
- ﴿ إنَّ إبراهيم لأوّاهٌ حليمٌ ﴾
- (آه) اسم من أسماء الله تعالى
- قصة أبي العباس المرسي
- إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف
- فتوى منسوبة إلى ابن حجر رحمه الله تعالى



لقد وضحت حقيقة الذكر الشرعي ، وسقت مقتطفات من أقوال العلماء في حقيقته المرضية ، وبيّنت أن التزام الوضوح والمحافظة على اللفظ الصريح والنطق الصحيح هو المتعين والمطلوب ، وهنا شبهات يتمسك بها بعض الذاكرين المنحرفين عن المنهج الصحيح ، ويستدلون بها على ما هم عليه من خلط وخبط ، وما علموا أنها أوهى من خيط العنكبوت أمام النقد العلمي الصحيح ، وستنهار حتماً أمام ضياء الحق وحجج الصدق ، **وهذه الشبهات هي :**

١ ـ : احتجاجهم بحديث « خير الذكر الخفي » .

٢ ـ : احتجاجهم بقاعدة « إنما الأمور بمقاصدها » .

٣ ـ : احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ إنَّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ ﴾ .

٤ ـ : احتجاجهم بأن (آه) اسم من أسماء الله ويطلقون عليه اسم الصدر .

٥ ـ : احتجاجهم بقصة لأبي العباس المرسي .

٦ ـ : احتجاجهم بحديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » .

٧ ـ : احتجاجهم بفتوى منسوبة إلى العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى .

وإليك دحض هذه الشبهات ، وكشف لبس هذه الافتراءات .

الشبهة الأولى

الاحتجاج بحديث « خير الذكر الخفي » ، فالحديث الشريف رواه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه بلفظ : « خير الذكر الخفي ، وخير الرزق ما يكفي » ، ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ورمز لصحته .

ومعناه واضح وصريح ، فالذكر الخفي قد يطلق ويراد به ما هو بالقلب فقط ، وما هو بالقلب واللسان بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ، وهو أقرب إلى الإخلاص .

وأما من لم يُسمع نفسه فلا يُعتد بحركة لسانه ، وإنما العبرة بما في قلبه ، لأن اشتغال القلب بالذكر ، وتأمّل معانيه ، واستغراقه في شهوده فلا شك في حصول الثواب من هذه الحيثية الثواب الجزيل ، ويؤيده خبر البيهقي « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » .

قال الإمام الهروي رحمه الله في كتابه (منازل السائرين) : « الذكر الخفي : هو الخلاص من القيود مع البقاء والشهود ولزوم المسامرة » .

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) شارحاً ذلك وموضحاً :

« يريد بالخفي هنا : الذكر بمجرد القلب بما يعرض له من الواردات ، وهذا ثمرة الذكر الأول ، ويريد بـ (الخلاص من القيود) : التخلص من الغفلة والنسيان والحجب الحائلة بين القلب وبين الرّب سبحانه . و (البقاء مع الشهود) ملازمة الحضور مع المذكور ، ومشاهدة القلب له حتى كأنه يراه . و (لزوم المسامرة) هي لزوم مناجاة القلب لربّه ، تملّقاً تارة ، وتضرّعاً تارة ، وثناءً تارة ، واستعظاماً تارة وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسّر والقلب » .

☆ ☆ ☆

ويقول الشيخ أمين الكردي رحمه الله في كتابه (تنوير القلوب) : « اعلم أن الذكر نوعان : قلبي ولساني ، ولكل منهما شواهده من الكتاب والسُّنة ، فالذكر اللساني باللفظ المركب من الأصوات والحروف لا يتيسّر للذاكر في جميع الأوقات ، فإن البيع والشراء ونحوها يلهي الذاكر عنه البتة ، بخلاف الذكر القلبي فإنه بملاحظة مسمّى ذلك اللفظ المجرد عن الحروف والأصوات ، وإذاً فلا يلهي الذاكر عنه .

بقلب فاذكر الله خفياً	عن الخلق بلا حرف وقال
وهذا الذكر أفضل كل ذكر	بهذا قد جرى قول الرجال

☆ ☆ ☆

وقال سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى : « وحديث خير الذكر الخفي ، يعني إخفاء الذكر بعداً عن الرياء ، أو تحاشياً من التشويش على نائم ، أو مصلٍ ، أو تالٍ ، أو دارس علم ، أو هو ما عليه السادة النقشبندية من ذكر الله بالقلب من غير إشراك اللسان معه ، ولا دلالة فيه على شرعية الإخلال بالنطق ببعض حروف الاسم الكريم دون بعض » .

☆ ☆ ☆

وهذا هو المعنى الصحيح للحديث الشريف الذي ذكره هؤلاء الأفاضل ، وليس معناه طمس الحروف وتحريفها وتبديلها .

وربما قالوا : إن حروف لفظ الجلالة (الله) كلها حلقية ، **أقول** : فإذا كانت كذلك فهل يسوغ النطق بالاسم الكريم (الله) بلفظ غير صريح ، ونطق غير صحيح ؟ مع العلم أن مورد الذكر اللسان والحلق والشفتان ، وبالحلق فقط صوت ساذج لا اعتبار له لأنه ليس له معنى .

الشبهة الثانية

الاحتجاج بقاعدة « إنما الأمور بمقاصدها » استناداً إلى حديث « إنما الأعمال بالنيات » ، وهذا صحيح فيما وافق الشريعة المطهرة ، وانطبق على أصولها وقواعدها ، إن الحرام حرام والنية الصالحة ، والمقصد الحسن فيه لا يجعلانه حلالاً ، وخالياً من الإثم .

ألا ترى ما يبث اليوم من دعايات لليانصيب مثلاً ، وإغراء الناس به ، وقد يصوره أصحابه بصورة عمل الخير ، ويلبسونه لباس الإحسان بحيث يرصدون ريعه أو بعضاً منه لينفق في مشروع نافع ، أو عمل خيري من بناء مستشفى أو مدرسة ، أو مسجد أو غير ذلك ، وهذه مقاصد حسنة والشرع الشريف يحثّ عليها ، ولكنها ستكون حراماً إذا كان إنشاؤها أو تمويلها بمال حرام غير مشروع .

إن المقاصد الحسنة مهما نبلت غاياتها ، وسمت أهدافها لن تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا كانت موزونة بميزان الشرع إصداراً وإيراداً ، لقد وضح رسول الله ﷺ ذلك توضيحاً شافياً في حديث المسيء في صلاته حيث أمره ﷺ بإعادتها ثلاث مرات ، ولم يكتف بحسن نية المصلي ، وسلامة مقصده وهو أداء الصلاة . إن الصلاة خير ولكن بناءها على الجهل وعدم انطباقها حسب ما جاء به الشرع لا يجعلانها قربة في حدّ ذاتها ولن يشفع لصاحبها القصد الحسن والنية الحسنة ، نعم قد يثاب الجاهل من حيث الأداء ، ولكنها لن تكون صحيحة من حيث الأداء على غير الهيئة المعتبرة شرعاً . والجاهل من نشأ بعيداً عن العلماء كأن وجد في باديةٍ أو مكان ناءٍ ، أو قريب عهد بالإسلام . أما من كان بين ظهراني العلماء فلا يُعذر أبداً ، والرسول ﷺ لم يعذر المسيء صلاته بسبب جهله ، وإنما أمره بإعادتها بعد

أن علّمه كيفيتها ، وكذلك سائر العبادات ، ومنها الذكر طبعاً الذي هو روح العبادات كلها وكلها تسير في فلكه لن تكون صحيحة ومقبولة ما لم تخضع لقوانين الشرع وتنبني على أسسه وقواعده ، والنية الحسنة والمقصد الحسن لا يكفيان في ذلك .

☆ ☆ ☆

الشبهة الثالثة

الاحتجاج بقول الله تعالى : ﴿ إنَّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ ﴾ [التّوبة : ٩/١١٤] .

أي أن إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام كان كثير التأوّه وهو قول : آه ، آه . وأن آه اسم من أسماء الله كما سيأتي في الشبهة الرابعة .

في تفسير الجلالين : الأوّاه : كثير التضرع والدعاء ، حليم صبور على الأذى .

وفي تفسير ابن كثير :: الأوّاه : المتضرع بالدعاء ، وعن ابن مسعود : الأوّاه : الرحيم .

وفي تفسير القرطبي : الأوّاه : الكثير الذكر لله تعالى ، وذكر عند النبي ﷺ رجلاً يكثر ذكر الله ويسبح فقال : إنه لأوّاه ، ويأتي الأوّاه بمعنى الخاشع ، وأصله التأوّه ، وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصُعَداء .

قال كعب : كان إبراهيم عليه السلام : إذا ذكر النار تأوّه .

قال الجوهري : قولهم عند الشكاية : أوْهِ من كذا (ساكنة الواو) إنما هو توجّع .

قال الشاعر :

فَأوْهِ لذكراها إذا ما ذكرتها   من بُعدِ أرضٍ بيننا وسماء

ويجمع هذه الأقوال ما أجاب به سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى عن تفسير هذه الآية : ﴿ إنَّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ ﴾ بيان شريف لحالته الكريمة ، وقلبه الطيب الرقيق ، وليست نصاً في هذا الذي يدَّعونه » .

فلفظ أوّاه لا يعني مطلقاً جواز النطق بلفظ (الله) محرّفة ومطموسة الحروف لتصبح (آه) .

الشبهة الرابعة

الاحتجاج بأن (آه) اسم من أسماء الله تعالى والنطق به يسمى (ذكر الصدر) . من المعلوم والمقرر عند علماء العقيدة أن أسماء الله تعالى توقيفية ، أي أنها موقوفة على الدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة ، سواء كان من كتاب الله عز وجل أو سنّة رسول الله ﷺ ، وبناءً على ذلك فلا يجوز إثبات اسم لله عز وجل أو نفيه عنه ، أو إثبات صفة أو نفيها عنه سبحانه إلا بدليل قطعي .

☆ ☆ ☆

قال الإمام القشيري رحمه الله في كتابه (التحبير) في شرح أسماء الله الحسنى : « التوقيف في أسمائه تعالى معتبر فلا يُسمى إلا بما ورد به الكتاب أو السُّنة وانعقد عليه إجماع الأمة » .

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى في كتابه (القصد) ، كما ذكره الشعراني رحمه الله في كتابه (اليواقيت والجواهر) : « لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى إلا بما سمّى به نفسه على ألسنة رسله ، فما أطلقه على نفسه أطلقناه ، وما لا فلا فإنما نحن به وله » .

☆ ☆ ☆

وقال ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى في (الفتاوى الكبرى) : « الذي صحّ عند الأشعري وجرى عليه أكثر أئمتنا وهو المعتمد عند النووي رحمه الله وغيره أنه لا يجوز اختراع اسم أو وصف له تعالى إلا بقرآن مصرّح به لا بأصله الذي اشتقّ منه فحسب ، واختلفوا هل يكفي الورود في الخبر الصحيح ؟ والأصح أنه لا بد فيه من التوقيف في نفس اللفظ الذي هو الاسم أو الصفة » .

☆ ☆ ☆

وقال الباجوري في كتابه (شرح جوهرة التوحيد) عند قول الناظم :

واختير أن اسماه توقيفية ... كذا الصفات فاحفظ السمعية

قوله « واختير .. إلخ » أي واختار جمهور أهل السُّنة أن أسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته ، فلا نثبت لله اسماً ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع . ثم قال : « والحاصل أن علماء الإسلام اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري عز وجل إذا ورد بها الإذن من الشارع ، وعلى امتناعه إذا ورد المنع فيه ، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع ، والمختار منع ذلك وهو مذهب الجمهور » .

☆ ☆ ☆

قال العلماء : لا يجوز أن يقال : « الله زارع » أو « ماكر » أخذاً من قوله تعالى : ﴿ أأنتم تزرعونَهُ أم نحنُ الزَّارِعونَ ﴾ [الواقعة : ٥٦/٦٤] ، ﴿ ومَكَروا ومكرَ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرينَ ﴾ [آل عمران : ٣/٥٤] ، ولا « الله رام » أخذاً من قوله تعالى : ﴿ ولكنَّ اللهَ رَمَى ﴾ [الأنفال : ٨/١٧] ، ولا « الله مثبِّت » أخذاً من قوله تعالى : ﴿ ويثبِّتَ بهِ الأقدام ﴾ [الأنفال : ٨/١١] ، ولا « الصاحب » أخذاً من قوله ﷺ : « اللهم أنت الصاحب في السفر » ، والمراد بالصحبة هنا غايتها من اللطف وإسداء الإنعام والإفضال .

وقالوا أيضاً : يجوز أن يقال : ياجواد ، ولا يجوز أن يُقال : ياسخيّ ، ويجوز أن يقالَ : ياحكيم ، ولا يجوز أن يُقال : ياطبيب ، لأن الوارد هكذا .

☆ ☆ ☆

فقل لي بربك ياأخي كيف يصح أن تقول « آه ، آه » مطلقين هذه الكلمة على أنها اسم من أسماء الله تعالى مع أنها مأخوذة من التأوّه الناتج عن ألم وضيق ؟ وهي من أسماء الأفعال كما يقول علماء اللغة ، فـ (آه) اسم فعل مضارع بمعنى أتوجّع ، وهذا من صفات الحوادث ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك ﴿ سُبحانَهُ وتَعالَى عمَّا يقولونَ عُلُوّاً كبيراً ﴾ [الإسراء : ١٧/٤٣] .

☆ ☆ ☆

قالوا : نحن بهذه الكلمة نعبّر عما في أنفسنا من آلام نفسية ، ومضايقات مادية ، وهواجس فكرية ، وما نصبوا إليه من آمال .

قلت : إن التعبير عن آلام النفس شيء ، وإطلاق هذه الكلمة على الذات الإلهية كاسم شيء آخر ، وشتان ما بين صفة معبّرة عن حالة شخصية ، وما يخالطها من إحساس ، وما يمازجها من ضيق ، وما تنطوي عليه من تأثر جرّاء اشتعال نار الشوق ، وتأجج لهيب الحنين ، وكل ذلك أمر ملازم للمخلوق ، وبين إثبات اسم لله تعالى ونناديه به ، علماً أن أسماء الله تعالى كالية في مبناها ومعناها ، وهي توقيفية كما ذكرت ، فأي كمال يتضمن لفظ (آه) وأي معنى يليق بذات الله سبحانه وتعالى أشار إليه ؟!

☆ ☆ ☆

قالوا : ورد من حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ عن المريض « دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى يرتاح إليه المريض » . ذكره السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير عن الرافعي وحسّنه .

قلت : إن هذا الحديث ضعيف من حيث الصناعة الحديثية ، وعلى فرض صحته وثبوته لا يراد منه ظاهره وحقيقة الإطلاق ، بل المقصود منه : أن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض ، وشتان ما بين أثرٍ واسم . يدل على ذلك قوله ﷺ : « لا تسبّوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » ، رواه مسلم ، فالمقصود منه أن الله تعالى هو المسبب لحوادث الدهر ، فلا يصح أن يُنسب إلى الدهر شيء ، ولا أن يُسبَّ ويُذمَّ .

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم : « أي لا تسبّوا فاعل النوازل ، فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السّب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى » .

وقال ابن حجر رحمه الله في حاشية (الإيضاح) : « معناه أن ما أصابك من الدهر فالله هو الفاعل له فسبّه سبّ لله ، فالأنين والدهر أطلقا على الله تعالى من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما ، أو على تقدير بعض المحذوفات » .

وقال في كتاب (الدر المنضود) : المشهور عند أهل السنة أن أسماء الله توقيفية ، وأنها لا تثبت بالحديث الضعيف .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام المناوي رحمه الله في كتابه (فيض القدير) : عند شرح هذا الحديث « دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله يستريح إليه العليل » ، قال : أي لفظ (آه) من أسمائه لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن ، وأسماؤه تعالى توقيفية .. » .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام الحفني في شرح العزيزي للجامع الصغير : « قوله من أسماء الله ، أي من أثر بعض أسماء الله كالضَّار ، والقهّار ، فإذا تجلّى تعالى على عبده بهذا الاسم حصل له الضَّر ، وإلا فـ (آه) لم يرد أنه من أسمائه ، وهذا يدل على أن (آه) لا يكره (أي للمريض) من حيث لم يكن بضجر ، وبعضهم قال يكره وعليه الإمام أحمد رحمه الله .

☆ ☆ ☆

قالوا : إن المريض ينبغي أن يقول (آه) ولا يقول (أخ) لأن (أخ) اسم شيطان .

قلت : لا أدري والله من أين أتَوْا بمثل هذا الكلام فـ (أخ) اسم صوت يدل على التوجع والتأوّه من غيظٍ أو حزن ، فمن أين أتى الشيطان إذن .

وعلى كلٍّ أقول : إن المريض إذا قال : آه أولى له من : أخ ، لأن لفظ (آه) أقرب من ناحية التركيب اللفظي لـ (الله) فلعله بلفظ (آه) يستأنس به وقد يسهل على لسانه النطق بلفظ (الله) .

☆ ☆ ☆

قالوا : وكذلك نحن مرضى القلوب ولعل قلوبنا تستريح بلفظ (آه) على اعتبار جوازه للمريض .

قلت : إن الرخص الشرعية منوطة بذوي الأعذار الظاهرة المحسوسة ، بهذا نطق القرآن ، وأخبر سيد الأكوان وحبيب الرحمن سيدنا محمد ﷺ . لقد عذر الله المريض

ورخّص له الفطر في رمضان ، والتأخر عن ركب المجاهدين ، وترك صلاة الجمعة حتى يبلّ من مرضه . فلو ادعى ذلك مريض القلب ، واعتقد أنه يحق له استعمال هذه الرخص فلا شك في وجوب قطع عنقه ، وكذلك المسافر .

فالسفر سفران : سفر ظاهر وهو المسير في الأرض ، والانتقال من مكان إلى آخر ، وسفر باطن وهو سير القلب إلى الدار الآخرة ، وتجرده عن عوائقه وعلائقه ، وتخلصه من أدرانه ونزغاته ، فالرخص الشرعية كالقصر والفطر وعدم وجوب الجمعة منوطة بحق المسافر سفراً شرعياً ، فلو ادعى مسافر القلب ذلك واعتقده فلا شك في ردّته وخلع ربقة الإسلام من عنقه .

☆ ☆ ☆

قالوا : إن الإمام الشاذلي رضي الله عنه قد ذكر بهذا الاسم (آه) .

قلت : إنه لم يثبت فيما نعرف من طريق علميّ قطعي أن مولانا الشاذلي رضي الله عنه ذكر باسم (آه) ولا خلفاؤه الأولون ، والراجح أن الذكر به عرف في حوالي عهد الشيخ الفاسي كما ورد ذلك في مجلة المسلم في عددها الصادر في شهر شوال سنة ١٣٨٠/ هـ .

إن هذا اللفظ فيه خلاف بين الشاذلية أنفسهم فبعضهم يثبته وبعضهم ينفيه ، والأَوْلى الابتعاد والاحتياط أمر مطلوب « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، وكيف وقد علمت أنه منفي قطعاً لأنه لا يليق بذات الله سبحانه ، ولا تقولن : المثبت مقدم على المنفي ، نعم هذا كلام سليم لكن إذا كان الإثبات يستند على دليل قطعي الثبوت .

☆ ☆ ☆

قالوا : أما قرأت ما قاله الأستاذ أحمد خيري كما في مجلة المسلم عدد شوال ١٣٨٠/ هـ حيث يقول :

قد أنكروا خبر الأنين وإنني ... أجد الأنين يخفف الآلاما
لا أستحلّ مقالة في وضعه ... فالشاذلي لديّ كان إماما

قلت : أما قرأتم ما قاله الأستاذ علي سالم عمار الشاذلي مضمّناً البيتين السابقين وذلك في عدد صفر من عام /١٣٨١/ هـ حيث قال :

(آه) الأنين على اصطلاح قاما (الله) ذكر للعلا يتسامى
فجماعة قد أثبتوه بذكرهم كاسم كريم صاحب الأعلاما
قالوا بأن الشاذليّ أتى به فتأثروه تلقياً وقياما
والقصر في لفظ الجلالة جائز وبسرعة الترديد قد يترامى
والله قد مدح (الخليل) بأنه تخذ (التأوه) فطنة ولزاما

☆ ☆ ☆

وجماعة قد أنكروه لأنه لم يأت في شرع النبي تماما
(قد أنكروا خبر الأنين وإنني) لا أقحم الألفاظ والأقلاما
فبأي لفظ للأنين وبالرضا (أجد الأنين يخفف الآلاما)
(لا أستحل مقالة في وضعه) وضعاً يشكل ريبة وملاما
ما صح أن الشاذلي أتى به (فالشاذلي لديّ كان إماما)

☆ ☆ ☆

والشاذلي إمامنا متمسّك بالشرع نصّاً بالتتابع قاما
قد كان يلتزم النصوص صريحة ويعبّ من بحر الهدى إسلاما
والذكر في حدّ الكمال مقيّدٌ لغةً ، ونطقاً ، فكرة ، ونظاما
والذاكرون وإن تفاضل قدرهم واعٍ ومسلوب ، وكلٌّ حامى
فالذاكر الواعي يصون لسانه والذاكر المسلوب حيث أقاما
والصحو في عرف التصوف لازم للمرشدين كفاية وقواما

☆ ☆ ☆

والله سمّى ذاته بحقائق عليا ووفّى حقّه إعظاما
قد أنزل الأسماء بين كتابه ورسوله قد بيَّن الأعلاما
والـ (آه) لم تظهر بلفظ حاسمٍ حتى يكون قبولها إلزاما
ما قيمة الحسنى إذا لم تكتمل فيها المحاسن جملة ونظاما

أما الخليل فقد تأوّه مضراً | في سرّه ما قد شكا الآلاما
سار (الأمين) إليه وهو بمحنة | ليزيل عنه في الجحيم ضراما
فأبى الإباحة عن حوائجه له | فالله كافٍ عبده إكراما
فبأي (آه) نهتدي في ذكرنا | لحقيقة عظمى لها نتسامى
وتعدّد (الآهات) ليست كلها | ذكراً ، ولسنا نجهل الأعلاما
أَوْلى فأَوْلى أن نناجي مفرداً | جمع المحاسن والكمال تماما
(الله) لفظ مفرد في ذاته | فاذكر به تستوعب الإسلاما

☆ ☆ ☆

قالوا : إن ذلك ثبت عن طريق الكشف والتجربة والذوق .

قلت : لقد قرر علماء الشريعة في المشارق والمغارب أن مصادر التشريع : الكتاب والسنة والقياس والإجماع ، ولم يذكروا مصدراً خامساً هو الكشف أو الالهام .

إن الكشف الحقيقي النوراني لن يتصادم مع الشريعة أبداً ، ولم يكن الكشف والذوق والتجربة في يوم مصدراً من مصادر التشريع لضمان العصمة في الكتاب والسنة والإجماع ، وعدم ضمانها في غير ذلك .

قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : إذا عارض كشفك الكتاب والسُّنة فتمسّك بالكتاب والسُّنة ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى قد ضمن العصمة في الكتاب والسُّنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ولا المشاهدة ، مع أنهم قد أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسُّنة .

وقال : كل علم تسبق إليك فيه الخواطر ، وتميل إليه النفس ، وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقاً ، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله ، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده ، وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك ، والظنون ، والأوهام ، والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه » .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام الشعراني رحمه الله في كتابه (تنبيه المغترين) : « هل لصاحب

التلقي الروحي عن رسول الله ﷺ أن يأمر الناس بما أمره به رسول الله ﷺ أم لا ؟

فالجواب : لا ينبغي له ذلك لأنه أمر زائد على السُّنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ من طريق النقل ، ومن يأمر الناس بشيء زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلّف الناس شططاً » .

قالوا : إن كلمة (آه) مشتقة من لفظ الجلالة (الله) .

قلت : ما أشد الشبه بين هذا القول وبين اشتقاق المشركين أسماءً لأصنامهم من أسماء الله عز وجل ، فإنهم اشتقوا (اللات) من (الله) ، والعزى من (العزيز) ، ومناة من (المنان) ، وهذا هو الإلحاد في أسماء الله عز وجل الذي حذر منه بقوله الكريم : ﴿ ولله الأسماءُ الحسنى فادعوهُ بها وذروا الذينَ يُلحِدونَ في أسمائِهِ ﴾ [الأعراف : ١٨٠/٧] . وإليك أقوال المفسرين في هذه الآية :

قال الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) : « الأسماء ألفاظ دالة على المعاني ، فهي تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها ، ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال . ومن الأسماء ما يجوز إطلاقها على غير الله تعالى كقولنا : الكريم ، الرحيم ، العزيز ، اللطيف ، الكبير ، الخالق ، فإن هذه الألفاظ يجوز إطلاقها على العباد ، وإن كان معناها في حق الله تعالى مغايراً لمعناها في حق العباد إلا إذا قيدت بقيود مخصوصة بحيث قد صارت لا يمكن إطلاقها إلا في حق الله تعالى كقولنا : يا أرحم الراحمين . وكل اسم لا يفيد في المسمّى صفة كمال وجلال فإنه لا يجوز إطلاقه على الله سبحانه .

وقوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ يدل على أنه تعالى حصلت له أسماء حسنة ، وأنه يجب على الإنسان أن يدعو الله بها وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية .

وقوله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ قال المحققون : الإلحاد في أسماء الله يقع على **ثلاثة أوجه** :

الأول : إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله مثل الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة .

الثاني : أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به ، وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله تعالى .

الثالث : أن يذكر العبد ربّه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسمّاه فإنه ربما كان مسمّاه أمراً غير لائق بجلال الله فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء .

☆ ☆ ☆

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه : الإلحاد الميل وترك القصد . يقال : ألحد الرجل في الدين : إذا مال ، والإلحاد يكون **بثلاثة أوجه** :

١ ـ : بالتغيير فيها ، أي بالأسماء كما فعله المشركون .

٢ ـ : بالزيادة فيها .

٣ ـ : بالنقصان منها كما يفعله بعض الجهال الذين يخترعون أدعية يسمّون فيها الله تعالى بغير أسمائه ، ويذكرونه بغير ما يذكر من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به . قال ابن العربي : فحذار منها ، ولا يدعون أحدكم إلا بما في كتاب الله والكتب الخمسة وهي : البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي . فهذه الكتب يدور عليها الإسلام ، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف » .

☆ ☆ ☆

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره : « الإلحاد : التكذيب ، وعن قتادة يلحدون قال : يشركون . وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدول عن القصد والجور عنه والإعراض ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم » .

☆ ☆ ☆

وفي تفسير النسفي : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه : واتركوا الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمون بغير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسمّوه بما لا يجوز عليه نحو ، أن يقولوا : يا سخيّ ، يا رفيق ، لأنه لم يسمِّ نفسه بذلك » .

☆ ☆ ☆

وفي تفسير السراج المنير للشيخ الخطيب الشربيني : « وقال أهل المعاني : الإلحاد في أسمائه تعالى هو أن تسميه بما لم يسمِّ الله به نفسه ، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماءه تعالى توقيفية » .

☆ ☆ ☆

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين) : « حقيقة الإلحاد فيها : العدول بها عن الصواب ، وإدخال ما ليس من معانيها فيها ، وإخراج حقائق معانيها عنها ، هذا هو حقيقة الإلحاد ، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله ، فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها ، وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب ، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة » .

☆ ☆ ☆

وفي تفسير المراغي : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه : أي ادعوه أيها المؤمنون واتركوا جميع الذين يلحدون في أسمائه بالميل بألفاظها أو معانيها عن نهج الحق الوسط ، أو ما ينافي وصفها بالحسنى كأن يوصف بما لا يصح وصفه به أو تتأول أوصافه على ما لا يليق . ثم قال : والخلاصة أن الإلحاد في أسمائه الحسنى أقسام :

الأول : تسميته تعالى بما لم يسمِّ به نفسه في كتابه ، أو ما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ ، فقد اتفق أهل الحق على أن أسماءه تعالى توقيفية : أي تحتاج إلى إذن من الشارع لصحة إطلاقها عليه تعالى ، وكل ما ورد في الكتاب والأحاديث الصحيحة دعاءً ووصفاً له وإخباراً عنه يصح إثباته له ، ويمنع كل ما دلت على منعه .

الثاني : ترك تسميته بما سمّى به نفسه ، أو وصفها به ، أو ترك إسناد ما أسنده تعالى إلى نفسه من الأفعال بناءً على أن ذلك لا يليق به تعالى ، أو أنه يوهم نقصاً في حقه كأن هؤلاء الملحدين أعلم منه ، ومن رسوله ﷺ بما يليق به وما لا يليق » .

☆ ☆ ☆

فعلم مما تقدم من أقوال المفسرين أن الإلحاد في أسمائه تعالى هو الاشتقاق منها ، أو نسبة ما ليس منها إليها ، أو أن يزاد عليها وينقص منها لأن أسماءه تعالى توقيفية .

يقول الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله كما نقله الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) : « ليس لأهل الأدب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسماً ولو حسناً في العرف سواء كان طريقهم إلى ذلك الكشف ، أو النظر الصحيح . وقال في كتاب (القصد) : لا يجوز أن نسمي الله تعالى إلاّ بما سمّى به نفسه على ألسنة رسله ، فما أطلقه على نفسه أطلقناه ، وما لا فلا ، فإنما نحن به وله » .

☆ ☆ ☆

الشبهة الخامسة

الاحتجاج بأن الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله وهو من كبار تلاميذ أبي الحسن الشاذلي ، وذلك أن الشيخ أبو الحسن كان يأخذ أتباعه إلى مغارة في الجبل فيذكرون الله بصدورهم دون ألسنتهم ذكراً له كرير ككرير الأسد فقال أحدهم : ما هذا الذكر ؟ قالوا : هذا ذكر أهل الحقيقة .

قلت : بالرغم من أنهم لم يذكروا المرجع الذي رووْا عنه الرواية المذكورة فلا يصح الاستنتاج بأن الذكر هو لفظ (آه) ، وإذا سلمنا بصحة الرواية فلا نسلم بصحة الاستنتاج لأنه من المحتمل أن يكونوا في حالة سلب اختيار ، وضياع رشد فلا يقاس عليهم غيرهم ممن هم في سحيق عميق أودية الظلمات وتسلط الشهوات . إن القصة تذكر أنهم كانوا يذكرون الله بصدورهم - أي قلوبهم - وليست نصّاً في الذكر المحرّف ، أو تلك الهمهمات التي لا يستبين بها معنىً ، ولا يتضح بها لفظ ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء الأصول .

أولئك قوم ذابوا في محبة ربِّهم ورضى خالقهم ، وأنسوا بذكره ، فإذا ذكروه ناحوا ، وإذا شاهدوه تاهوا ، يرجونه ويخافونه ، فمن شدة خوفهم تسمع لصدورهم أزيزاً كأزيز المرجل تبعاً لمن ورثوا عنه ذلك وهو سيدنا رسول الله ﷺ .

إننا لن نترك ما بأيدينا من أدلة عقلية ونقلية تدل على صحة ما بيناه لنتمسك بقصة لا يُعلم مدى صحتها وصدقها ؟! ومتى كانت القصص دليلاً يعتمد عليه ؟!

الشبهة السادسة

الاحتجاج بحديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه » ، رواه البخاري ومسلم .

قلت : المراد بالأحرف السبعة « لغات متفرقة في القرآن مختلفة في السمع ، متفقة في المعنى ، أو مختلفة في السمع وفي المعنى ، وزيادة كلمة ونقص أخرى ، وزيادة حرف ونقص آخر ، وتغيير حركات في موضع حركات أخرى ، وتقديم وتأخير ، ومدّ وقصر ، وشبه ذلك مما يتعلق بجوهر الكلمة أو كيفية أدائها »[1] .

والحكمة في نزول القرآن على الأحرف السبعة هو التيسير على الأمّة الإسلامية كلها خصوصاً الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن ، فإنها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات ، وطريقة الأداء ، وشهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات على رغم أنها كانت تجمعها العروبة ، ويوحّد بينها اللسان العربي العام ، فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرفٍ واحد لشقّ ذلك عليها كما يشق على السوري أن يتكلم بلهجة المصري ، أو الدمشقي أن يتكلم بلهجة الحموي أو الحلبي وإن جمع بينهم اللسان العربي .

والمراد بالحرف : الوجه ثم إن كلمة (على) في قوله ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير ، أي أنزل القرآن موسّعاً فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه ، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه ، وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه ؛ إذاً لقال ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف » بحذف « على » ، بل المراد ما علمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة بحيث لا تتجاوز وجوه الاختلاف سبعة أوجه ، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع في أداء اللفظ الواحد ، ومهما تعددت القراءات وطرقها في الكلمة الواحدة[2] ..

---

(١) روائع القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

(٢) يراجع مناهل العرفان للزرقاني .

وليس في الحديث ما يدل على أن التحريف في لفظ الجلالة سائغ ومعتبر . وقد ذكرت أن المحافظة على المد الطبيعي في اللفظ الكريم « الله » هو المتعين . وهناك أقوال في جواز قصره عن حركتين وهو وارد لغة ، وكذلك جواز مدّه إلى أربع عشرة حركة إذا أريد الوقف عليه كما ورد في بعض القراءات الشاذة . أما طمس معالم الحروف ونقصها والزيادة عليها فذلك مابيّنا عدم جوازه سابقاً .

الشبهة السابعة

الاحتجاج بفتوى منسوبة إلى ابن حجر رحمه الله وهي مذكورة في كتاب (**حجة الذاكرين**) **وهذا نصها :**

ما قول السادة المحققون رضي الله عنهم أجمعين في جواب من يذكرون الله تعالى قياماً وقعوداً بالتمطيط والأنغام الموسيقية وإظهار المدّ بين همزة ولام (إله) ومدّ الهاء من (إله) ويقولون : هو ، وها ، وهي ، ويذكرون الله بالحلق و (حي) ويرقصون بعض الأحيان بالتواجد والوثبات ، ويغيبون عن إدراكهم ، وينشدون الأشعار المحركة للذهن إلى النشاط وغير ذلك مما يتعلق بأحوال المريدين من أهل الطرق عموماً وخصوصاً ، هل هو حرام أو لا ؟ وهل تركه أوْلى أو هو سنّة ؟ وهل يجوز الإنكار على هؤلاء أم له أصل في الكتاب والسنة ؟ وهل يجوز سبّ مشايخ الطريق ؟ أفتونا أثبتم الجنة .

فكتب الشيخ الجواب فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم إني أسألك الهداية : يجوز الذكر بجميع الأنواع وهي : إيل ، ولاها ، لورود الشرع ، لأن (إيل) اسم الرحمن ، و (لاها) اسم المحجوب ، ولا تذكر لا إله إلا الله إلا في الشهادتين . ويجوز الذكر بـ (هو ، وها ، وهي) ، وبغير العربية ، وبالقلب وبالحلق ، ويجوز الذكر بأسماء الله طرّاً بأن يقول : لا رحمن إلا الله .. إلخ الأسماء الحسنى ، وباسم منفرد باللسان وبالقلب . ويجوز الرقص بدليل رقص الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ . ورقص

جعفر بن أبي طالب بين يديه ﷺ حيث قال : أشبهت خَلْقي وخُلُقي حتى غاب عن إدراكه بحضور النبي ﷺ ولم ينكر ، وإنشاد الشعر جائز بلا إنكار ، وكانت الصحابة رضوان الله عليهم يتناشدون الأشعار بين يدي رسول الله ﷺ ، ولم يُنكر يوم العيد على الغناء . وأصل هذه الطريق الكتاب والسنة ، ولا يجوز الإنكار عليها بالاتفاق ، والمنكر كافر شرعاً لإنكاره أصل الكتاب والسنة ، وسبّ المشايخ إهانة في الدين ، وإهانة الدين كفر شرعاً وعقلاً ونقلاً بلا خلاف والله أعلم . انتهت الفتوى وجوابها .

☆ ☆ ☆

قلت : إن هذه الفتوى قد اختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالفاسد ، وكان أكثرها ترّهات وأباطيل ، لذلك فإنها لا تثبت أمام النقد العلمي الصحيح ، وستنهار حتماً أمام التوضيح والتصحيح ، وذلك مما يدل على أن هذه الفتوى مدسوسة على ابن حجر رحمه الله ، وكيف لا تكون كذلك وهو الذي ألَّف كتاب (كفّ الرعاع عن محرمات اللهو والسماع) ودحض بعض ما جاء في هذه الفتوى وزيفه ، وحذر من الاغترار به واعتمد أن أدلة بعض فقراتها موضوع لا أصل له ، وإن صحت فليس حكمها عاماً وإنما هي خاصة بمن سيطرت عليه الانفعالات النفسية ، ولم يستطع ضبط نفسه أو التحكم في حركاته . وسأوضح ذلك بتقسيمها إلى فقرات ثم أنتقد كل فقرة منها ليتضح الحق الذي لا لبس فيه ولا غموض :

١ -: الذكر بالتمطيط والأنغام الموسيقية ، وعدم التقيد بلفظ لا إله إلا الله على الوجد المطلوب شرعاً إلا في الشهادتين فقط .

٢ -: الذكر بـ (هو ، وها ، وهي) .

٣ -: الذكر بـ (إيل) و (لاها) وبغير العربية .

٤ -: الذكر بالقلب والحلق .

٥ -: الرقص والغناء .

٦ -: إنشاد الشعر .

٧ ـ : أصل طريق التصوف .

٨ ـ : الإنكار على التصوف والمنكر كافر شرعاً .

٩ ـ : سبّ المشايخ .

الفقرة الأولى :

الذكر بالتمطيط ، والأنغام الموسيقية ، وعدم التقيد بلفظ لا إله إلا الله على الوجه المطلوب شرعاً إلا في الشهادتين فقط .

قلت : لقد وضحت أن الذكر بـ (لا إله إلا الله) أو لفظ الجلالة (الله) هو من القرآن الكريم والسنة النبوية لا يمتري بذلك عاقل ، ولا يجادل به عالم أو جاهل ، وسقت الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على وجوب المحافظة على الألفاظ كما وردت ، وأن الزيادة والنقصان فيها أمر مستتبع اللوم والإثم . **يقول العلامة ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري :**

« إن ألفاظ الأذكار توقيفية ، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الوارد الذي وردت به ، وهذا اختيار المازري قال : فيقتصر على الوارد بحروفه » . وكيف تصح نسبة الأنغام الموسيقية إلى ابن حجر وهو الذي حمل على مجالس اللهو والسماع التي تتضمن بعض الآلات والأنغام الموسيقية في كتابه (كفّ الرعاع) .

وهل يستقيم التمطيط في الأذكار وملاحظة الأنغام والإيقاع مع المحافظة على النطق الصحيح واللفظ الصريح ؟

وكيف لا يتقيد بلفظ (لا إله إلا الله) على الوجه المطلوب إلا في الشهادتين . وهي كلمة من القرآن الكريم أولاً ومن السُّنة الصحيحة الثابتة ثانياً . وتخصيص النطق بها نطقاً صحيحاً في الشهادتين فقط تخصيص من غير مخصص شرعي . ولذا كان هذا الادعاء مرفوض ومردود مهما كان صاحبه . وقد مرَّ ما ذكره **الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح** « وأما الرقص والتصفيق والصريخ وضرب الأوتار والصنج والبوق الذي يفعله بعض من يدعي التصوف فإنه حرام بالإجماع لأنها زيّ الكفار » .

وقال محمد المنير في كتابه (تحفة السالكين) عند ذكره جملة من آداب الذكر .. قال : و يأخذوا في الذكر بسكينة ووقار وخشوع صوت متوسط على الهوينا من غير تمطيط » .

الفقرة الثانية :

الذكر بـ (هو) و (ها) و (هي) .

قلت : إن الذكر بـ (لا إله إلا الله) هو أفضل الأذكار لقوله ﷺ : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » .

وهناك أقوال بأن أفضل الذكر (الله ، الله) ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله في كتابه (الفتاوى الحديثية) وسيأتي الكلام عليه .

وروى الترمذي والإمام أحمد والإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال : الله ، الله » .

☆ ☆ ☆

أما الذكر بـ (هو) فقد أجاد وأفاد الفخر الرازي في تفسير الفاتحة في ذكر ما تضمنه من أسرار وأنوار . وأنه ضمير عائد على الله تعالى . وقد ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٥] ، وقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو ﴾ [الحشر : ٥٩/٢٢] ، وغير ذلك من الآيات .

أما : ها ، وهي فما هي يا ترى ؟ وهل هي إلا ضمائر دالة على التأنيث ؟ فهل من اللائق نسبتهما إلى الله تعالى ؟ سبحان الله العظيم وبحمده !!

☆ ☆ ☆

قد يرد سؤال أيهما أفضل ذكر (لا إله إلا الله) أو لفظ الجلالة (الله) ؟

أجاب على ذلك ابن حجر رحمه الله في كتابه الفتاوى الحديثية قال ما ملخصه : « ذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً في قول ، وفي قول آخر أن ذلك يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن كان في بدايته و يغلب عليه شهود الأغيار ولا ينفك عن التعلق بها فإنه يحتاج إلى الإثبات بعد النفي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب

الحقَ المرتّبة على ذلك ومتى استولت عليه تلك الجواذب حتى أخرجته عن شهواته و إراداته وجميع أغراض نفسه وصار بعيداً عن شهود الأغيار ، واستولى عليه مراقبة الحق أو شهوده فحينئذٍ يكون الأنسب في حقه ذكر الجلالة (الله) فقط لأن ذلك فيه تمام لذته ودوام مسرته ونعمته ومنتهى أربه ومحبته .

والحاصل أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه ومرشده الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة فإنه الطبيب الأعظم فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطي كل بدن ونفس ما يراه اللائق بشفائها والمصلح لغذائها . فإن لم يكن له أستاذ فلا يعدل على ذكر لا إله إلا الله بلسانه وقلبه بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يعلم به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين ، حقق الله لنا ذلك بمنّه وكرمه آمين .

قال بعضهم : ينبغي للذاكر بلفظ الجلالة أو أي اسم من أسماء الله أن يكون ملفوظاً بياء النداء لأن الذكر باسم مفرد لا يجوز لأنه لا يؤلف جملة كاملة .

قلت : هذا قول مردود لأن نصوص القرآن تثبت غير ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ قل : الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٦/٩١] .

وقال : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : الله ﴾ [لقمان : ٣١/٢٥] .

وهو جائز لغة أيضاً فقولك : الله ، أو الرحمن ، أو الرحيم ، فهو منادى بإسقاط حرف النداء لأن التقدير (يا الله) كقوله تعالى : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ فتقديره : يا يوسف ، وأما الذكر بياء النداء فمعناه الاستغاثة . والذكر بلفظ (الله) دون ياء النداء هو ذكر الاسم فقط قال تعالى : ﴿ واذكر اسمَ ربِّك وتبتَّل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل : ٧٣/٨] ، وقال : ﴿ قد أفلح من تزكّى ۞ وذكر اسم ربِّه فصلّى ﴾ [الأعلى : ٨٧/١٤ـ١٥] .

قال الشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع) : « وقالوا أيضاً يجوز الذكر بـ (ها ، وهي) .

والجواب : أنها دعوى لا دليل عليها ، فإن : ها ، وهي من الضمائر المؤنثة ، فلا يجوز الذكر بها ، إذ لم ترد لا في كتاب ولا في سنة ، وما وقع في كتب المخذولين لا يلتفت إليه .. » .

أيليق بالذاكر أن يقول « ها ، هي ، ها ، هي » !! فأين العقول الراجحة ؟ بل أين القلوب الواعية ؟ أين الفهوم المدركة ؟ هل كفر القوم بعقولهم وإدراكهم ، إن كانوا قد كفروا بالنقل الصحيح ، والمنطق السليم ؟!!

الفقرة الثالثة :

الذكر بـ (إيل ، ولاها ، وبغير العربية) لورود الشرع لأن إيل : اسم الرحمن ، و (لاها) اسم المحجوب .

☆ ☆ ☆

قلت : أين الدليل النقلي القطعي الثبوت بأن هذين الاسمين من أسماء الله ، وهذه ترجمتها ؟ ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١/٢] .

قالوا : في تفسير ابن كثير (إيل) معناه : الله ، والمشهور عن عكرمة أن (إيل) هو الله ، وعن عكرمة أنه قال : إن جبريل اسمه عبد الله ، ومكائيل عبد الله جبر ، وميك ، وإسراف ، معناه عبد ، وإيل : الله . ومن الناس من يقول : (إيل) عبارة عن عبد والكلمة الأخرى هي : الله .

قلت : مرّ معنا أن أسماء الله توقيفية بمعنى أنها موقوفة على الشارع فلا نثبت لله اسماً أو صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع أي دليل قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة . وهل : جبر ، وميك ، وإسراف كلمات مترادفة لمعنى واحد وهو عبد ، أم أنها مختلفة المعنى ؟ ومن الذي قرر ذلك ؟ وما الموقف إذا كانت الترجمة بالمعنى الثاني وهو تقديم المضاف إليه على المضاف ، وهو إيل بمعنى عبد ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

إنها كلمات غير عربية أي (إيل ولاها) فلا يجوز أن نجازف في نسبتها إلى الله سبحانه ، أو نسارع إلى ترجمتها ترجمة غير مرضية ، وعلى فرض صحة الترجمة فما هي المناسبة للنطق بها من غير مبرر شرعي ؟! ومن الذي قال إن (لاها) معناها المحجوب .

قال زين الدين العراقي رحمه الله في كتابه (طرح التثريب) : « .. وإيل اسم لله تعالى ، قال أبو علي الفارسي هذا خطأ من وجهين : أحدهما : أن إيل لا تعرف في أسماء الله تعالى في اللغة العربية ، ولكان آخرها مجروراً أبداً كعبد الله .

قال الواحدي : وقد قال بالأول جماعة من العلماء ، وقال النووي : الصواب قول أبي علي ، فإن ما ادعوه لا أصل له » .

وقال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (تهذيب الأسماء واللغات) : « هذا لا يصح لأنه ليس من أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب ، وأيضاً : أسماء الله لا تثبت إلا بالقرآن أو السُّنة المتواترة ، وقد عدم الطريقان » .

☆ ☆ ☆

وأما الذكر بغير العربية ، فاعلم أن اللغة العربية هي سيدة اللغات وأفصحها ، وأصدقها لهجة ، وأقواها أسلوباً وتعبيراً ومنطقاً ، وأسلسها بياناً ، ولذلك نزل القرآن الكريم بها ، وكان رسول الله ﷺ أفصح العرب والعجم ، فكيف يعدل عنها إلى غيرها ، وخاصة في ذكر الله تعالى .

لقد اشترط كثير من العلماء في كثير من العبادات أن تكون باللغة العربية ، ولا تصح بغيرها عند القدرة على تعلُّمها منها : الأذان ، والإقامة ، وتكبيرة الإحرام ، وقراءة الفاتحة ، وقراءة القرآن الكريم ، والتشهد والسلام ، وأركان الجمعة وغير ذلك . فكيف يستساغ لمن كان عربياً أصلاً ولغة ووطناً أن يعدل عنها إلى غيرها .

ما يقول القوم إذا رأوْا جماعة من المسلمين العرب لغة وجنساً ووطناً يذكرون الله بالفارسية مثلاً قائلين (خودي ، خودي) أو الإنكليزية (كاد ، كاد) فهل يرضى بذلك أحد ؟ إن الذكر بالعربية يكون لمن لم يقدر على تعلمها بعد بذل الجهد في التعلّم . ولماذا الذكر بغير العربية إذا لم تكن ضرورة ومبرر شرعي ؟!!

الفقرة الرابعة ـ الذكر بالقلب والحلق :

قلت : الذكر بالقلب معلوم وهو الإسرار فيه ، وهو الذكر الخفي وقد مرَّ تفصيله . وكل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة ، فإن شعورهم يقارن شعورك .

وأما ذكر الحلق ، فإن كان المقصود منه الجهر بالذكر دون طمس معالم الحروف ، وإصدار تلك الأصوات المنكرة التي لا تفقه لها معنى ، أو تميز بها حرفاً فلا خلاف في ذلك ، وإلا فهو صوت ساذج لا اعتبار له ولا شأن .

قال الشيخ علي محفوظ في كتابه (الإبداع) : « ومن بدعهم أنهم يذكرون بالحلق ، ومعلوم أن مورد الذكر اللسان والحلق والشفتان ، وبالحلق فقط صوت ساذج ، وبالقلب فقط ليس أيضاً بذكر ـ بكسر الذال ـ بل ذُكر ـ بضم الذال ـ وليس الكلام فيه » .

☆ ☆ ☆

الفقرة الخامسة ـ الرقص والغناء :

قلت : الرقص **لغة** : اللعب والحركة والاضطراب . قال في القاموس المحيط : رقص الرقاص لعب ، الآل : اضطرب ، والرقْص والرقَص والرقصان ، محركتين : الخبب ، والخمر : غلت ، ولا يكون الرقص إلا للاعب ، وللإبل ، ولما سواه القفز ، والنقز (الوثب) . والرقاصة ـ مشدّدة ـ لعبة لهم (أي للعرب) وترقص ارتفع وانخفض .

واصطلاحاً : اهتزاز وتحرك بحركات مخصوصة على إيقاع موسيقي ، أو على الغناء ، أو تأدية حركات بجزء أو أكثر من أجزاء البدن على إيقاع ما للتعبير عن شعور أو معانٍ معينة ، أو مجرّد حركات موزونة على استقامة معينة .

حكمه : الرقص إن كان فيه تثنٍّ ، أو تكسّرٍ حرم على الرجال والنساء ، وهذا هو قول الجمهور ، واتفقوا على أنه مكروه إن كان بدون ذلك .

فإدخال الرقص مهما كانت كيفيته في ذكر الله تعالى إقحام لما هو مكروه ، أو محرّم في عبادة مشروعة ، وتحويل له بذلك إلى عبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى بدون دليل ، أو على أنها خرجت عن الكراهة والتحريم ولا قائل بذلك .

فيا عجباً لنسبة الرقص إلى ابن حجر كما في هذه الفتوى التي نحن بصدد تمحيصها وتحقيقها وهو الذي ألّف كتاب (كفّ الرعاع) والقائل فيه : « ما تقرر في الرقص من أنه إن كان فيه تثنٍّ أو تكسّر حرم على الرجال والنساء ، وإن انتفى كل منهما عنه كره .

قال الرافعي : لأنه مجرد حركات على استقامة هو المعتمد في مذهبنا ، وقيل يكره مع التكسر أو التثني ، ولا يحرم ، وقيل يباح مع عدمها ولا يكره .

وقال أصحابنا : إن أكثر منه حرم وإلا فلا وأشار القاضي حسين في تعليقه ، والغزالي في إحيائه إلى أن محل الخلاف فيمن فعله باختياره ، بخلاف من كان من أهل الأحوال فحصل له وجد اضطره إليه ، فإن هذا لا حرمة فيه ، ولا كراهة عليه اتفاقاً » .

فالذي يفتري الكذب على رسول الله ﷺ حيث يضع العشرات بل المئات من الأحاديث المكذوبة لحاجة في نفسه ليس عنده وازع من أن يفتري الكذب على أي عالم كان من أجل أن ينصر باطله ، ويدعم منكره ، ويقرر انحرافه .

☆ ☆ ☆

قالوا : ورد في الفتاوى الحديثية لابن حجر ص/٢٩٨/ أنه سئل نفع الله به عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل ؟ فأجاب بقوله : نعم له أصل فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : أشبهت خَلْقي وخُلُقي وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه ﷺ ، وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم عز الدين بن عبد السلام .. وذكر مثل هذا الكلام السيوطي في فتوى له في كتابه (الحاوي للفتاوي) .

☆ ☆ ☆

قلت : أما الاستدلال على الرقص برقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله ﷺ فقد رد هذا الاستدلال نفسه في كتابه (كفّ الرعاع) حيث قال فيه : « وتمسكوا أيضاً بأنه ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك فحجّل عليّ ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا فحجّل ، كذلك حجّل جعفر لما وصّى له بابنة حمزة حين خاصمه فيها عليّ وزيد .

والحجل : بفتح الحاء وكسر الجيم : مشي المقيد وهو وثب واهتزاز وهو الرقص » .

وأذكر الحديث بتمامه ليعرف : أخرج أبو داود من حديث علي بن أبي طالب :

اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال رسول الله ﷺ لعليّ : أنت مني وأنا منك ، فحجل علي ، وقال لجعفر بن أبي طالب : أشبهت خَلْقي وخُلقي فحجل جعفر ، وقال لزيد بن حارثة أنت أخونا ومولانا فحجل زيد » .

قال ابن حجر رحمه الله : هذه كلها أحاديث منكرة ، وألفاظ موضوعة مزورة ، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجتها ، أي لأن المحرم الرقص الذي فيه تثنٍّ وتكسّر ، وهذا ليس كذلك ..

وقال : إن ما ذكر عن هؤلاء الثلاثة (علي ، وجعفر ، وزيد) رضوان الله عليهم كذب مختلق لا تحل روايته ولا الاحتجاج به . فكيف نوفق بين قوله هذا وبين قوله بالفتوى الواردة في الفتاوى الحديثية : نعم له أصل وأورد الحديث ؟!

وأما قوله في الفتوى المذكورة « وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم العز بن عبد السلام » .

يرده ما ذكره العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى في كتابه (قواعد الأحكام) :
« وأما الرقص والتصفيق فخفّة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا راعن ، أو متصنع كذّاب ، كيف يتأتى الرقص المتزن بأوزان الغناء ممن طاش لبّه وذهب عقله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، ولم يكن أحد من هؤلاء الذين يُقتدى بهم يفعل شيئاً من ذلك ، وإنما استحوذ الشيطان على قوم يظنون أن طربهم عند السماع إنما هو متعلق بالله عز وجل ، ولقد مانوا - كذبوا - فيما قالوا ، وكذبوا فيما ادعَوْا من جهة أنهم عند سماع المطربات - من الألحان - وجدوا لذّتين اثنتين :

إحداهما : لذة المعارف والأحوال المتعلقة بذي الجلال .

والثانية : لذة الأصوات والنغمات والكلمات الموزونات الموجبات للذات النفس التي ليست من الدين ، ولا متعلقة بأمور الدين ، فلما عظمت عندهم اللذتان غلطوا فظنوا أن مجموع اللذة إنما حصل بالمعارف والأحوال ، وليس كذلك بل الأغلب عليهم حصول لذات النفوس التي ليست من الدين بشيء ، وقد حرّم بعض العلماء التصفيق لقوله ﷺ : « إنما

التصفيق للنساء » ، ومن هاب الإله وأدرك شيئاً من تعظيمه لم يتصور منه رقص ولا تصفيق ، ولا يصدر التصفيق إلا من غبي جاهل ، ولا يصدران من عاقل فاضل ، ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بها في كتاب ولا سنة ، ولم يفعل ذلك أحد من الأنبياء ، ولا معتبر من أتباع الأنبياء ، وإنما يفعل ذلك الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء ، وقد قال تعالى : ﴿ ونزّلنا عليكَ الكتابَ تبياناً لكلِّ شيءٍ ﴾ [النّحل : ٨٩/١٦] . وقد مضى السلف وأفاضل الخلف ولم يلابسوا شيئاً من ذلك ، ومن فعل ذلك أو اعتقد أنه غرض من أغراض نفسه وليس يقربه إلى ربّه ، فإن كان ممن يقتدى به ويعتقد أنه ما فعل ذلك إلا لكونه قربة فبئس ما صنع لإيهامه أن هذا من الطاعات وإنما هو من أقبح الرعونات . وأما الصياح والتغاشي والتباكي تصنعاً ورياء فإن كان عن حال لا تقتضيه فقد أثم من وجهين : أحدهما إيهامه الحال التامة الموجبة لذلك ، والثاني : تصنعه به ورياؤه . وإن كان عن حال تقتضيه أثم إثم ريائه لا غير » انتهى كلام العز بن عبد السلام .

☆ ☆ ☆

يقول ابن حجر رحمه الله في كفّ الرعاع : « فبعد صدور هذه العبارات منه وهو أخشى لله وأتقاه من أن يتكلم في كتابه الذي هو نتيجة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤوس الأشهاد هي لعلّة ، وكيف يتوهم فيه صدور ذلك منه ، وبفرض صحته عنه يتعين حمله على أنه إنما فعله اضطراراً لعروض حالٍ أزعجه وأخرجه عن اختياره » .

قلت : هذا اعتذار مقبول ، ولكن من أين الاعتذار عمن يفعل تلك الحركات الموزونة بصورة جماعية وهم بكامل اختيارهم ، ومحض شعورهم وإرادتهم ، ويدل على ذلك تلقيهم الإشارات من موجههم لتغيير الحركات من رفع أو خفض . إن وقائع الأحوال لا يصح بها الاستدلال . **فأي القولين هو الثابت عن ابن حجر ؟!**

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح : « وأما الرقص والتصفيق والصريخ ، وضرب الأوتار ، والصنج والبوق الذي يفعله بعض من يدعي التصوف فإنه حرام بالإجماع لأنها زيّ الكفار » .

وفي الهدية العلائية : « يستحب ذكر الله في المساجد وغيرها إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصلٍ ، أو قارئ وهذا إذا خلا أيضاً عن الرقص والغناء ، واجتماع المرد الحسان والتصفيق وإلا فيحرم » .

☆ ☆ ☆

قالوا : ورد في الفتاوى الكبرى لابن حجر ٣٥٦/٤ : « وأما الرقص فلا يحرم لفعل الحبشة في حضرته ﷺ مع تقريرهم عليه » .

قلت : لقد أورد البخاري حديث الحبشة في باب الجهاد : باب اللهو بالحراب ونحوها برقم (٢٧٤٥) ، ومسلم في باب صلاة العيد باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه رقم (٨٩٣) ، والحديث كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال : دعهم يا عمر ، ورواه مسلم بروايات متعدد وألفاظ مختلفة عن عائشة رضي الله عنها : أن ذلك كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب في المسجد ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة : « تشتهين تنظرين ؟ فقالت : نعم ، فأقامني رسول الله ﷺ وراءه خدّي على خدّه وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة » .

أرفدة : بفتح الهمزة وفتح الفاء وكسرها والكسر أشهر هو لقب للحبشة .

ولفظة دونكم : من ألفاظ الإغراء ، وحذف المغرى به تقديره : عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه .

وفي بعض الروايات : يزفنون : بفتح الياء وكسر الفاء ، ومعناه : يرقصون ، وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص .

وليس في هذا الحديث دلالة على جواز الرقص في الأذكار ، وإنما ورد في باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه يوم العيد كما بوّب عليه الإمام مسلم في صحيحه ، ومعلوم أن اللهو البريء في يوم العيد لا مانع منه ، لأن يوم العيد فيه من اللهو والترويح عن النفس ما ليس في غيره . وقد رغبهم رسول الله ﷺ فيه حيث قال : « دونكم يا بني أرفدة » وطلب من عمر أن يتركهم وشأنهم .

أو أنه كما قال ابن حجر في (كفّ الرعاع) : « كان لعباً بالسلاح ، وتأهباً للكفاح ، وتدريباً على استعمال السلاح في الحرب ، وتمريناً على الكرّ والفرّ ، والطعن والضرب ، فإذا كان هذا هو الشأن فأين أفعال المخانيث والمخنثين من أفعال الأبطال الشجعان » .

قلت : ولذلك أورد الإمام البخاري الحديث في باب الجهاد باب اللهو بالحراب ، ولم يجعله دليلاً على جواز الرقص . ورقص الحبشة لا يعدو أن يكون شبيهاً بلعبة السيف والترس التي هي من الألعاب الشعبية التي تقام في بعض المناسبات والمواسم ، فأي علاقة بين اللهو البريء ، وبين تضمين ذلك في ذكر الله عز وجل ، والادّعاء أن ذلك جائز في تلك العبادة .

☆ ☆ ☆

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله في كتابه (الإبداع) : « وقالوا : يجوز الرقص حالة الذكر بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهم ، وكان رقصهم بالوثبات والوجد » .

ونقول لهم : هذا قول باطل مناقض لقواعد الشريعة لقوله ﷺ : « شرُّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » ، وقائله مارق من الدين مروق الشعر من العجين ، والاستدلال بفعل الحبشة في المسجد بحضرته ﷺ استدلال باطل لأن ذلك كان تمايلاً بالحراب للتدريب على استعمال السلاح كما شرعت المسابقة ، وكما أُبيح التبختر في الحرب ، وإن كان ممنوعاً في غيره كما قال عليه الصلاة والسلام : « إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن » ، وأين هذا من الرقص الذي هو هزّ المعاطف والأكمام الذي لا يفعله إلا الفسّاق من العوام .. » .

☆ ☆ ☆

قالوا : روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس قال : كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون بكلام لهم : محمد عبد صالح . ورسول الله ﷺ لم ينههم بل أقرّهم وأغراهم ، فهو ذكر قصد به التعبد والطاعة ، وإظهار الفرح بالله وبرسوله فلذلك أقرّهم عليه الصلاة والسلام وعجب من فعلهم ونالوا غاية الرضى منه .

قلت : إن ذلك ـ كما سبق ـ لهو بريء في يوم عيد ، أو تدريب على السلاح واستعداد للكفاح والنضال ، أو ما يشبه لعبة السيف والترس التي تقام في الأعياد والمناسبات فلا يصح به الاستدلال على جواز الرقص ، ولم يُعنْوِنْ أحد من علماء الحديث ولم يبوّب عليه بجواز الرقص وهذه كتبهم شاهدة على ذلك وإنما وضعوه إما في باب الجهاد كما ذكره الإمام البخاري أو في باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه من باب صلاة العيد كما ذكره الإمام مسلم .

وأما قولهم كانوا يقولون : « محمد عبد صالح » ، فأي دلالة في ذلك على جواز الرقص . وقد ذكرت في تعريف الرقص أنه لا يكون إلاّ للاّعب ، وكما قال صاحب القاموس المحيط : الرقص لعبة لهم (أي للعرب) فمتى كان اللعب قربة في حدّ ذاته ؟! أو عبادة ينبغي الحرص عليها والتزامها وعدم التفريط بها ؟!

☆ ☆ ☆

قالوا : إن مدح رسول الله ﷺ ذكر قصد به التعبد والطاعة ، وفيه دليل على صحة الجمع بين عبادة ومباح ، فإنه اجتمع هنا اللهو المباح وهو الرقص والعبادة وهي مدح النبي ﷺ .

☆ ☆ ☆

قلت : إن إدخال العبادة على العادة غير مستنكر ولا مذموم دون العكس ، فاللعب واللهو البريء أمر اعتيادي مباح ، وإدخال العبادة عليه سواء كانت قراءة أو ذكراً أو مدحاً لا إنكار عليه ، ولكن ما خرج صاحبه عن كونه لاعباً أو لاهياً ، ولا يطلق عليه البتة أنه قائم في عبادة ، لأن للعبادة أحكامها وآدابها ، وإدخال العادة على العبادة ربما أفسدها ، أو أساء إليها ، أو نقص من ثوابها ولو دخلت ما انتفت صفة العبادة على القائم بها ، إن الالتفات والنظر أمر عادي فلو دخل على العبادة كالصلاة مثلاً ربما أفسدها أو أبطل ثوابها ، وفي حالة بطلان الثواب ما خرج عن كون القائم بها مصلياً وما انتفت عنه صفة الصلاة .

وكذلك المشي والقعود هي أمور اعتيادية فلو أدخلت عليها العبادة فلا مانع من ذلك

وأكون قد تحققت بقوله تعالى : ﴿ الذينَ يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .. ﴾ [آل عمران : ١٩١/٣] ، أي ذكرت الله تعالى في كل حالة من هذه الحالات القيام ، والقعود ، وعلى الجنب .

أما إذا تلبستُ في العبادة وهي الذكر فلا يليق بي أن أقوم وأقعد وأضطجع لأن ذلك يتنافى مع الأدب المطلوب لتلك العبادة .

☆ ☆ ☆

فلا يقولن قائل : إن الرجل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقوم ويقعد على أي نوع كان حيث أنه لم يأت بمعصية ولم يقصدها .

☆ ☆ ☆

قلت : قال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به ، وكذلك نقله السيد الرواس في كتابه (مراحل السالكين) : « إياك أيها السالك أن تدخل العادة في العبادة ، فإن العادات المباحة أو المستحسنة صيغت بعقل المخلوق ، والعبادات قامت بأمر الخالق ، وبين عقل المخلوق ، وأمر الخالق الفرق البيِّن تعالى الله علوّاً كبيراً » .

☆ ☆ ☆

قالوا : إن رسول الله ﷺ ألحّ بالدعاء على المشركين يوم بدر ، وأبو بكر آخذ بيد رسول الله ﷺ وهو يقول : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربِّك فخرج وهو يثب بالدرع وهو يقول : ﴿ سيُهزمُ الجمعُ ويولّونَ الدُّبُر ☆ بلِ الساعةُ موعدُهُم والسَّاعةُ أدهى وأمر ﴾ [القمر : ٤٥/٥٤-٤٦] . قالوا : الشاهد فيه جواز قراءة القرآن في حالة الوثب وهو الطفر والقفز فجواز ذكر الله تعالى في هذه الحالة من باب أَوْلى .

☆ ☆ ☆

قلت : الرّد على ذلك كما سبق أن نفرق بين العادة والعبادة فقولهم الشاهد فيه جواز قراءة كلام الله عز وجل في حالة الوثب ، هذا صحيح وهو إدخال العبادة على العادة وما خرج صاحبه عن كونه واثباً ، فمن رآه على ذلك لا يصفه بغير هذا الوصف ولا يقول عنه تالياً أو ذاكراً .

أما قراءة القرآن وهي العبادة فإن لها آدابها ، وهل من آداب القراءة الوثب والقفز ؟! وهل ذكر أحد من العلماء ذلك ؟! فقولهم فجواز ذكر الله في هذه الحالة من باب أَوْلى مردود لأنهم لم يفرّقوا بين العادة والعبادة .

☆ ☆ ☆

مسكينة رقصة الحبشة لقد أصبحت على مفترق الطرق ، وأضحت لقمة سائغة لذوي المجون واللهو الآثم حيث يستشهدون ويستدلون بها على جواز الرقص في الإسلام بكل صوره وأشكاله .

وأصبحت ذريعة لذوي التنطع والانحراف من بعض فرق التصوف حيث يثبتون بها جواز تلك الحركات المذمومة التي خرجت عن النطاق المشروع والمأذون به . نعم مسكينة رقصة الحبشة .

☆ ☆ ☆

ذكر ابن حجر رحمه الله في كتابه (كفّ الرعاع) أن القرطبي نقل عن الإمام الطرطوشي أنه سئل عن قوم في مكان يقرؤون القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدّف والشبابة هل الحضور معهم حلال أو لا ؟

فأجاب : مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السّامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، فأتَوْا يرقصون حوله ويتواجدون وهو أي الرقص دين الكفار وعبّاد العجل ، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين .

قال ابن حجر رحمه الله : انتهى كلام هذا الإمام ، فتأمّله ، واحفظه فإنه الحق وغيره باطل الذي غايته القطيعة والآثام .

وتمسكوا أيضاً بحكايات كثيرة عن المشايخ ذكرها القشيري وغيره زاعمين أن هؤلاء

المشايخ عُرفت فضائلهم ، وصحت كراماتهم ، وكانوا يحضرون مثل هذه المجالس ، إنا لا نسلّم صحة تلك الحكايات عن أولئك فلعلها مما أدخله أهل الزندقة على أهل الإسلام كما كذبوا على رسول الله ﷺ بما لا يُحصى ، وإن صحت فإنها محمولة على حالة سلب الاختيار وضياع الرشد ، وإن سلّمنا صحتها وأنهم فعلوها اختياراً فالحجة فيما جاء عنه ﷺ وعن الأئمة بعده ، وقد بيّنّا أن ذلك لم يكن طريقهم ولا سبيلهم .

ومن الأحاديث الموضوعة التي لا تحل روايتها إلا لبيان حالها حتى لا يغتر العامة بها ما رواه الكذاب ابن طاهر بسنده الباطل عن أنس قال : كنا عند النبي ﷺ فقال ﷺ : هل فيكم من ينشدنا ؟ فقال بدوي نعم يا رسول الله فأنشده :

قد لسعت حيّة الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي قد شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد أصحابه حتى سقط رداؤه عن منكبه ، فلما فرغوا أوى كل واحد إلى مكانه ، فقال معاوية بن أبي سفيان ما أحسن لعبكم يا رسول الله ، فقال : يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند السماع للحبيب ، ثم قسم ﷺ رداءه فيمن حضره أربعمائة قطعة . فأدنى عارف بالسُّنة يعلم عند مجرد ذكر هذا الحديث أنه موضوع لركاكة ألفاظه وأن شعره لا يليق بجزالة شعر العرب بل بركاكة شعر المخنثين .

وابن طاهر هذا هو صاحب كتاب (صفوة التصوف) ، قال أبو العباس القرطبي لا يحتج بحديث ابن طاهر لما ذكره السمعاني عن جماعة من شيوخهم أنهم تكلموا فيه ونسبوه إلى مذهب أهل الإباحة . وقال محمد بن ناصر الحافظ : محمد بن طاهر ليس بثقة .

☆ ☆ ☆

وقال الشاطبي في كتابه (الاعتصام) : « إن تواجد النبي ﷺ واهتزازه عند السماع حتى سقط رداؤه عن منكبه وما أشبه ذلك فإن أمثال هذه الأحاديث - إن صحت - لا ينبني عليها حكم ، ولا تُجعل أصلاً في التشريع أبداً ، ومن جعلها كذلك فهو جاهل ومخطئ في نقل العلم » .

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله في رسالة (الحجب) من مجموعة رسائل له قال : « لم يجئ بالشاهد ولا بالسماع كتاب ولا سنّة .. ثم قال : ومما يؤيد ما قلنا كون رسول الله ﷺ ما أحب السماع قط ولا استدعاه ، ولا تعلّق له به خاطر أصلاً ، وهو ﷺ الجامع للمعلومات كلها حتى قال للمرأة التي نذرت أن تضرب بين يديه بالدف : « إن كنتِ نذرت وإلا فلا » . وكل حديث روي عنه ﷺ في باب قيامه في السماع وأمثاله مستفعل استفعله من لا خلاق له ليتمكن بذلك من شهوته » .

☆ ☆ ☆

والخلاصة أن الرقص بمعناه اللغوي وهو الحركة أو الاضطراب إذا كان في حدّ الاعتدال واستجلاباً للنشاط ، وكان اختيارياً فلا مانع منه بقدر الحاجة ، وإذا لم يكن فيه تثنٍ أو تكسّر ، أما إذا كان يشبه المعنى الاصطلاحي الذي هو حركات موزونة على استقامة معينة ، ويرتفع به طبقة طبقة بإشارة خفية من موجّه فممنوع شرعاً إلا أن يغلب على صاحبه حال يخرجه عن اتّزانه ووقاره كالانفعال النفسي الشديد فيكون حينئذٍ موقوف على صاحبه ولا يقلد ولا يتابع عليه . وقد مرَّ تفصيل ذلك في بحث الحركة في الذكر . هذا وإن إدخال العبادة على العادة وارد وغير مستنكر ، أما إدخال العادة على العبادة فممنوع ، فليحفظ هذا نقد غلط فيه كثيرون .

وأما الغناء فقد قال ابن حجر رحمه الله في (كفّ الرعاع) : « ثمة فيها ردع لمن يزعم تصوفاً وسلوكاً لطريق القوم المبرئين عن السفاسف واللوم ثم بعد ذلك يمدح الغناء ويثني على سماعه ، ويحضُّ العامّة والخاصة على سماعه ليس ذلك إلا لاستحكام هواه وغلبة شهواته ، وبائق حظوظه الذي أرداه وأصمّه وأعماه ، وأيّ لذة أو قربة أو مدح فيما قال الصادق المصدوق ﷺ : « إنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » ، ولكن الحامل لجهلة المتصوفة على ذلك جهلهم بالسّنة الغرّاء الواضحة التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . سئل العارف بالله أبو علي الروزباري عمن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لأني وصلت إلى درجة لا تؤثر فيَّ اختلاف الأحوال فقال : نعم ، قد وصل ، ولكن إلى (سقر) . ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتاب (كف الرعاع) فإنه فريد في بابه .

☆ ☆ ☆

قال قائل : إن ما ورد في كتاب (كفّ الرعاع) لابن حجر محمول على من أطلق عليهم عنوان كتابه وهم (الرعاع) أي الطغام الأحداث في ارتكابهم اللهو والغناء ، أما السادة الصوفية فهم بريئون من ذلك .

☆ ☆ ☆

قلت : إن الأحكام الشرعية تعمّ الجميع والتزام الكتاب والسُّنة واجب على الكل فلا خصوص ولا عموم ولا استثناءات ، ولا تبني أفكاراً مسبقة ، ثم محاولة التفتيش عن أقوال تدعمها ، وتأويلات فاسدة تنصرها ، فالمؤمن لا يتبع هوى نفسه ، بل هو أسير الدليل متى صحّ ، والنقل متى وافق النص ، ومن الذي قال أنه لا يوجد بين الصوفية طغام ورعاع ؟ ومن الذي حكم أنهم بريؤون من كل مخالفة والتمسك بما هو مبتدع ؟ فطغام الصوفية يفسدون أكثر مما يفسد غيرهم من أهل اللهو ، إن أهل اللهو قد يعترفون بخطئهم أو مخالفتهم ويقرّون بأنهم مذنبون ويطلبون منه سبحانه العفو والغفران ، أما طغام الصوفية ورعاعهم يعصون ويظنون المعصية طاعة ، ويخالفون ويظنون المخالفة قربة ، وهل يتوب أو يستغفر من كان يظن نفسه على شيء ، ولكنه في الحقيقة ﴿ كسرابٍ بقيعةٍ يحسبهُ الظَّمآنُ ماءً حتَّى إذا جاءَهُ لم يجدهُ شيئاً ووجدَ اللهَ عندهُ فوفَّاهُ حسابَهُ ﴾ [النُّور : ٣٩/٢٤] . ﴿ وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عملٍ فجعلناهُ هباءً منثوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣/٢٥] . ﴿ قُل هل نُنَبئكُم بالأخسرينَ أعمالاً الذينَ ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدُّنيا ﴾ [الكهف : ١٠٣/١٨] .

وقد قال ابن عطاء في حكمه : « ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً » ، وقد ورد في الأخبار فيما أوحي إلى سيدنا داود عليه السلام « يا داود أنين المذنبين أحبُّ إليَّ من صراخ العابدين » .

وقد صحَّ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ... إلخ الحديث .

قال الإمام الآجرّي أبو بكر : « ميزوا هذا الكلام ، فإنه لم يقل : صرخنا من موعظة ، ولا طرقنا رؤوسنا ، ولا ضربنا على صدورنا ، ولا زفنّا ولا رقصنا كما يفعل

كثير من الجهال يصرخون عند المواعظ ويزعقون ، وهذا كلّه من الشيطان يلعب بهم ، وهذا كله بدعة وضلالة ، وهذا وارد في حق من فعله بإرادته مختاراً » . ومن المعلوم أن من أهم شرائط طريق الصوفية ترك المختلف فيه فكيف بالمجمع عليه ؟!

الفقرة السادسة :

إنشاد الشعر : الشعر كلام موزون مقفًّى ، وحسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

قال ابن عبد البر : « لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ، ولا من أولي النُّهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به ، أو سمعه فرضيه ، وما كان من حكمة أو مباحاً ولم يكن فيه فحش ولا هجاء ولا أذىً لمسلم » .

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله : « سماع الإنشاد المحرِّك للأحوال السنية المذكِّر للأمور الآخرة فلا بأس به ، بل يندب عند الفتور وسآمة القلب » .

وقال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (المجموع) : « لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان فيه خير وإلا كره ، لما جاء بسندٍ صحيح أن النبي ﷺ نهى عن تناشد الأشعار في المسجد ، والمراد الشعر الذي لم يتضمّن خيرا » .

فإنشاد الشعر وسماعه إن كان فيه حثّ على خير ، أو أمر بطاعة ، أو نهي عن معصية ، أو كان في مكارم الأخلاق أو الزهد ، أو التشويق إلى التأسي بأحوال الصالحين ، والخروج عن النفس ورعوناتها وحظوظها ، والتأدب والجد في التحلّي بالمراقبة للحق في كل نفس ، ثم الانتقال إلى شهوده في كل ذرة من ذرات الوجود والعبادات كما أشار إليه الصادق المصدوق ﷺ بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فكل من الإنشاد والاستماع محبوب لأنه وسيلة لطاعة ، **وللوسائل حكم المقاصد .**

وقد كان لرسول الله ﷺ شعراء واستمع الشعر .

فسمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه ببردة .

واستنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربّه .

واستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية .

وأنشده الأعشى شيئاً من شعره فسمعه .

وصدّق لبيداً في قوله : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

ودعا لحسّان أن يؤيده بروح القدس ما دام ينافح عنه ، وكان يعجبه شعره وقال له : « اهجهم ، وروح القدس معك » .

☆ ☆ ☆

قال الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) : « وما ذكروه في الإنشادات الشعرية ، فجائز للإنسان أن ينشد الشعر الذي لا رفث فيه ، ولا يذكر بمعصية ، وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحدّ الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ ، أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى بهم من العلماء ، وذلك أنه كان ينشد ويسمع **لفوائد منها :**

١ ـ: المنافحة عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام وأهله .

٢ ـ: أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم .

٣ ـ: أنهم ربما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهادية تنشيطاً لكلال النفوس ، وتنبيها للرواحل أن تنهض في أثقالها وهذا حسن ، ولكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى الناس عليه اليوم ، بل كانوا ينشدون الشعر مطلقاً من غير أن يتعلّموا هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم ، بل كانوا يرققون الصوت ، ويمططونه على وجه يليق بأميّة العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقا . فلم يكن فيه إلذاذ ولا إطراب يلهي ، وإنما كان لهم شيء من النشاط كما كان الحبشة ، وعبد الله بن رواحة يحدو بين يدي رسول الله ﷺ ، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق :

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما حيينا أبدا

٤ ـ: أن يتمثل الرجل البيت أو الأبيات من الحكمة في نفسه ليعظ نفسه ، أو ينشطها أو يحركها لمقتضى معنى الشعر أو يذكرها ذكرا مطلقاً . كما حكى أبو الحسن القرافي الصوفي

عن الحسن أن قوماً أتَوْا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنّى ، فقال عمر : من هو ؟ فذكر الرجل ، فقال : قوموا بنا إليه ، فإنا إن وجهنا إليه يظنُّ أنا تجسسنا عليه أمره ، قال : فقام عمر مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ حتى أتَوْا الرجل وهو في المسجد فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله فقال : يا أمير المؤمنين ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك ، وإن كانت الحاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله ، فقال عمر : ويحك بلغني عنك أمر ساءني ، قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أتمجّن في عبادتك ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، لكنها عظة أعظ بها نفسي ، قال عمر : قلها ، فإن كان كلاماً حسناً قلته معك ، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه قال :

وفؤاد كلما عاتبته	في مدى الهجران يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلاّ لاهياً	في تماديه فقد برّح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	فني العمر كذا في اللعب
وشباب بان عني فمضى	قبل أن أقضي منه أربي
ما أرجّي بعده إلاّ الضنا	ضيق الشيب عليّ مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبداً	في جميل لا ، ولا في أدب
نفس لا كنتِ ولا كان الهوى	راقبي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر رضي الله عنه :

نفس لا كنتِ ولا كان الهوى	راقبي المولى وخافي وارهبي

ثم قال عمر : على هذا فليغنِّ من غنّى .

فتأملوا قوله : بلغني عنك أمر ساءني مع قوله : أتمجّن في عبادتك ؟ فهو من أشدّ ما يكون في الإنكار حتى أعلمه أنه يردد بلسانه أبيات حكمة فيها موعظة فحينئذٍ أقرّه وسلّم له ، فأين هذا من قصائد ذكر القدّ والنهد والخصر وذكر الوصل والصدّ والتجني والهجران فيا سبحان الله كيف ضلّت العقول والأفهام » .

☆ ☆ ☆

وقال سيدي الشيخ **محمد الحامد رحمه الله تعالى** : « ... والإنشاد مسموح فيه إن لم يكن حاوياً معاني غير صحيحة كالقول بالحلول وما إليه » .

☆ ☆ ☆

فينبغي لجماعة المنشدين أن يبدلوا بعض القصائد والأناشيد التي هي موقوفة على قائليها في أحوالهم الخاصة حال كونهم مسلوبو الاختيار ، ولا يتابعون عليها . نعم ينبغي أن يبدلوها بقصائد وأناشيد أخرى تتضمن مواعظ وآداباً وحكماً ودعوة إلى الله ورسوله لتكون درساً وعظياً مقترناً بذكر الله تبارك وتعالى .

☆ ☆ ☆

الفقرة السابعة :

أصل طريق التصوف : إن المراد من التصوف التحقق بالجانب الإحساني من الشريعة ، أو هو تصفية النفس وصقلها ومجاهدتها وتزكيتها ، أو هو تخلية وتحلية ، وهو أحد الأمور الثلاثة التي يتألف منها الدين ، وهي العقيدة ، والعبادة ، والمراقبة لله سبحانه وتعالى . فالعقيدة ممثلة بالإيمان ، والعبادة ممثلة بالإسلام ، والمراقبة وتزكية النفس ممثلة بالإحسان ، ولا مشاححة في الأسماء بعد الاتفاق على المسمّى ، ولا يلتفت لما يقال : إن جذور التصوف تعود إلى أسس غير إسلامية ، أو أن تسميته لم ترد في كتاب ولا سنّة ، وحينما يعرفه أهله **بأنه علم يعرف به أحوال النفس محمودها ومذمومها ، وكيفية تطهيرها من المذموم منها ، وتحليتها بالاتصاف بمحمودها ، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه** . نعم حينما يعرفه أهله بذلك يقطعون الطريق على كل من يقول إن التصوف لا يمت إلى الإسلام بصلة . فالتصوف هو المنهاج الواجب سلوكه لتربية النفس ، والمتصوف : هو الدارس للمنهاج ، العامل بمقتضاه على الوجه المشروع .

وأصوله مستمدة من لبّ الشريعة ، ونابعة من جذورها ، وصادرة عنها كتاباً وسنّة ، وكل ما خالف هذه الأصول والنقل الصحيح والمنطق السليم والتأويل الحسن فهو منه بريء . وإن ادّعى ذلك من انتسب إليه ، وتظاهر بأنه متمثل به ، بهذا صرح شيوخه . ولذلك كثرت أقوالهم ، وتوصياتهم بالتزام المصدرين الأساسيين للشريعة كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في كتـابـه (تنبيـه المغترين) : « ومن أخلاقهم رضي الله عنهم ملازمة الكتاب والسنّة كلزوم الظل للشاخص ، ولا يتصدر أحدهم للإرشـاد إلا بعـد تبحره في علوم الشريعـة المطهرة بحيث يطّلـع على جميـع أدلـة المـذاهب المستعملة والمندرسة ويصير يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج القـاطعـة ، وقـد كان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه يقول : كتابنا هذا يعني القرآن سيـد الكتب وأجمعها ، وشريعتنا أوضح الشرائع وأدقها ، وطريقتنا مشيدة بالكتاب والسنـة فمن لم يقرأ القرآن ، ويحفظ السنة ويفهم معانيها لا يصح الاقتداء به .

وكان رحمه الله يقول لأصحابه : لو رأيتم الرجل قد تربع في الهواء فلا تقتـدوا بـه حتى تَرَوْا صنيعـه عنـد الأمر والنهي ، فـإن رأيتموه ممتثلاً لجميـع الأوامر الإلهيـة ، مجتنبـاً لجميع المناهي فاعتقدوه واقتدوا به ، وإن رأيتموه يخلّ بالأوامر ، ولا يجتنب المناهي فاجتنبوه .

وقـال الشعراني أيضـاً : ومن أخلاقهم رضي الله عنهم توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرضوا ميزانه على الكتاب والسُّنة أو العرف .

وقال أبو يزيد البسطـامي : لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامـات حتى يرتقي في الهواء فـلا تغتروا بـه حتى تنظروا كيف تجـدونـه عنـد الأمر والنهي وحفـظ الحقـوق وأداء الواجبات .

وقال أبو الحسن النوري : من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حـدّ العلم الشرعي فلا تقربنّ منه فإنه مبتدع ، وإن جرت عليه أحوال خارقة للعادة ، فـإن ذلـك من جملـة المكر به .

وقال أبو سليمان الـداراني رحمـه الله : تقع في نفسي النكتـة من نُكت القوم أيـامـاً فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

وقال الشيخ علي الخواص رحمه الله : إياك أن تعتقد يـا أخي إذا طـالعت كتب القوم وعرفت مصطلحهم في ألفـاظهم أنـك صرت صوفيـاً ، إنما التصوف بـالتخلق بـأخـلاقهم ، ومعرفة طرق استنباطهم لجميع الآداب والأخلاق التي تحلّوا بها من الكتـاب والسنـة ، فـإن بعضهم ربمـا جلس يـدرس في التصوف بكـلام رسـالـة القشيري ، أو الإحيـاء للغـزالي ،

ولو قيل له : اشرح لنا مثل كتاب أبي شجاع في الفقه لا يعرف يحلّه لنـا ، فكيف يـدعي هذا الولاية هذا غلط ظاهر .

وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ . ويرحم الله مصطفى البكري حيث يقول :

وأنت بـــــاب الله أي امرئ أتـــاه من غيرك لا يـــدخـــل

وقال أبو حفص رحمه الله : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنـة ، ولم يتّهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال .

وقـال السري السقطي : التصـوف اسم لثـلاث معـانٍ : لا يطفئ نـور معرفتـه نـور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه ظاهر الكتاب ، ولا تحملـه الكرامـات على هتـك أستار محارم الله ويقول سهل التستري رحمه الله أصول طريقتنا سبعة :

التمسـك بـالكتـاب ، والاقتـداء بـالسنـة ، وأكل الحـلال ، وكفّ الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق .

☆ ☆ ☆

قـال الإمـام النـووي رحمـه الله تعـالى في (المقـاصـد) : « أصـول طريـق التصـوف خمسة : تقوى الله في السر والعلانية ، واتبـاع السنـة في الأقوال والأفعـال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرضى عن الله تعـالى في القليل والكثير ، والرجوع إلى الله في السرّاء والضرّاء .

فتحقيق التقوى : بالورع ، والاستقامة .

وتحقيق اتباع السنة : بالتحفظ وحسن الخلق .

وتحقيق الرضا عن الله : بالقناعة والتفويض .

وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى : بالشكر له في السراء والالتجاء إليه في الضراء .

وأصول ذلـك كلـه خمسـة : علو الهمـة ، وحفـظ الحرمـة ، وحسن الخـدمـة ، ونفـوذ العزيمة ، وتعظيم النعمة .

فمن علت همته ارتفعت رتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ حرمته ، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته ، ومن نفذت عزيمته دامت هدايته ، ومن عظم النعمة شكرها ، ومن شكرها استوجب المزيد .

وأصول العلامات خمسة : طلب العلم للقيام بالأمر ، وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر وترك الرخص والتأويلات للحفظ ، وضبط الأوقات بالأوراد للحضور ، واتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من العطب .

فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سناً وعقلاً وديناً مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة .

وآفة الصحبة : الاغترار والفضول .

وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس .

وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها وقد قال الله تعالى : ﴿ وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٦/٧٠] .

وأصول ما تداوى به علل النفس خمسة : تخفيف المعدة بقلّة الطعام والشراب ، والالتجاء إلى الله مما يعرض عند عروضه ، والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه ، ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبي ﷺ آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر ، وصحبة من يدلك على الله .

☆ ☆ ☆

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في (الإحياء) : « اعلم أن السالك سبيل الله تعالى قليل ، والمدّعي فيه كثير ونحن نعرفك علامتين له :

العلامة الأولى : أن تكون جميع أعماله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، وموقوفة على توقيفاته إيراداً وإصداراً ، وإقداماً وإحجاماً ، إذ لا يمكن سلوك هذه السبيل إلا بعد التلبُّس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه إلا إن واظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض .

العلامة الثانية : أن يكون حاضر القلب مع الله في كل حال حضوراً ضرورياً غير متكلف بل حضوراً يعظم تلذذه » .

وقال رحمه الله أيضاً في كتابه (المنقذ من الضلال) : « إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ؛ بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وأول شروطها تطهير القلب عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية في ذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله .

وأول هذه الطريقة المكاشفات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأفعال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق » .

☆ ☆ ☆

قال الإمام النووي رحمه الله في (المقاصد) : « ومن المطلوب اعتقاد من علم وعمل ولازم أدب الشريعة وصحب الصالحين . وأما من كان مسلوباً عقله ، أو مغلوباً عليه كالمجاذيب فنسلّم لهم ، ونفوّض إلى الله شأنهم مع وجوب إنكار ما يقع منهم مخالفاً لظاهر الأمر ، وحفظاً لقوانين الشرع » .

☆ ☆ ☆

فالتصوف الصادق هو الجهاد في أعلى ذراه ، وهو زهد وقناعة ، وطاعة وعبادة ، ومحبة وفداء . التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء .

والصوفي الصادق هو الذي يعيش في يقظة وجدانية حيّة قوية ، وفي يقظة روحية مشرقة عالية ، وفوق كل هذا وذاك هو عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص فقط لا غير .

الفقرة الثامنة :

الإنكار على التصوف ، والمنكر كافر شرعاً . ذكرت أن التصوف الشرعي مستمد من لبّ الشريعة ، ونابع من أصل الكتاب والسُّنة ، ولكنه أُلبس لبوساً غير لبوسه ، ودخلت

عليـه أمور هو منهـا براء ، ودسّ عليـه وافترى وشوّه حقيقتـه متصوفون دجـالون أسـاؤوا إليه ، وطمسوا معالم حقيقته ، ولذلك وجب الإنكار عليهم إذا خالفوا مصـدره و ينبوعـه ، وجانبوا أسسه ومقاصـده ، نصرةً للحق لئلا يـدنسـه ذوو الضلالات والبـدع والخرافـات ، و يلبسوه ثوباً غير ثوبه الناصع المضيء .

وأما كون المنكر كافر شرعاً لإنكاره أصل الكتـاب والسُّنـة فكلام خطير جـدا لا يليق بمؤمن فضلاً عن عـالم أن يصـدر أحكام التكفير جزافـاً دون التحقّق والـوقـوف على واضـح الأمور ، واستجلاء الحقيقة ، وتفهم للواقع ، وذلك ممـا يتنـافى وروح التشريع ، ولا يمكن أن يتصور من مسلم إنكاره شيئاً من الكتاب والسُّنة .

والمنكرون على التصوف إنما أنكروا الدجل الذي دخل عليه ، والشبهـات والخرافـات التي تسللت إليه ، وإنكارهم هذا المقصود منه نصرة الشرع لا إنكار أصله ، وقـد تخون المنكر العبارة ، ويجانبـه التوفيق في اتّبـاع الحكمـة ، ويخونـه الأسلوب العلمي المبني على الحقـائق فيقسو في إنكاره ، ولا أظن مسلماً مهما قسـا في تعبيره ، أو انحرف في أسلوبـه يكون قصـده إنكار الكتاب والسُّنة ؟!

نعم قد تختلف الأنظار العلمية ، والمدارك الاجتهاديـة والتـأويليـة ، ومتى كان الأمر كذلك فلا مجال للتكفير أو التفسيق أو التبديع ما دامت تلـك الأنظـار والمـدارك لم تخرج عن أصول الشريعة وقواعدها ، ولم تشذ عن مصادرها ، ولم تخالف التـأويلات المقبولـة التي تستقيم مع أساليب اللغة العربية وقواعدها . قد يخطئ العقل في التفكير ولكن الإيمـان لن يخطئ في ذلك .

ولكن قـد حلا لبعض من ضعف عقلـه ، وانحرف مزاجـه ، وضـاق صـدره ، وتقلص تفكيره ، كيل ألفاظ التكفير أو التبديع أو التفسيق لكل من خالف فكره وبـاين فهمـه ، وتباعد عن منهج أسلوبه العلمي أو العملي ، وهذا شطـط كبير ، وحكم على النـاس بـالكفر من غير أثارة من علم أو فهم « ومن كفّر مؤمناً فقـد كفر » ، أي حكم على مؤمن بـالكفر من غير دليل قطعي الدلالة فقد عرض نفسه للكفر أو وقع فيه حقيقة .

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في آرائهم ، واختلف التابعون والأئمة المجتهدون

من بعدهم في اجتهاداتهم ، وما تدابروا ، وما تقاطعوا ، وما طعن بعضهم في بعض ، وما جرّح بعضهم بعضاً في اجتهادٍ أو رأي ، وتجادلوا فيما بينهم في أمهات المسائل والقضايا ولكنهم ما تخاصموا ، بل كانوا أصفياء أوفياء يتبادلون النصح والنقد وهم على سرر المحبة متقابلين وشعار كل واحد منهم : علينا أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، و يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

الفقرة التاسعة :

سبّ المشايخ : العلماء العاملون المخلصون الحاملون لواء الشرع ، الذابّون عنه ، والمنافحون عن تعاليمه هم ورثة الأنبياء . فهم أئمة الهدى ، ونبراس الرشاد في كل زمان ومكان ، ومثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضلّ الهداة ، وهم أولياء الله تبارك وتعالى لأنهم قد تولّوا شريعة الله دراسة وتبليغاً وعملاً وصدقاً و إخلاصاً فتولاّهم الله سبحانه فكانوا محل عنايته ورعايته .

فالأدب معهم لازم ، وصيانة حرمتهم متحتمة ، واحترامهم واجب « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، و يوقّر كبيرنا ، و يعرف لعالمنا حقَه » ، بهم يحفظ الله شريعته ، وتظهر أحكامه ، ولذلك كانت إهانتهم إهانة للدين ، والاستخفاف بهم استخفاف بالشريعة ، وسبّهم فسق وضلال إن لم يكن كفراً وهلاكاً ووبالاً .

قال ابن حجر رحمه الله في كتابه (الزواجر) : « وفي فتاوى البديعي من الحنفية : من استخفّ بالعالم طلّقت امرأته ، وكأنه جعله ردّة . وقال بعض الأئمة : اعلم يا أخي وفقك الله و إيانا وهداك سبيل الخير وهدانا : أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة ، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فليحذر الّذينَ يُخالفونَ عن أمره أن تُصيبهُم فتنةٌ أو يُصيبهُم عذابٌ أليمٌ ﴾ [النُور : ٢٤/٦٣] .

☆ ☆ ☆

ورحم الله عالماً أعان الناس على برّه واحترامه ، وغرس في قلوبهم محبته عن طريق صدقه و إخلاصه ووقاره وورعه . وكان قدوة صالحة في سلوكه قولاً وفعلاً . وتمثّل دائماً قول الجرجاني :

يقولون لي فيك انقباض و إنما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم	ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برقٍ لاح لي يستفزني	ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
و إني إذا ما فاتني الأمر لم أبت	أقلب كفي إثره متندما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكن نفس الحرّ تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة	إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظّما
ولكن أهانوه فهان ودنّسوا	محياه بالأطماع حتى تجهّما

ورضي الله عن سيدنا علي حيث يقول : قصم ظهري عالم متهتك ، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغش الناس بتنسكه ، والعالم ينفرهم بتهتكه .

وصدق الله العظيم : ﴿ أتأمرونَ النَّاسَ بالبرِّ وتَنسَوْنَ أنفسَكُم وأنتُم تتلونَ الكتابَ أفلا تعقِلونَ ﴾ [البقرة : ٤٤/٢] .

صور من العلاج الصحيح

- قراءة القرآن الكريم
- الدعاء بأسماء الله الحسنى
- الاستغفار
- التهليل
- التسبيح
- التحميد
- الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ
- خاتمة في فوائد نافعة



قِراءةُ القرآن الكريم

القرآن الكريم : هو المعجزة الخالدة مدى الدهر إلى قيام الساعة ، أنزله الله ليكون ضياءً وهدىً وذكرى للمؤمنين .

إنه صوت الحق الذي قامت به السموات والأرض ، ومعانيه هي الأشعة التي تألّق فيها الوحي الإلهي الأعلى ، فاهتدى بها المؤمنون الأولون والآخرون ، واستطاعوا بها أن يعرفوا من أين جاؤوا ؟ وكيف يحيون ؟ و إلى أين المصير ؟

إنه رسالة الله سبحانه إلى خلقه حملها جبريل إلى سيدنا محمد ﷺ ليبلغها إلى الناس كافة ، وقد تضمنت هذه الرسالة العقائد والعبادات ، ومناهج السلوك ، والعلاقات الفردية والاجتماعية والدولية وسائر شئون الحياة .

ولذلك كان من الواجب على المؤمن أن يهتم بهذا القرآن اهتماماً بالغاً ، وأن يلقي بقلبه وقالبه إليه ، وأن يشعر بأنه وحده المخاطب به جملةً وتفصيلاً .

إنه الكتاب الذي عجز الإنس والجن عن محاكاته ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ [الإسراء : ١٧/٨٨] . لقد بلغ من نفوس العرب مبلغاً لم يعهده مثله لغيره من الكلام ، حتى إن كثيراً منهم لم يرَوْا سبيلاً للتخلّص من تأثيره في نفوسهم إلا قولهم لبعضٍ ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصّلت : ٤١/٢٦] .

سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى .. ﴾ [النحل : ١٦/٩٠] ، فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

إنه قانون إلهي ، ونظام سماوي ، أحكامه لا تتغير وإن تغير الزمان ، وحدوده لا تتبدل وإن اختلف المكان . فهو الكافل بإسعاد الأمم بعد شقائها ، وإحياء الشعوب بعد موتها ، ويصون أعراضها ، ويحمي أموالها ، ويبوؤها مقاماً محموداً ، ويكسوها شرفاً مؤثلاً ، فهو روح الحضارة ، وسر النجاح ، ومبعث التقدم والعمران ، وطريق الرقي والاطمئنان ، وسلّم المدنية والأمن والإيمان .

قال فيه رسول الله ﷺ : « كتاب الله تبارك وتعالى : فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ [الجن : ١/٧٢] ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم » .

إنه العروة الوثقى التي يرتبط فيها الأفراد والجماعات فيشيع الأمن ويعم الاستقرار ، ويرفل الجميع بالسعادة والهناء ، وهذا ما فعله بأمة القرآن حينما كانت سائرة في طريقه ، مهتدية بهديه ، ومحتكمة إليه ، ودائرة في فلكه .

إنه كتاب أذكياء ألبّاء تغنيهم الإشارة عن العبارة ، والرمز عن التفصيل ، والتلميح عن التصريح . لقد تضمن معانٍ تخر أمامها أئمة البلاغة وعظماء الفلاسفة ، وعلماء الاجتماع يخرون أمامها سجّداً . معانٍ يحتاج إليها القاضي في حكمه ، والمعلم لدى تعليمه ، والمرشد عند وعظه . إنه دستور عمل ومنهج حياة .

ورد في بعض الأخبار يقول الله تعالى : يا عبدي أما تستحي مني ، يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت تمشي فتعدل عن الطريق فتقعد لأجله ، وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتاب أنزلته إليك ، انظر كم فصّلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنتُ أهون عليك من بعض إخوانك .

يا عبدي : يقصّ عليك بعض إخوانك حديثاً فتقبل عليه بكل وجهك ، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كُفَّ وها أنا ذا مقبل عليك ، ومحدث لك ، وأنت تعرض عني بقلبك ، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك ؟!

قال الله عز وجل : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٤/٢٠] .

فضل تلاوة القرآن وثمراتها : قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور ☆ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ [فاطر : ٢٩/٣٥-٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾ [البقرة : ١٢١/٢] . قال أهل التأويل : يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي فيحلّون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بما تضمنه .

روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسّك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوّم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق (يبلى ويفنى) من كثرة الردّ ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرفٍ عشر حسنات ، أما أني لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » . كذا في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري .

وتلاوة القرآن تحضرها الملائكة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة (الطمأنينة والوقار) ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ، رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

وتعلم القرآن وتعليمه يرفع صاحبه إلى مصافّ العظماء ويجعله من أفضل الناس وأسماهم درجة ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

والاستماع إلى القرآن حسنة مضاعفة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » ، رواه أحمد .

والتالون للقرآن أصناف : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة (التفاح أو الإجاص) ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلوّ ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب ، وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرّ » ، وفي رواية : مثل الفاجر بدل المنافق .. قال المنذري : رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق له أجران » . وفي رواية : والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران . رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

يتتعتع فيه : هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران : أجر القراءة ، وأجر تحمله المشقة .

وتلاوة القرآن نور وذخر : عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أوصني قال : « عليك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله » ، قلت : يا رسول الله زدني ، قال : « عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » . رواه ابن حبان في صحيحه .

والقرآن يشفع لمن أكثر من تلاوته : عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » ، رواه مسلم .

وقارئ القرآن له درجات في الجنة على عدد ما قرأ وحفظ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ، رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه .

وينبغي لقارئ القرآن أن يتخلّق بأخلاق الصالحين ، ويتكمل ويتجمّل فلا يعصي الله ولا يغضبه ولا تشذّ أخلاقه ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجدَ ـ يغضب و يشتم و يذم ـ مع من وجد ، ولا يجهل ـ يفسق ـ مع من جهل وفي جوفه كلام الله » ، رواه الحاكم .

والقرآن شفيع لصاحبه ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام : ربِّ إنّي منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه ، و يقول القرآن : ربِّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان » . رواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وقارئ القرآن إذا أجاد حفظه وأتقن أحكامه يشفع في أهل بيته ، عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه ، أدخله الله به الجنة ، وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

فضل بعض السور

فضل الفاتحة : عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال : كنت أصلّي بالمسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، ثم أتيتُه فقلت يا رسول الله : إني كنت أصلّي ، فقال : ألم يقُل الله تعالى : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ، ثم قال : لأعلمنّك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن ، قال : « الحمد لله ربّ العالمين . هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه » ، رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

فضل سورتي البقرة وآل عمران : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفرّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة » ، رواه مسلم والنسائي والترمذي .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنها يأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان ، أو غيابتان ، أو كأنها فرقان من طير

صوافَ تحاجّان عن أصحابها ، اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » ، قال معاوية بن سلام : بلغني أن البطلة : السحرة . رواه مسلم . غمامتان أو غيابتان : هما كل شيء أظلّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهنّ وعلّموهن نساءكم وأبناءكم فإنها صلاة ، وقرآن ، ودعاء » ، رواه الحاكم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه » . رواه البخاري ومسلم ، قيل : كفتاه المكروه تلك الليلة ، وقيل : كفتاه من قيام الليل .

وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدري أيّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال فضرب في صدري وقال : ليهنِكَ العلمُ أبا المنذر » . رواه مسلم وأبو داود .

فضل سورة (يس) : عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قلب القرآن (يس) لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له . اقرؤوها على موتاكم » ، رواه أحمد وأبو داود والنسائي .

وعن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ (يس) في ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له » ، رواه مالك وابن السني وابن حبان .

فضل سورة تبارك : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له ، وهي تبارك الذي بيده الملك » ، وفي لفظٍ من القرآن سورة ثلاثون آية .. رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ودَدْت أنها في قلب كل مؤمن ، يعني تبارك الذي بيده الملك » ، رواه الحاكم .

فضل سورة الدخان : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ (حم الدخان) في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ، رواه الترمذي .

وفي مسند الدارمي عن أبي رافع قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوّج من الحور العين » .

فضل سورة الواقعة : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » ، رواه ابن عساكر .

فضل سورة التكاثر : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم ؟ قالوا : ومن يستطيع ذلك ؟ قال : أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » ، رواه الحاكم .

فضل سورة الزلزلة : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ إذا زلزلت الأرض عدلت له بنصف القرآن » ، رواه الترمذي .

فضل سورة الإخلاص : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في قراءة قل هو الله أحد : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » ، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ بثُلث القرآن في ليلة فشقّ ذلك عليهم وقالوا : أيّنا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، ثلث القرآن » ، رواه البخاري .

فضل سورة المعوذتين : عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آياتٍ أنزلت الليلةَ لم يُر مثلُهن : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » ، رواه مسلم والترمذي والنسائي .

من آداب حامل القرآن :

قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (التبيان) : من آدابه أن يكون على أكمل الأحوال ، وأكرم الشمائل ، وأن يكون شريف النفس ، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار ، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على الناس .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون .

ومن آداب التلاوة :

١ ـ النظافة ومنها السواك .

٢ ـ أن يقرأ وهو على طهارة .

٣ ـ أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار .

٤ ـ استقبال القبلة .

٥ ـ الاستعاذة إذا أراد الشروع في القراءة .

٦ ـ الخشوع والتدبر عند القراءة .

٧ ـ البكاء عند القراءة وهو صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين . ورد عنه ﷺ أنه قال : « اقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » .

٨ ـ أن يرتل قراءته ، وقد اتفق العلماء رضي الله عنهم على استحباب الترتيل ، قال الله تعالى : ﴿ ورتِّل القرآن ترتيلاً ﴾ [المزمل : ٤/٧٣] ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لأن أقرأ سورة أرتلها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كله .

٩ ـ يستحب إذا مرّ بآية رحمةٍ أن يسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مرَّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب .

١٠ ـ أن يجتنب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاما يضطر إليه وليمتثل قوله تعالى : ﴿ وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤/٧] .

١١ ـ قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة .

١٢ ـ تحسين الصوت بالقراءة لحديث « زيّنوا القرآن بأصواتكم » ، وحديث أمامة

رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا » ، رواه أبو داود .

١٣ ـ استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت ، وقد كان جماعات من السلف يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون . فقد صحّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليّ القرآن ، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً .. ﴾ قال حسبك الآن فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان » . رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فسمع قراءة رجل ، فقال : « من هذا ؟ » ، فقيل هذا عبد الله بن قيس ، فقال : « لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود » . رواه مسلم .

وقال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ حينما استمع إلى تلاوته : لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبّرته لك تحبيراً .. أي لحسّنت صوتي بالقرآن وزيّنته به ورتلته .

الدُّعاءُ بأسماءِ اللهِ الحُسنى

قال الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ [الأعراف : ١٨٠/٧] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة » :

هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهين ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ،

المجيب ، الواسع ، الحكم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البرّ ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضارّ ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

ومعنى أحصاها : عدّها وحفظها ووعاها ودعا بها وكرر تلاوتها متخلقاً بها ، عالماً بمعناها ، فالله سبحانه سمّى نفسه بما سمّاها وجميع الأسماء إلى ربك منتهاها .

وقيل : حافظ على حدودها في معاملة الربّ بها . **وقيل** : عرفها ، وعقل معانيها وآمن بها .

فمن حفظ هذه الأسماء ، وعمل بدلالتها ، وكان له من كل اسم حظّاً يقوّم به سلوكه ظاهراً وباطناً ، وحياته العامة والخاصة ، فقد دخل في مضمون قوله ﷺ : « أحصاها » .

ومعرفة أسماء الله وصفاته من أهم أمور العقيدة ، لذا وجب على كل مسلم أن يعرفها ويؤمن بها ، ويسعى جاهداً لتمثل دلالاتها فيما بينه وبين ربّه عزّوجلّ ، وبينه وبين عباد الله ليفوز بسعادة الدارين .

فهي ينابيع الحياة الروحية في القلوب ، ومشرق أنوار المعارف الإلهية على العقول ، ومنها استمد الأولياء العارفون والأئمة الربانيون تلك الحكم السامية ، والكتب العالية في معرفته تعالى وأسرار خلقه ، والأدعية والقصائد في حبّه ومناجاته .

وهذا بيان موجز في معاني هذه الأسماء :

« **الله** » : لفظ الجلالة علم دالّ على المعبود بحق دلالة جامعة لجميع معاني الأسماء الحسنى ، ولم يُسَمّ به غيره تعالى ﴿ هل تعلم له سميّاً ﴾ فلم يجرؤ أحد ممن سمّوا أنفسهم بـ « الربّ » أو « الإله » كما ادعى فرعون وغيره حيث قال : « أنا ربكم الأعلى » ، « ما علمت لكم من إله غيري » ، نعم لم يجرؤ أحد على انتحال هذا الاسم لنفسه ، ولا يطلقه أحد على غيره سبحانه لا حقيقة ولا مجازاً .

ومن خصائص هذا الاسم : أنه تضاف إليه الأسماء على سبيل الوصف ، وهو لا يضاف إلى الأسماء على أنه وصف لها فنقول : « الله الرحمن » ولا تقول : « الرحمن الله » ، فقل « الله » وليس في قلبك سواه .

وذكر الرازي في تفسيره بعض خصائص هذا الاسم فقال : اعلم أن هذا الاسم مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى ونحن نشير إليها :

الخاصية الأولى : أنك إذا حذفت الألف من قولك « الله » بقي الباقي على صورة « لله » ، وهو مختص به سبحانه كما في قوله تعالى : ﴿ ولله جنودُ السموات والأرض ﴾ ، ﴿ ولله خزائن السَّموات والأرض ﴾ . وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة « له » كما في قوله تعالى : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ ، وقوله : ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ ، فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هي قولنا : « هو » وهو أيضاً يدل عليه سبحانه كما في قوله : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، وقوله : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ .

الخاصية الثانية : إن كلمة الشهادة لم يحصل فيها إلا هذا الاسم فلو أن الكافر قال أشهد أن لا إله إلا الرحمن ، وإلا الرحيم ، وإلا الملك ، وإلا القدوس ، لم يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام ، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة .

☆ ☆ ☆

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه (المقصد الأسنى) : اعلم أن هذا الاسم أعظم أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين ، لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء ، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعلٍ أو غيره ، ولأنه أخص الأسماء .

وحظ العبد من هذا الاسم : التأله يعني أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله عز وجل لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه .

☆ ☆ ☆

« الرحمن الرحيم » : أسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة تستدعي مرحوماً ،

ولا مرحوم إلا وهو محتاج . والرحمن أبلغ من لفظ الرحيم ولذلك اشتهر في الدعاء : يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، والمعلوم أن رحمته تعالى في الدنيا شاملة للمؤمن والكافر ، والصالح والطالح ، بخلاف رحمته في الآخرة فإنها مختصة بالمؤمنين . فالرحمة التامة : إفاضة الخير على المحتاجين ، وإرادته لهم عناية بهم . والرحمة العامة : هي التي تتناول المستحق وغير المستحق ، ورحمة الله تعالى تامة وعامة ، أما تمامها ، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها ، وأما عمومها فمن حيث شمولها في الدنيا والآخرة . ولا يطلق اسم « الرحمن » إلا على الله عز وجل ولا يسمى به غيره ، والرحيم قد يطلق على غيره .

وحظ العبد من اسم « الرحمن » : أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف ، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء .

وحظه من اسم « الرحيم » : أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدّها بقدر طاقته إما بماله ، أو جاهه .

☆ ☆ ☆

« الملك » : هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ، ويحتاج إليه كل موجود .

وحظ العبد منه : أن لا يملكه إلا الله تعالى ، بل يستغني عن كل شيء سوى الله عز وجل ، وهو مع ذلك يملك مملكته بحيث يطيعه فيها جنوده ورعاياه ، وإنما مملكته الخاصة به قلبه وقالبه ، وجنده شهوته وغضبه وهواه ، ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه ، فإذا ملكها ولم تملكه وأطاعته ولم يطعها فقد نال درجة الملك في عالمه ، فإن انضم إليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم إليه في حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك في عالم الأرض ، وتلك رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وورائهم وأتباعهم الصادقين .

☆ ☆ ☆

« **القدوس** » : **القدس لغة : الطهارة** ، الأرض المقدسة : المطهرة ، والبيت المقدس : الذي يُتطهر فيه من الذنوب ، وحظيرة القدس : الجنة .

والقدوس بضم القاف وتشديد الدال : اسم مشتق من القدس أي الطهر ، والقدوس هو الطاهر من العيوب والنقائص ، المنزه في قدس عزه عن كل ما تحيط به العقول أو يصوره الخيال ، أو تحوم حوله الأفكار ، المنزه عن كل وصف يدركه حسّ أو يسبق إليه وهم . وكان رسول الله ﷺ يقول في سجوده « سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح » .

ومّما جُرّب لمن تعتريهم الوسوسة يصلح لهم ذكر « سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال ، إن يشأ يذهبْكم ويأتِ بخلقٍ جديد وما ذلك على الله بعزيز » .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يطهر نفسه من متابعة الشهوات ، وماله عن الشبهات ، ووقته عن دنس المخالفات ، وقلبه عن كدورات العلاقات ، وسرّه عن الملاحظات والالتفاتات فلا يتذلَّل لمخلوق بالنفس التي بها عبده ، ولا يعظم مخلوقاً بالقلب الذي به شهد ، ولا يبالي بما فقده بعدما وجده ، ولا يرجع قبل الوصول إليه بما قصده .

☆ ☆ ☆

« **السلام** » : السلام مصدر نُعِتَ به للمبالغة في سلامته مما يلحقُ الخلق من العيب والفناء ، فهو السلام لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ، فقد سلمت ذاته من العيب ، وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يتحلى بفضيلة المسالمة التي تؤدي إلى الأمن والأمان ، فلا يحقد ، ولا يحسد ، ولا يغش وقد سلم المسلمون من لسانه ويده ، وحظ الذاكر المسلم من أخيه المسلم ثلاثة : إن لم ينفعه فلا يضره ، وإن لم يُسرّه فلا يغمّه ، وإن لم يمدحه فلا يذمّه .

يقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى : كل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه ومن المحظورات جوارحه ، وسلمت من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله بقلب سليم . اللهمّ سلّمنا من الأمراض والآفات والعاهات والبليات حتى

تسمع أرواحنا أذان خطابك القديم ﴿ سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ ﴾ [يس : ٥٨/٣٦] ، وقل « سلام » .

☆ ☆ ☆

« **المؤمن** » : معناه المصدّق ، ومعناه في وصفه عز وجل تصديقه لنفسه وهو علمه تعالى بأنه صادق ، أو تصديقه لعباده وهو علمه بأنهم صادقون فهو الذي يُصدقُ عباده وعده ، ويؤمنهم في القيامة من عذابه .

واعلم أن المشابهة في الأسماء لا تقتضي المشابهة في الذوات .

وحظ العبد من هذا الاسم والوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كلّ خائف مساعدته في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه كما قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمن جارُه بوائقه » أي شروره .

☆ ☆ ☆

« **المهيمن** » : ومعناه في حق الله تعالى أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم . وكل مشرف على كنه الأمر بعلمه ، مستول عليه بقدرته ، حافظ له بفعله فهو مهين عليه والجامع بين هذه المعاني اسمه : المهين .

وحظ العبد من هذا الاسم أن يكون مراقباً قلبه مستولياً على تقويم أحواله وأوصافه من حيث الشريعة والحقيقة واضعاً نصب عينه قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم ونجواهم ﴾ [التوبة : ٧٨/٩] .

☆ ☆ ☆

« **العزيز** » : ومعناه الغالب القوي الذي لا يُغلَب ، والظافر الذي لا يُقهر . مِن عزَّ يعُزُّ - بضم العين - إذا غلب ، وقيل : هو الذي لا مثيل له من عزّ يعِزّ - بكسر العين - لمن ذا قلّ وجود مثله . والعزّة في الأصل : القوة والشدّة والغلبة .

يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : العزيز : هو الخطير الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يُطلق عليه اسم العزيز .

والعزيز من الناس الذي أخذ بحظٍّ وافر من هذا الاسم هو الذي يعتز بالله وحده ، ويعزّ أمر ربه بالسمع والطاعة .

والعزيز من العباد هو من يحتاج إليه عباد الله في أهم أمورهم ، وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية ، والشخص العزيز في عصره هو من يحيي القلوب بإرشاده ، ويدلهم على الله تبارك وتعالى فيكشف لنفوسهم نور العزيز .

والإنسان العزيز لا يعتقد لمخلوق عزة أو إجلالاً بجانب عزة الله سبحانه . ﴿ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨/٦٣] ، فالعزيز من أعزّه الله وإن أذلّهُ السّوى .

« **الجبّار** » : هو الذي ينفّذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، والجبار المطلق هو الله سبحانه وتعالى .

والجبار في وصف الناس صفة مذمومة لأن الجبار من الناس كما تقول اللغة : كلّ عاتٍ متمرّد ، ومنه قولهم : ويل لجبار الأرض من جبار السماء .

قال الإمام القشيري رحمه الله في كتاب (التحبير) : فمن آداب من عرف أنه لا تناله الأيدي لعلوّ قدره أن يتحقق أنه لا سبيل إليه ، ولا بد من أمره ، ولا نصيب للعبد منه إلا لطفه وإحسانه ؛ اليوم عرفانَه ، وغداً غفرانه .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يقهر نفسه على أوامر الله واجتناب نواهيه ، وأن يفوض أمره إلى ربّه .

☆ ☆ ☆

« **المتكبّر** » : التكبر والكبرياء إخبار عن استحقاقه لنعوت الجلال وصفات الكمال ، والتكبر في صفة الخلق مذموم لأنهم محل النقص ، فمن عرف علوه سبحانه وكبرياءه لزم طريق التواضع .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يتكبر عن الركون إلى الشهوات ، والسكون إلى الدنيا وزينتها ، وإذا علم أن العظمة والكبرياء لا يكونان إلا له تعالى ولا يطلقان على غيره إلا في مقام الذم بدليل ما روي في الحديث القدسي « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي » ، عالج نفسه في تطهيرها عنهما ولزم طريق التواضع .

والمتكبر من بني الإنسان كالرجل فوق الجبل الذي يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

☆ ☆ ☆

« **الخالق** » : الخلق : التقدير ، فالخالق المقدر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته .

« **البارئ** » : المخترع المنشئ للأشياء ، وقيل : البرء : التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود ، فالخالق البارئ : هو المبدع المخترع المقدر إذا أراد شيئاً أوجده كما يريده .

« **المصوّر** » : الذي صوّر جميع الموجودات ، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، وهيئة منفردة . ومعنى التصوير لغة : التخطيط والتشكيل . وليست هذه الأسماء الثلاثة مترادفات مع أن هناك فرقاً بينها ، فالله خالق من حيث إنه مقدر ، وبارئ من حيث إنه مخترع وموجد ، ومصور من حيث إنه مرتب صور المبتدعات أحسن ترتيب .

وحظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة : النظر والتفكر في غرائب المصنوعات ، وتباين أشكالها وتفهّم قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ [آل عمران : ٣/٦] .

☆ ☆ ☆

« **الغفّار** » : الغفر والغفران في اللغة الستر ، وكل شيء سترته فقد غفرته ، والمغفرة من الله ستره للذنوب . والغفار : هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح ، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا ، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يتأدب بأدبه فيستر عيوب إخوانه ، ويعفو عنهم ، ويقابل السيئة بالحسنة .

« **القهار** » : مأخوذ من القهر ، وهو الغلبة والغالب ، وقهار للمبالغة من القهر ، وأقهر الرجل : إذا صار مقهوراً مغلوباً . **وهو في اللغة** : الاستيلاء على الشيء ظاهراً وباطناً .

فكرر - يا أخي - ذكر هذا الاسم ، وراقب ربك ، لتقهر شهوتك وغضبك ، فإذا فعلت فقد قهرت أعداءك وشيطانك ، وشهواتك ، وإذا جعلت همّك واحدا كفاك ربّك جميع الهموم .

☆ ☆ ☆

« **الوهّاب** » : من وهب ، ومنها الهبة ، وهي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض ، المعطاة بغير مقابل ، والواهب : المعطي ، والوهّاب مبالغة منه . فالله تعالى كثير اللطف والإقبال ، عظيم المنّ والنوال ، يعطي قبل السؤال ، ويسبغ خصائص الجود والإفضال .

ومن آداب من عرف أنه الوهاب أن لا يرفع حوائجه إلا إليه ، ولا يتوكل في جميع أموره إلا عليه ، وأن يمرّن نفسه على السخاء وكثرة العطايا .

☆ ☆ ☆

« **الرزّاق** » : مبالغة من الرازق وهو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها . **والرزق رزقان** : رزق ظاهر للأبدان كالأقوات ، ورزق باطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم ، وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد .

قيل لبعضهم من أين تأكل ؟ فقال : من خزانة ملك لا يدخلها اللصوص ، ولا يأكلها السوس . هذا وقد أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ، فقد أخذ الله العهد علينا أن نعبده كما أمر ، وأن يرزقنا كما وعد . وإذا أراد الله بعبده خيراً رزقه علماً هادياً ، ولساناً مرشداً معلّماً ، ويداً منفقة متصدقة ، ويكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ، وإذا أحبّ الله عبداً أكثر حوائج الخلق إليه ، ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد في وصول الأرزاق إليهم فقد نال حظاً من اسم « الرزاق » ، ومن عرف أن الله هو الرزاق أفرده بالقصد إليه .

☆ ☆ ☆

« **الفتّاح** » : صيغة مبالغة من الفتح ، وهو الذي يفتح ما أغلق ، والمراد هنا أنه سبحانه يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده .

والفتاح هو الذي ينفتح بعنايته كل منغلق ، وبهدايته كل مشكل ، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه ، وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت أسمائه وجمال كبريائه .

ومن علم أن الله هو الفتاح لكل أبواب اليسر لا يتعلق قلبه بغيره ، ولا يفكر إلا فيه ، وأن يكون حسن الانتظار لوجود لطفه ، دائم الترقب لحصول فضله ، مستديم التطلع لنبيل كرمه .

☆ ☆ ☆

« **العليم** » : العليم لفظ مشتق من العلم ، والعلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع ، والعليم في حق الله تعالى البالغ في العلم وكماله أن يحيط بكل شيء علماً . وعلم الله سبحانه بالأشياء على ما هي عليه غير مستفاد من الأشياء ، بل الأشياء مستفادة منه ، وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها .

وشرف العبد بسبب العلم من حيث أنه من صفات الله عز وجل ، ولكن العلم الأشرف ما معلومه أشرف ، وأشرف المعلومات هو الله تعالى ، فلذلك كانت معرفة الله تعالى أفضل المعارف .

ومن آداب من تحقق أنه عالم أن يكون مكتفياً بعلمه عند جريان حكمه ، وأن يستحي من ربّه ويكفّ عن معاصيه ، ولا يغترّ بجميل ستره ، وأن يسعى جاهداً في الوصول إلى الحقائق العلمية ما أمكنه ، وأن يحصّل ما استطاع من العلوم النافعة له في دينه ودنياه وآخرته .

☆ ☆ ☆

« **القابض** » : القبض في اللغة هو الأخذ ، أو هو تناول الشيء بجميع الكف ، وقبض عليه بيده أمسكه .

والقابض اسم من أسمائه سبحانه معناه : الذي يقبض النفوس بقهره ، والأرواح بعدله ، والأرزاق بحكمته ، والقلوب من تخويفها من جلاله .

☆ ☆ ☆

« الباسط » : بسط : نشر ، وبسط يده : مدّها .

والباسط في أسماء الله معناه الموسع للأرزاق لمن شاء من عباده . والقابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم ، وأوتي جوامع الكلم ، فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله عز وجل ونعمائه ، وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه .

واعلم أن القبض والبسط في اصطلاح أهل المعرفة عبارة عن غلبة الخوف والرجاء على القلب . فمن غلب على قلبه الخوف كان من أهل القبض ، ومن غلب على قلبه الرجاء كان من أهل البسط . والقبض والبسط من الله تعالى عام في كل شيء في الرزق والسلطان والصحة والفضل . ويرى بعض العلماء أنه لا ينبغي أن يدعى سبحانه وتعالى باسم القابض حتى يُقال معه الباسط أي لا بد من قرن الاسمين معاً حين يراد ذكر اسم القابض « يا قابض يا باسط » .

☆ ☆ ☆

« الخافض » : الخفض ضد الرفع ، والخفض : الانكسار واللين .

« الرافع » : الرفع ضد الخفض ، والرفع : الإعلاء والرفعة .

فهو سبحانه الذي يخفض الكفار بالإشقاء ، ويرفع المؤمنين بالإسعاد ، يرفع أولياءه بالتقريب ، ويخفض أعداءه بالإبعاد .

وحظ العبد من ذلك : أن يرفع الحق ويخفض الباطل ، وذلك بأن ينصر الحق ويزجر المبطل فيعادي أعداء الله ليخفضهم ، ويوالي أولياء الله ليرفعهم .

☆ ☆ ☆

« المعزّ » : الذي أعز الطائعين بطاعته ، أو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده .

« المذلّ » : الذي يلحق الذلّ بمن يشاء من عباده .

فالمعز والمذل : هو الذي يؤتي الملك من يشاء ويسلبه ممن يشاء ، والملك الحقيقي إنما هو في الخلاص من ذلّ الحاجة ، وقهر الشهوة ، ووصمة الجهل . فمن رفع الحجاب عن

قلبه حتى شاهد جمال حضرته ، ورزقه القناعة حتى استغنى بها عن خلقه ، وأمدّه بالقوة والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد أعزه وآتاه الملك عاجلاً وسيعزّه في الآخرة بالتقريب فـ « اللهم انقلنا من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة . اللهم أعزنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك ، وتوّجنا بتاج عزّتك » .

☆ ☆ ☆

« **السميع** » : بمعنى السامع وهو المدرك لكل مسموع وإن خفي ، لا يفوت سمعه شيء ، ولا يشغله نداء عن نداء ، يسمع السرّ والنجوى .

« **البصير** » : المبصر وهو المدرك لكل ما يدركه المخلوقون بأبصارهم ، وما لا يدركونه ، وهو العالم بخفيات الأمور .

فهو سبحانه يسمع بغير أصمخة وأذان كما يفعل بغير جارحة ، ويتكلم بغير لسان ، كما أنه سبحانه يرى من غير حدقة وأجفان ، ومقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته ، كما ينطبع في حدقة الإنسان .

إن إيمان الإنسان بأن الله تعالى بصير بحركاته وسكناته ، سميع لما أسرّ من قوله أو علنه ليجعله أكثر مراقبة لله تعالى في جميع أموره ، فيستقيم سلوكه ، ويسمو خلقه . وتصفو روحه ، ولا يفقده ربّه حيث أمره ولا يجده حيث نهاه .

☆ ☆ ☆

« **الحكم** » : هو صاحب الفصل بين الحق والباطل ، والبار والفاجر ، والحكم هو الذي لا يقع في وعده ريب ، ولا في فعله عيب .

وحظ العبد من هذا الاسم : أنه إذا علم أن الله حكم انقاد لأمره ، وسلّم لحكمه .

☆ ☆ ☆

« **العدل** » : مصدر عدل يعدل عدلاً فهو عادل ، وأقيم المصدر مقام الاسم للمبالغة أي البالغ في العدل . ومعنى العدل : الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يلتزم الطريق الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ، وأن يكون عدلاً في أحكامه وأفعاله وأوصافه فلا يظلم أحداً .

« **اللطيف** » : العليم بدقائق الأمور وغوامضها ومشكلاتها . وقيل : الذي لطفت أفعاله وحسُنت ، ومن لطفه سبحانه بعباده أنه أعطاهم من النعم فوق الكفاية ، وكلفهم دون الطاقة ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة .

وحظ العبد من هذا الاسم : الرفق بعباد الله ، والتلطف بهم في الدعوة إلى الله وفي الإرشاد إلى الطريق والهداية إلى سعادة الآخرة من غير ازدراء وعنف ومن غير تعصب وخصام ، وأحسن وجوه اللطف فيه الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسيرة المرضية والأعمال الصالحة فإنها أوقع في النفس وألطف من الألفاظ المزينة .

☆ ☆ ☆

« **الخبير** » : العالم ببواطن الأشياء ، من الخبرة وهي العلم بالخفايا الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها ، وهو بمعنى العليم ، ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمّي خبرة ويسمى صاحبها خبيراً .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يكون خبيراً بما يجري في عالمه ، وعالمه قلبه وبدنه فيسارع إلى إصلاح أحوال باطنه ، وضبط تصرفات بدنه .

☆ ☆ ☆

« **الحليم** » : الذي لا يعجل بالانتقام مع غاية الاقتدار ، ولا يسارع بالعقوبة ولا يعجل بالمؤاخذة .

وحظ العبد منه ظاهر فالحلم من محاسن خصال العباد .

☆ ☆ ☆

« **العظيم** » : هو المستحق لصفات العلو والمجد ورفعة القدر ، أو هو الذي لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته .

والعظيم من العباد هم الأنبياء والعلماء الذين إذا عرف العاقل شيئاً من صفاتهم امتلأ بالهيبة صدره ، فالنبي عظيم في حق أمته ، والشيخ في حق مريده ، والأستاذ في حق تلميذه .

وحظ العبد منه : أن يهضم نفسه ويذللها للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره والابتعاد عن مناهيه .

☆ ☆ ☆

« **الغفور** » : هو التام القدرة ، وقد يغفر فضلاً وإحساناً بدون قيد ولا شرط . أو هو كثير المغفرة ، فالغفور والغفار من صيغ المبالغة .

والفرق بين الغفور والغفار : أن اسمه الغفار يقتضي العموم في الأزمان والأفراد ، واسمه الغفور يقتضي المبالغة في كثرة ما يغفر ، وقيل : أن المبالغة في غفور من جهة الكيفية فيغفر الذنوب العظام ، وفي الغفار من جهة الكمية فيغفر الذنوب الكثيرة .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يكون كثير العفو والصفح عمن أساء إليه .

☆ ☆ ☆

« **الشكور** » : من صيغ المبالغة في الشكر ، ومعناه أنه كثير الثناء على عبده بكثرة أفعاله الحسنة وطاعاته ، وقيل معناه الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يؤدي واجب الحمد والشكر لله وهو فرح القلب بالمنعم لأجل نعمه حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح . ويشكر من أسدى إليه معروفاً من المخلوقين ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

☆ ☆ ☆

« **العليّ** » : مشتق من علو الشرف والجلالة لا من علوّ المكان والمسافة لاستحالة الجهة في حقه تعالى فمعناه العالي البالغ في علوّ الرتبة ، وهو الذي علا فلا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يرتفع عما يشينه في دينه ، وأن يهتم في معالي الأمور ويبتعد عن سفسافها .

« **الكبير** » : أي ذو الكبرياء ، والكبرياء عبارة عن كمال الذات وهو الذي يتصاغر أمامه الكبراء والعظماء .

والكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله بل تسري إلى غيره ، فلا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه شيئاً من كماله ، وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه . وهو العالم التقي المرشد للخلق ، الصالح ليكون قدوة يقتبس الناس من أنواره وعلومه .

☆ ☆ ☆

« **الحفيظ** » : على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو الحافظ ، والحفظ صون الشيء من الزوال والاختلال ، والله جل وعلا حافظ جميع الموجودات من الزوال مدة ما شاء ، ويحفظ على العباد أعمالهم ، ويحصي عليهم أقوالهم وأفعالهم فيكون الحفظ بمعنى الحراسة كما هو أحد معانيه .

وحظ العبد من هذا الاسم : حفظ ما أمر بحفظه من الجوارح والشرائع والأمانات والودائع والمحافظة على أوقاته ، والسعي في صيانة كل مسلم بحسب الطاقة والقدرة .

☆ ☆ ☆

« **المقيت** » : خالق الأقوات البدنية والروحانية وموصلها إلى الأشباح والأرواح فيكون بمعنى الرازق إلا أنه أخص منه إذ الرزق يتناول القوت وغير القوت ، والقوت ما يكتفى به في قوام البدن .

وحظ العبد من هذا الاسم : إطعام الطعام ، وقهر النفس ، وإرشاد الغافل ، وأن لا يقبل إلا الحلال الطيب ليرتفع عند الله ذكره ويعظم أجره .

☆ ☆ ☆

« **الحسيب** » : إما من الحسْب الذي هو الاكتفاء فيكون بمعنى الكافي ، أو من الحسَب - فتح الحاء والسين - بمعنى السؤدد والشرف الكامل فيكون معناه الشريف ، أو من الحساب فيكون معناه المحاسب الذي يعدّ عليك أنفاسك .

وحظ العبد من هذا الاسم : بالمعنى الأول أن يسعى في كفاية المحتاجين ، وبالمعنى الثاني : أن يتقي الله حق تقاته ، وبالمعنى الثالث : أن يحاسب نفسه بالمعرفة والطاعة . وكذلك أن يكون الله حسبه بالإضافة إلى همته وإرادته ، وهو أنه لا يريد إلا الله ، ولا يلتفت إلى سواه .

« **الجليل** » : الموصوف بنعوت الجلال التي هي العزّ والملك والعلم والغنى والقدرة . والجلال : الكمال في جميع الصفات النفسية والمعنوية والقدسية ، فالجليل هو الكامل فيها .

والفرق بينه وبين الكبير والعظيم : أن الكبير الكامل في الذات ، والجليل الكامل في الصفات ، والعظيم الكامل في الذات والصفات جميعا .

وحظ العبد منه : التخلي عن كل صفة ذمية ، والتحلّي بكل صفة كريمة .

☆ ☆ ☆

« **الكريم** » : وهو بمعنى الرفيع القدر العظيم الشأن ، وهذا كرم الذات ، وبمعنى الموصوف بالصفات الجليلة ، وهذا كرم الصفات ، وبمعنى البداءة بالنوال قبل السؤال والإعطاء بلا حد ولا زوال وهذا كرم الأفعال ، فهو سبحانه كريم ذاتا ووصفا وفعلا . والفرق بين الكريم والسخي أن الكريم كثير العطاء والإحسان من غير طلب أو سؤال ، والسخي المعطي عند السؤال ، والله سمّي الكريم ولم يُسمَّ السخي .

☆ ☆ ☆

« **الرقيب** » : العليم الذي لا يعزب عنه شيء ، الحفيظ الذي يراقب الأشياء ويلاحظها ، فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ، ولاحظه ملاحظة دائمة لازمة لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه سُمّي رقيبا .

وحظ العبد منه : أن تغلب عليه مراقبة الله عز وجل بأن لا يغفل عن ذكره ، وأن يراقب أحوال نفسه ويأخذ حذره من أن ينتهز الشيطان منه فرصة فيهلكه على غفلة .

☆ ☆ ☆

« **المجيب** » : هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ، ودعاء الداعين بالإجابة ، وضرورة المضطرين بالكفاية ، بل ينعم قبل النداء ، ويتفضل قبل الدعاء ، وليس ذلك إلا لله عز وجل .

وحظ العبد منه : أن يكون مجيبا أولا لربه فيما أمره به ونهاه ، وفيما ندبه إليه ودعاه . ثم لعباده فيما أنعم الله عليه بالاقتدار ، وفي إسعاف كل سائل بما يسأله إن قدر

عليه . وفي لطف الجواب إن عجز عنه قال تعالى : ﴿ وأمّا السائل فلا تنهر ﴾ [الضُحى : ١٠/٩٣] .

☆ ☆ ☆

« **الواسع** » : مشتق من السعة ، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم ، وكيف ما قُدّر وعلى أي شيء نُزِّل ، فالواسع المطلق هو الله سبحانه ، فهو الذي وسع علمه ورحمته كل شيء كما قال تعالى : ﴿ وسعتَ كلّ شيءٍ رحمةً وعلماً ﴾ [غافر : ٧/٤٠] .

ومن آداب التخلق باسم الواسع : أن يتسع خلقك ورحمتك عباد الله في جميع أحوالك وأن تسع الناس الجود فتقضي مصالحهم ، وبالأخلاق الطيبة فتحسن معاملتهم لأن الحديث الشريف يقول : « إن لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

☆ ☆ ☆

« **الحكيم** » : الحاكم بمعنى القاضي ، والحكيم يأتي بمعنى الذي يُحكم الأشياء ويتقنها ، والإحكام لخلق الأشياء يراد به إتقان التدبير فيها وحسن التقدير لها ، فلا يقول ولا يفعل إلا الصواب ، وقيل الحكيم ذو الحكمة وهي عبارة عن كمال العلم وإحسان العمل ، أو هي وضع الأمر في موضعه .

والحكمة في حق العباد هي الصواب في القول والعمل بقدر الطاقة البشرية .

☆ ☆ ☆

« **الودود** » : من الودّ ، وهو الحب أي المحب للمؤمنين والمحبوب لهم ، ومحبة الله لهم رحمته إياهم ، وإرادته الخير لهم ، فهو المحب للطائعين من عباده ، المتحبب إليهم بإنعامه ، ومحبة المؤمنين لله تعالى طاعته وموافقة أمره وتعظيمه .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يكون ودوداً للمؤمنين بل لكل الخلائق بأن يحب للكافر الإيمان ، وللعاصي التوبة ، وللصالح الثبات ، ولجميع العباد الخير جملة وتفصيلاً ، وأن يحب الصالحين من عباده .

☆ ☆ ☆

« **المجيد** » : مبالغة في الماجد من المجد وهو الشرف التام الكامل ، ويطلق على الكثير العطاء ، وقيل الشريف ذاته ، الجميل أفعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله ، البالغ المنتهى في الكرم فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمّي مجداً وهو الماجد أيضاً .

☆ ☆ ☆

« **الباعث** » : مثير الساكن في حالة أو وصف ، أو حكم أو نوم أو غيره . فهو تعالى باعث الرسل بالأحكام ، وباعث الموتى في القبور ، والنائم باليقظة من المنام . وقيل : باعث الهمم إلى الترقي في ساحات التوحيد ، وعليات الأمور ، ويرفع عن القلب وساوس الصدور .

☆ ☆ ☆

« **الشهيد** » : يرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة ، فإن الله عز وجل عالم الغيب والشهادة ، والغيب عبارة عما بطن ، والشهادة عما ظهر ، وهو الذي يشاهد ، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد .

وحظ العبد منه : أن يعبد الله كأنه يراه ، وأن يقول عن علم .

والأمة المؤمنة تتذكر دائماً أن ربّها هو « الشهيد » ، وهي أمة الشهادة في كل مجال ، وربّها القائل لها : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣/٢] .

« **الحق** » : ضد الباطل ، والحق المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً ، وقيل معناه : المحق أي المظهر للحق والموجد للشيء حسبما تقتضيه الحكمة .

وحظ العبد منه : فناؤه عن نفسه وعن إرادته وأن يرى الله تعالى هو الحق المطلق وما سواه باطلاً في ذاته حقاً بإيجاده واختراعه ، وأن له تعالى حكماً ولطائف في كل ما يوجده وإن خفي علينا كنهه .

☆ ☆ ☆

« **الوكيل** » : القائم بأمور العباد وبتحصيل ما يحتاجون إليه . ومن توكل عليه كفاه ، ومن استغنى به أغناه عما سواه ، وقيل الذي ابتدأك بكفايته ، ثم تولاك بحسن رعايته ، ثم ختم لك بجميل ولايته .

وحظ العبد منه : السعي في حاجة أخيه المؤمن ، وأن يكل الأمور إليه تعالى ، ويتوكل عليه ، ويكتفي بالالتجاء إليه عن الاستمداد بغيره .

☆ ☆ ☆

« **القوي ، المتين** » : القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل على شدة القوة ، والله سبحانه من حيث إنه بالغ القدرة وتامها ، قوي ؛ ومن حيث إنه شديد القوة متين . فالقوي هو الذي لا يلحقه ضعف لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، والمتين هو الذي له كمال القوة بحيث لا يُعارض ولا يُشارك ولا يُدانى ولا يقبل الضعف في قوته عما يريد ولا يُمانع في أمره . ومن عرف عظمة قوته تعالى ومتانتها لم يخف من شيء ، ولم تقف همته عند شيء بل يطلب معالي الأمور دون أن يتسرب إليه ضعف أو فتور لأنه استمد قوته من قوة الله سبحانه .

☆ ☆ ☆

« **الولي** » : المتكفل لأمور العالم والخلائق القائم بها ، والولي : الناصر . فالولي بحسن ولايته منصور ، والعدو بحكم شقاوته مقهور . وقيل الولي الذي تولى سياسة النفوس فأدبها ، وحراسة القلوب فهذبها ، والله وليّ المتقين ، والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهو الولي الحميد .

والولي من العباد : من يحب الله ويحب أولياءه ، وينصره وينصر أولياءه ويعادي أعداءه ، ومن أعدائه النفس والشيطان ، فمن خذلهما ونصر الله تعالى ، ووالى أولياء الله وعادى أعداءه فهو الولي من العباد .

« **الحميد** » : المحمود المستحق للثناء على كل حال فهو الموصوف بالصفات العلية التي لا يصلح معها الحمد لغيره ، ولا يُثنى عليه بها حقيقة سواه . فهو سبحانه المحمود والمثنى عليه . والله عز وجل هو الحميد بحمده لنفسه أزلاً وبحمد عباده له أبداً .

والحميد من العباد من حُمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله ، والحميد المطلق هو الله تعالى .

☆ ☆ ☆

« **المحصي** » : المحيط بكل موجود جملة وتفصيلاً ، والمحصي من الإحصاء وهو الإحاطة بحساب الأشياء وما شأنه التعداد ، وقيل : الحافظ لأعداد طاعاتك العالم بجميع حالاتك ، وقيل : إن معنى الإحصاء هو العلم بالأشياء على وجه التفصيل .

وحظ العبد منه : أن يحصي على نفسه الحركات والسكنات ، وأن يراقب الله في الجهر والخلوات .

☆ ☆ ☆

« **المبدئ** » : من أبدى بمعنى أظهر ، والمبدئ هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير مثالٍ سابق .

« **المعيد** » : هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات ، ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة ، والأشياء كلها منه بدأت وإليه تعود .

وحظ العبد من هذين الاسمين : أن يتعود الرجوع إلى الله في كل شيء ، وعليه أن يعلم أن الله خلقه ولم يك شيئاً ، ثم جعل نهايته ونهاية كل شيء إليه سبحانه .

☆ ☆ ☆

« **المحيي ، المميت** » : المحيي معطي الحياة يجعل الخلق حياً بإحداث الحياة فيه ، والمميت : الذي بيده الموت يسلطه على من يشاء من عباده متى شاء وكيف شاء ، بسبب وبلا سبب ، فهو سبحانه الذي أحيا قلوب العارفين بأنوار معرفته ، وأرواحهم بلطف مشاهدته .

ومن عرف الله سبحانه هو المحيي والمميت لم يهتم بموت ولا حياة بل يكون مفوضاً مستسلماً في جميع أحواله لمن بيده الموت والحياة .

☆ ☆ ☆

« **الحي** » : هو دائم الحياة له البقاء المطلق لم يسبق وجوده عدم ، ولا يلحق بقاءه فناء . ومن عرف أنه الحي الذي لا يموت توكل عليه التوكل الكامل ، وكان بين يدي ربه الحي سبحانه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ، وسعى في تحصيل الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون .

☆ ☆ ☆

« **القيوم** » : القائم بنفسه والمقيم لغيره ، صيغة مبالغة في قيامه بتدبير خلقه ، وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه ، القائم على كل نفس بما كسبت . فهو سبحانه قائم بذاته ، مقوّم لسواه ، مستغنٍ عن غيره ، ولا غنى لغيره عنه ، إذ لا قوام للأشياء إلا به فهو موجدها ومقوّمها وقائم عليها ومؤثر فيها ، له صفات التقديس والكمال ، ونعوت السموّ والجلال . وعلى هذين الاسمين - الحي القيوم - مدار الأسماء الحسنى كلها ، وإليها ترجع معانيها ، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال .

وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته .

☆ ☆ ☆

« **الواجد** » : معناه الغني الذي لا يفتقر ، وقيل الواجد مأخوذ من الوجدان بمعنى العلم . يقال : وجدت فلاناً فقيهاً أي علمت كونه كذلك فعلى هذا يكون الواجد بمعنى العليم ، ومن عرف أنه غني استغنى به ، ومن عرف أنه عالم التجأ إليه .

☆ ☆ ☆

« **الماجد** » : معناه العظيم القدر ، العظيم الشرف ، أو الواسع الكرم ، ومن عرف أنه الماجد سمت همته إليه ، واعتمد في كل أموره عليه .

وحظ العبد منه : رفع الهمة عن الخلائق ، والتعلق بالحقائق فيصير بذلك ماجداً برفع الهمة وحسن الحالة .

« **الواحد** » : الفرد الذي لم يزل وحده ليس معه غيره ، فلا قديم سواه ، ولا إله غيره ، واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله .

والعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير

وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه ، وبالإضافة إلى الوقت ، إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله ، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع ، تقول العرب : فلان واحد في عصره أي لا نظير له فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى عزّ وجلّ .

☆ ☆ ☆

« **الصمد** » : الذي يصمد إليه في الحوائج ، ويقصد إليه في الرغائب ، ومن جعله الله تعالى مقصد عباده في مهات دينهم ودنياهم ، وأجرى على يده ولسانه حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظ من معنى هذا الوصف إذ أنّ الصّمد : القصد ، والصمد بمعنى المصمود ، وهو المقصود في الحوائج والنوازل .

☆ ☆ ☆

« **القادر ، المقتدر** » : معناهما ذو القدرة ، والمقتدر أبلغ . وقد فرق بعض العلماء بين القادر والمقتدر بأن القادر هو الذي يقدر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود ، وأما المقتدر فهو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلاً منه وإحساناً . فالقادر في الخلق والإيجاد ، والمقتدر بالتوفيق والإمداد .

ومن عرف أنه القادر المقتدر رجع بكل شيء إلى قدرته فلم يهمه شيء من الأمر ، ولا يعظم عليه ، ولا يأخذه الغرور فيما حصل وحقق ، ولا يستعلي على غيره ، يعرف حده وقدره فيقف عنده لأنه متيقن بأن الله أقدر من كل قدير ﴿ وكان الله على كلّ شيء مقتدراً ﴾ [الكهف : ١٨/٤٥] .

☆ ☆ ☆

« **المقدم ، المؤخر** » : هو الذي يقرب ويبعد وهذا من دلائل إرادته وفعله ، فمن قربه فقد قدمه ، ومن أبعده فقد أخره ، وقد قدم أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم ، وأخّر أعداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم .

وحظ العبد من هذين الاسمين : أن يقدم ما يرضاه من الأعمال والأشخاص ، ويؤخر من يستحق التأخير ، ويكون بين الخوف والرجاء ، وأن يكون دائماً على حذر .

☆ ☆ ☆

« **الأوّل ، الآخر** » : الأول الذي لا بداية لأوليته ، أي لا قبل له ، والآخر : الباقي بعد فناء خلقه ولا نهاية لآخريته أي لا بَعد له .

وقيل : الأول بالإحسان ، والآخر بالغفران ، الأول بالهداية ، والآخر بالرعاية ، الأول بالإسعاد ، والآخر بالإمداد .

وحظ العبد من هذين الاسمين : أن يكون أول الناس سبقاً إلى الخير .

☆ ☆ ☆

« **الظاهر ، الباطن** » : الظاهر الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه ، وقيل هو الظاهر بالقدرة على كل شيء ، والظاهر لكل شيء بالأدلة العقلية والكونية ، فقد خلق الكائنات الموجودات لتظهر آثار قدرته فيها وهو سبحانه ظاهر عليها ، فالكون كله بما فيه ومن فيه مظهر من مظاهر أسمائه وصفاته . فهو سبحانه الظاهر فلا يخفى على كل متأمل ، وهو الظاهر لعيون الأرواح والمتجلي بأنوار الفتاح ، فالكون كله مملوء بالجمال محلًى بالكمال وكل شيء فيه ينادي : أشهد خلاقي ذا الجلال .

والباطن : المحتجب عن أبصار الخلائق وإدراكهم ، فلا يدركه بصر ولا يحيط به عقل .

والإنسان من حيث جسمه مظهر لاسم الظاهر ، ومن حيث روحه مظهر لنور اسمه الباطن .

« **الوالي** » : المالك للأشياء والمتولي لها والمتصرف فيها ، يصرفها كيف يشاء ينفذ فيها أمره ، ويجري عليها حكمه .

وينبغي للعبد أن يلتمس أثر اسم الوالي بكثرة ذكره لأنه إذا أكثر من ذكره أشرقت عليه أنواره ، وتجلّت له أسراره ، فصار يوالي نفسه بالأدب ، ويوالي إخوانه الفقراء بتعهدهم والسؤال عنهم .

« **المتعالي** » : من العلوّ أي المترفع الذي جلّ عن كل وصف لا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، فينبغي للعبد أن ترتفع همته في خدمة الله تعالى ، ويطلب معالي الأمور لأن علوّ الهمة من الإيمان .

« البرّ » : العطوف الرفيق المحسن . والبرّ المطلق هو الذي منه كل مبرّة وإحسان . والعبد إنما يكون برّاً بقدر ما يتعاطاه من البر ولا سيما بوالديه وأستاذه وشيوخه .

واعلم أن برّ التلامذة للشيوخ يجب أن يكون أكثر من برهم لوالديهم لأن الوالدين يحفظانه من افات الدنيا ، والشيخ يحفظه من آفات الآخرة . فالأب يربيه بنعمته ، والشيخ يربيه بهمته . وعلى العبد أن يكون مشتغلاً بأعمال البر واستباق الخيرات ، وقد قيل : البر شيء هين : وجه طلق ، وكلام ليّن .

☆ ☆ ☆

« التوّاب » : الذي يقبل توبة عباده كلما تابوا عن معاصيهم أي يعود عليهم بألطافه ويوفقهم إليها ، وييسّرها لهم . ومن قبل معاذير المخطئين من أصدقائه ومعارفه مرة بعد أخرى ، فقد تخلق بهذا الخلق وأخذ منه نصيباً .

☆ ☆ ☆

« المنتقم » : الانتقام افتعال من النقمة ، وهو غاية الكراهية للشيء ، وغاية العقوبة عليه أيضاً ، فانتقام الله تعالى عقوبته للعصاة على مكره منهم . أو هو الذي يقصم ظهور العتاة وينكّل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة وذلك بعد الإعذار والإنذار ، وبعد التمكين والإمهال ، وهو أشد للانتقام من المعاجلة بالعقوبة ، فإنه إذا عوجل في العقوبة لم يمعن في المعصية فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن ينتقم من أعداء الله . وأعدى الأعداء نفسه التي بين جنبيه .

« العفوّ » : هو الذي يمحو السيئات ، ويتجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه ، فإن الغفران ينبئ عن الستر ، والعفو ينبئ عن المحو ، والمحو أبلغ من الستر .

وحظ العبد منه : أن يعفو عن ظالمه بل يحسن إليه ، ولا يقطع برّه عن أحد . قال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ [النّور : ٢٤/٢٢] .

« **الرؤوف** » : ذا الرأفة وهي شدة الرحمة ، فهو أبلغ من الرحيم . وقيل الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرحمة إحسان مبدؤه شفقة المحسن ، والرأفة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه . فالرؤوف المتعطف على المذنبين بالتوبة ، وعلى الأولياء بالحفظ .

وحظ العبد منه : الشفقة على عباده المؤمنين ، والاستغفار للمذنبين .

☆ ☆ ☆

« **مالك الملك** » : هو المتصرف في ملكه كيف يشاء لا راد لحكمه ، ولا معقب لأمره ، والوجود كلّه من جميع مراتبه مملكة واحدة لمالك واحد هو الله تعالى . والملك هنا مصدر بمعنى السلطان والقدرة .

ومملكة كل عبد هي بدنه خاصة ، فإذا نفذت مشيئته في صفات قلبه وجوارحه فهو مالك مملكة نفسه بقدر ما أعطي من القدرة عليه .

☆ ☆ ☆

« **ذو الجلال والإكرام** » : ذو العظمة والكبرياء ، ذو الجلال والإكرام لأوليائه بإنعامه عليهم . وهذا الاسم الكريم جامع للجلال والجمال ، فإنه تعالى له جلال رهيب ، وجمال عجيب ، ولا ينال العبد المعرفة إلا إذا عرف ذا الجلال والإكرام لأنه جمع بين الرغبة والرهبة والرجاء والخوف .

وحظ العبد منه : أن يكون له جلالة عن النقائص وتكرم عنها وأن يلاطف عبيده بالتعظيم والإكرام .

☆ ☆ ☆

« **المقسط** » : العادل في الحكم ينتصف للمظلومين ، ويدرأ بأس الظلمة عن المستضعفين . يقال : أقسط إذا عدل في الحكم ، فكأن الهمزة في أقسط للسلب لأن قسط بمعنى جار .

قال الغزالي رحمه الله تعالى : « المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم ، وذلك غاية العدل والإنصاف ولا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى » .

« **الجامع** » : هو الذي جمع الكمالات كلها ذاتاً ووصفاً وفعلاً ، أو هو الذي يجمع الخلائق ليوم الحساب .

والجامع من العباد هو من جمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح ، وبين الحقائق الباطنة في القلوب ، فمن كملت معرفته ، وحسنت سيرته فهو الجامع .

☆ ☆ ☆

« **الغني** » : الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا يلحقه نقص ، ولا يعتريه عارض . وقيل هو المستغني عن كل ما سواه ، والمفتقر إليه كل ما عداه .

☆ ☆ ☆

« **المغني** » : الذي يغني من يشاء من عباده ، أو هو معطي الغنى والكفاية لمن شاء من عباده على طبق ما اقتضته حكمته ، وسبقت به مشيئته فهو الذي يعطي السائلين سؤلهم .

ومن عرف أن الله تعالى هو المغني استغنى بالاعتماد عليه عن كل شيء ورجع إليه في كل أمر .

☆ ☆ ☆

« **المانع** » : هو الذي يدفع البلاء عمن شاء من أوليائه وأعدائه ، أو الذي يمنع العطاء عمن شاء من أوليائه وأعدائه ، فإذا منع البلاء عن أوليائه وأعدائه كان ذلك لطفاً جميلاً ، وإذا منعهم العطاء كان ذلك فضلاً جزيلاً ، وإذا لم يمنع الخير في الحال عن أعدائه كان ذلك احتجاجاً عليهم واستدراجاً ، وإذا منعهم الخير في الآخرة كان ذلك عقوبة وإذلالاً ، فلا معطي لما منع كما لا مانع لما أعطى .

وحظ العبد منه : أن لا يعطي الحكمة غير أهلها فيظلمها ، وأن يمتنع عما نهى الله عنه .

☆ ☆ ☆

« الضّار » : الذي يُلحق الضُّر بمن يشاء من عباده كيف أراد عدلاً منه تعالى .

« النافع » : الذي يوصل النفع إلى من شاء من خلقه فضلاً منـه وكرمـاً ، وقيل هو الذي ينفع الطائعين بالتوفيق والإحسان .

☆ ☆ ☆

« النُّور » : هو الظـاهر الـذي بـه كل ظهور ، فـإن الظـاهر في نفسـه المظهر لغيره يُسمى نوراً ، فهو سبحانه منوّر السموات والأرض .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يكون مظهراً لكل خير وهداية جهد الاستطاعة .

☆ ☆ ☆

« الهادي » : المرشـد والـدال على طريق الصواب ، الـذي أعطى كل شيء خلقـه ثم هدى .

وحظ العبد من هذا الاسم : أنه إذا عرف أن الله هادٍ ومرشد كان هادياً ومرشداً لعبـاد الله في مصالحهم الدينية والدنيوية متحققاً بقوله تعـالى : ﴿ ٱدعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بـالحكمـةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلهم بالتي هي أحسنُ ﴾ [النَّحل : ١٦/١٢٥] .

« البـديع » : المبـدع الموجـد للأشيـاء على غير مثـال تقـدم ، ولا من أحـد تعلّم . والإبداع في حق الله تعالى هو إيجاد الشيء بغير آلـة ولا مـادة ولا زمـان ولا مكان وليس ذلك إلا لله تعالى . وقيـل : معناه الذي لا مثيل له في ذاته ، ولا نظير له في صفـاتـه ، فهو من البدع وهو ما لم يسبق له مثل . ومنه ﴿ بـديع السموات والأرض ﴾ [البقرة : ٢/١١٦] ، من حيث لم يسبق لها مثل . ﴿ قل مـا كنت بـدعـاً من الرسل ﴾ [الأحقـاف : ٤٦/٩] ، أي ما كنت ممن لم يسبق لـه مثيل من الرسل . ولـذا قيل في البـدعـة أنها مـا ليس لـه أصل في الكتـاب والسُّنـة والإجمـاع . وقيـل معنـاه الـذي أظهر عجـائب صنعتــه ، وأبرز غرائب حكمته .

والبديع من الناس : من اختص بخاصية لم يعهد مثلها إما في سـائر الأوقـات ، وإمـا في عصره . وإذا علم العبد أن الله تعـالى بـديع آثره على غيره ، وحسّن الظن بـه إمـا لكمـال وصفه أو لجميل فعله .

« **الباقي** » : هو الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء ، ومنه استمداد البقاء ، وهو الذي لا ابتداء لوجوده ، وهو الذي يكون في الأبد على ما هو عليه في الأزل .

أو هو الموجود الواجب وجوده بذاته ولكنه إذا أضيف في الذهن إلى الاستقبال سمّي باقياً ، وإذا أضيف إلى الماضي سمّي قديماً . ومن زعم أن العبد يصير باقياً ببقاء الحق تعالى وأنه يكون سميعاً بسمعه بصيراً ببصره حياً بحياته فقد خرج من الدين وانسلخ عن الإسلام .

قال النصرآباذي : إنه سبحانه وتعالى باقٍ ببقائه ، والعبد باقٍ بإبقائه فاحفظ الفرق فإنه مهم .

☆ ☆ ☆

« **الوارث** » : هو الذي يُرجع الأملاك بعد فناء الملاّك وذلك هو الله تعالى إذ هو الباقي بعد فناء الخلق وإليه مرجع كل شيء ومصيره . وهو يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وحظ العبد من هذا الاسم : أن يكون وارثاً لما عليه الصالحون والعلماء بالتحلي بأوصافهم من أحوال وأعمال وأقوال ، وأن يشتغل بالباقي عن الفاني .

☆ ☆ ☆

« **الرشيد** » : هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ، وتسديد مسدّد ، وإرشاد مرشد ، وهو سبحانه الذي يرشد الخلق ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم ، ويوجههم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في دينهم وآخرتهم .

اللهم أرشدنا إلى طريق هدايتك ، حتى تذوق الروح حلاوة طاعتك ، وآتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

وحظ العبد منه : أن يهتدي إلى الصواب من مقاصده في دينه ودنياه ، ويسكن إلى تدبيره ، ويرضى بما يريده لعلمه أنه العالم بمصالحه .

☆ ☆ ☆

« **الصَّبور** » : هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه ، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود ، لا يؤخرها عن آجالها المقدورة لها تأخير متكاسل ، ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل ، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي .

فعلى المسلم أن يتحلى بالصبر ويتجمل به في جميع أموره ، يصبر على الطاعة وعلى ترك المعصية وعلى سائر نوائب الحياة .

الاسم الأعظم

لقد تكلم العلماء في اسم الله الأعظم كثيراً واختلفوا فيه على أقوال متعددة كل على حسب ما وقف عليه من دليل ، **فمن تلك الأقوال :**

أنه الحي القيوم ، ومنها أنه في هذه الآية : ﴿ قلِ اللَّهم مالكَ الملكِ تؤتي الملكَ من تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممَّن تشاءُ وتعزُّ من تشاءُ وتذلُّ من تشاءُ بيدكَ الخير إنكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ [آل عمران : ٣/٢٦] .

ومنها : أنه دعوة سيدنا يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهي : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٢١/٨٧] .

ومنها : أنه في ست آيات من آخر سورة الحشر .

ومنها : أنه الرَّحمن الرَّحيم .

ومنها : أنه الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام .

ومنها : لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

ومنها : مالك الملك .

ومنها : أنه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . إلى غير ما هناك من أقوال .

هذا ولا شك في أن الأسماء الإلهية كلها عظيمة ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون كل

اسم انفعل بذكره القلب والوجدان ، وفاضت له العينان ، واقشعرت منه الأبدان هو الاسم الأعظم للذاكر أو الداعي .

وقد أخفى الله هذا الاسم في أسمائه كما أخفى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان ، ولو عرف الناس الاسم الأعظم لاشتغلوا به عن غيره من صالح الأعمال .

ولكن الأقرب هو لفظ الجلالة « الله » أو « الحي القيوم » .

وللدعاء بالاسم الأعظم شروط آكدها أكل الحلال .

وهذا دعاء لسيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى قد تضمّن بعضاً من أسماء الله الحسنى وهو من الأهمية بمكان فاحرص عليه وثابر على قراءته تحصل على بركاته وأنواره . وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا حي يا قيوم بك تحصنت فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان ﴿ بسم الله ﴾ .

وأدخلني يا أول يا آخر في مكنون غيب سرّ دائرة كنز ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ .

وأسبل عليّ يا حليم يا ستار كنف ستر حجاب صيانة نجاة ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ .

وابن يا محيط يا قادر عليّ سور أمان إحاطة مجد سرادقِ عزّ عظمة ﴿ ذلك خير ذلك من آيات الله ﴾ .

وأعذني يا رقيب يا مجيب واحرُسني في نفسي وديني وأهلي ومالي وأولادي بكلاءة إغاثة إعاذة ﴿ وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ .

وقني يا مانع يا نافع بآياتك وأسمائك وكلماتك شرّ الشيطان والسلطان فإن ظالم أو جبار بغى عليّ ﴿ أخذته غاشية من عذاب الله ﴾ .

ونجني يا مذلّ يا منتقم من عبيدك الظالمين الباغين عليّ وأعوانهم فإن همَّ لي أحد منهم

بسوء خذله الله ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ﴾ .

واكفني يا قابض يا قاهر خديعة مكرهم وارددهم عني مذمومين مدحورين بتخسير تغيير تدمير ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ﴾ .

وأذقني يا سبوح يا قدوس لذة مناجاة ﴿ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين بفضل الله ﴾ .

وأذقهم يا ضارّ يا مميت نكالَ وبالِ زوالٍ ﴿ فقطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله ﴾ .

وأمِّنّي يا سلام يا مؤمن من صولة جولة دولة الأعداء بغاية بداية آية ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ﴾ .

وتوّجني يا عظيم يا معزّ بتاج مهابة كبرياء جلال سلطان ملكوت عزّ عظمة ﴿ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله ﴾ .

وألبسني يا جليل يا كبير خِلعة جلالِ جمال كمالِ إقبالٍ ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطَّعن أيديهن وقُلْن حاشا لله ﴾ .

وألْقِ يا عزيز يا ودود عليّ محبةً منك فتنقادُ وتخضع لي بها قلوب عبادك بالمحبة والمعزّة والمودّة من تعطيف تأليف ﴿ يحبونهم كحبِّ الله والذين آمنوا أشدُّ حباً لله ﴾ .

وأظهر عليّ يا ظاهر يا باطن آثار أسرار أنوار ﴿ يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ﴾ .

ووجّه اللهم يا صمد يا نور وجهي بصفاء جمال أنس إشراق ﴿ فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله ﴾ .

وجمّلني يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام بالفصاحة والبلاغة والبراعة ﴿ واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي ﴾ برقةِ رأفةِ رحمةِ ﴿ ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ .

وقلّدني يا شديد البطش يا جبار يا قهار سيف الهيبة والشدة والقوّة والمنعة من بأس جبروت عزّة ﴿ وما النصر إلاّ من عند الله ﴾ .

وأدم علي يا باسط يا فتاح بهجة مسرّة ﴿ ربّ اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ﴾ بلطائف عواطف ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ وبأشائر بشائر ﴿ يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ .

وأنزل اللهم يا لطيف يا رؤوف بقلبي الإيمان والاطمئنان لأكون من الذين ﴿ آمنوا وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ﴾ .

وأفرغ علي يا صبور يا شكور صبر الذين تدرعوا بثبات يقين ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله ﴾ .

واحفظني يا حفيظ يا وكيل من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي بوجود شهود جنود ﴿ له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ .

وثبّت اللهم يا قائم يا دائم قدميّ كما ثبّت القائل ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم به ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ .

وانصرني يا نعم المولى ويا نعم النصير على أعدائي نصر الذي قيل له ﴿ أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله ﴾ .

وأيّدني يا طالب يا غالب بتأييد نبيك سيدنا محمد ﷺ المؤيَّد بتعزيز توقير ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ﴾ .

واكفني يا كافي يا شافي الأعداء والأسواء بعوائد فوائد ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ﴾ .

وامنن عليّ يا وهاب يا رزاق بحصول وصول قبول تيسير تسخير ﴿ كلوا واشربوا من رزق الله ﴾ .

وتولّني يا ولي يا علي بالولاية والعناية والرعاية والسلامة بمزيد إيراد إسعاد إمداد ﴿ ذلك من فضل الله ﴾ .

وأكرمني يا كريم بالسعادة والسيادة والكرامة والمغفرة كما أكرمت ﴿ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ .

وتُب عليّ يا توّاب يا حكيم توبةً نصوحاً لأكون من الذين ﴿ إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ .

وألزمني يا واحد يا أحد كلمة التقوى كما ألزمت حبيبك سيدنا محمد ﷺ حيث قلت : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ .

واختم لي يا رحمن يا رحيم بحسن خاتمة الناجين والراجين ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ .

وأسكني يا سميع يا قريب جنة ﴿ أُعدت للمتقين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ﴾ .

ياالله ، ياالله ، ياالله يا ربّ يا نافع يا رحمن يا رحيم أسألك بحرمة هذه الايات والكلمات سلطاناً نصيراً ، ورزقاً كثيراً ، وقلباً قريراً ، وقبراً منيراً ، وحساباً يسيراً . وأجراً كبيراً ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

☆ ☆ ☆

وهذه منظومة أسماء الله الحسنى لسيدي الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى رئيس محكمة الحقوق في بيروت سابقاً والمتوفَّى فيها عام / ١٣٥٠ / هـ ، قبره فيها ظاهر يزار :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحمدا ... كلّم موسى واصطفى محمدا

ثمّ الصلاة والسلام تُهتدى ... لخير مرسلٍ هدى وسدَّدا

والآل والصَّحب ومن يهدينا

باسم الإلّه وبه بَدَيْنا ... ولو عبدنا غيره شقَيْنا

يا حبَّذا ربّاً وحبّ دينا ... وحبَّذا محمدٌ هادينا

لولاه ما كنا ولا بقينا

اللهم لـولا أنت مـا اهتـدينـا ولا تصـدّقنـا ولا صلّينـا
فـأنـزلنْ سكينـة علينـا وثبّت الأقـدام إن لاقينـا

نحن الأولى جاؤوك مسلمينا

والمشركـون قـد بغَـوْا علينـا إذا أرادوا فتنـة أبينـا
وقـد تـداعى جمعهم علينـا طبـق الأحـاديث التي روينـا

فارددهمُ اللهم خاسرينا

الله يـا رحمن يـا رحيم الله يـا حيّ ويـا قيـوم
الله يـا قـوي يـا قـديم الله يـا عليّ يـا عظيم

لا ينبغي للقوم أن يعلونا

الله يـا لطيف يـا عليم الله يـا رؤوف يـا حكيم
الله يـا تـوّاب يـا حليم الله يـا وهّـاب يـا كريم

هبنا العلا واجعل عدانا الدّونا

الله يـا مـالـك يـا منير الله يـا مليـك يـا قـدير
الله يـا مـولى ويـا نصير الله أنت الملـك الكبير

ليس عدانا لك معجزينا

الله يـا شـاكر يـا شكـور الله يـا عفـو يـا غفـور
الله يـا عـالم يـا خبير الله يـا فتّـاح يـا بصير

لا تحرمنّا فتحك المبينا

الله يـا ظـاهر يـا جليـل الله يـا بـاطن يـا وكيـل
الله يـا صـادق يـا جميـل الله يـا حـافـظ يـا كفيـل

كن حافظا لنا وكن معينا

الله يـا غني يـا حميـد الله يـا مغني ويـا رشيـد
الله يـا مبـدئ يـا معيـد الله يـا عـزيـز يـا مجيـد

لعزك التوحيد يشكو الهونا

الله يـا قـادر يـا مقتـدر الله يـا قـاهر يـا مـؤخر

الله يــا فــاطر يــا مصـوّر　　الله يــا محصي ويــا مـــدبّر

دبّر لنا ودمّر العادينا

الله يـــا دائم لا يمــوت　　الله يـــا قـــائم لا يفــوت

الله يـــا محيي ويـــا مميت　　الله يـــا مغيث يـــا مقيت

كن غوثنا وحصننا الحصينا

الله يـا باسـط أنت الـواسـع　　الله يـا قـابض أنت المـــانـع

الله يـا خـالـق أنت الجـامـع　　الله يــا خـــافض أنت الرافـع

ارفع معالينا لعليينا

الله ذو المعـــــارج الرفيـــعُ　　الله يـــا وافي ويـــا سريــع

الله يـــا كافي ويـــا سميــع　　يـا نور يـا هـادي ويـا بـديع

أدّبتنا بما جرى يكفينا

الله ذو الجـــــــلال والإكرام　　الله ذو الطَّـوْل على الـــدوام

الله يـــا ذا الفضـل والإنعـــام　　والسيـــد المطلـق لـلأنـــام

ارحم عبيداً لك عابدينا

الله يـــا أول أنت الـواحـــد　　الله يـــا آخر أنت الراشـــد

يـا وتر يـا متكبر يـا واجـد　　يـا برّ يـا متفضـل يـا مـاجـد

بفضلك اقبلنا على ما فينا

الله يـــا مبين يـــا ودود　　الله يـا محيـط يـــا شهيـد

الله يـا متين يـا شـديـد　　يـا من هـو الفعـال مـا يريـد

إنّا ضعاف لك قد لجينا

الله يـــا معـزّ يـــا مقـــدّم　　الله مـــــذلّ يـــا منتقم

البـادئ البـاقي فـلا ينعـدم　　المحسن الـوالي الحفيـــظ الأكرم

ليس لنا سواك من يحمينا

الله يـــا وارث أنت الأبـــد　　الله يـــا بـاعث أنت الأحـــد

يا مـالـك الملك الإلـه الصّمدُ　　لا كفـوٌ لا والـــد لا ولـــد

كفّ العدا عنّا فقد أوذينا

الله يـا غـالب يـا قهـار الله يـا نـافـع أنت الضّـار
الله يـا بـارئ يـا غفـار يـا ربّ يـا ذا القـوّة الجبـار
قوّم لنا الدنيا وقوّ الدينا
الله ربُّ العـزّة السـلام المـؤمن المهين العـلاّم
ذو الرحمة الأعلى الأعزّ التامّ مَن دينه الحق هو الإسلام
قيّض له اللهم ناصرينا
الله أنت المتعـالي الحكم الفرد ذو العرش الـوليّ الأحكم
الغـافر المعطي الجـواد المنعم العادل العدل الصبور الأرحم
مكّن لنا في أرضنا تمكينا
الله يـا قـدوس يـا برهـان يـا برّ يـا حنّـان يـا منّـان
يـا حقّ يـا مقسط يـا ديّـان تبـاركت أسماؤك الحسـان
بها قرعنا بابك المصونا
الله يـا خـلاّق يـا منيب الله يـا رزاق يـا حسيب
الله يـا قريب يـا رقيب المستعـان السـامع المجيب
إنّا دعوناك استجب آمينا .

☆ ☆ ☆

الاسْتِغفَار

الاستغفار علاج روحي عظيم له أثره الفعال في طهارة القلوب وجلائها من صدئها . وحصن منيع ، ودرع متين لصدّ سهام إبليس . وقد كثرت الآيات القرآنية التي توضح فوائده وترغب في ثمراته ونتائجه .

قال الله تعالى مبيناً أن الاستغفار سبب لإرسال المطر الحسي وهو مطر الأرض ، والمطر المعنوي وهو مطر القلوب ، وأنه سبب البركة في الأموال والأولاد والأرزاق ، ووسيلة من وسائل رغد العيش ورفاهية الحياة من بساتين نضرة ومياه عذبة جارية .

﴿ فقلتُ استغفِروا ربّكُم إنّهُ كانَ غفّاراً ☆ يُرسلِ السّماءَ عليكُم مِدراراً ☆ ويُمددْكُم

بأموال وبَنين ويجعل لكُم جنَّات ويجعل لكُم أنهاراً ﴾ [نوح : ٧١/١٠-١٢] .

﴿ ويا قوم استغفروا ربَّكُم ثمَّ توبُوا إليه يرسل السَّماء عليكُم مدراراً ويزدْكُم قوَّة إلى قوَّتكُم ولا تتولَّوْا مُجرمين ﴾ [هود : ١١/٥٢] .

﴿ وأن استَغفروا ربَّكُم ثمَّ توبُوا إليه يُمتِّعكُم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّى ويؤت كلَّ ذي فضل فضلَهُ ﴾ [هود : ١١/٣] .

﴿ فسبِّح بحمدِ ربِّكَ واستَغفرْهُ إنَّه كانَ توَّاباً ﴾ [النَّصر : ١١٠/٣] .

﴿ واستَغفِرُوا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ [المزَّمِّل : ٧١/٢٠] .

وهو أمان لأهل الأرض من العذاب الشامل .

﴿ ومـا كانَ اللهُ ليُعـذِّبَهم وأنتَ فيهِم ومـا كانَ اللهُ مُعـذِّبَهُم وهُم يستغفرونَ ﴾ [الأنفال : ٨/٣٣] .

﴿ ومَن يعمَـل سـوءاً أو يظلِم نفسَـه ثمَّ يستَغفِرِ اللهَ يجِـدِ اللهَ غفـوراً رحيماً ﴾ [النِّساء : ٤/١١٠] .

﴿ والَّذينَ إذا فعلُوا فاحشَةً أو ظلَموا أنفسَهم ذكروا اللهَ فاستَغفَرُوا لِذنوبهم ومَن يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ اللهُ ولَم يُصِرُّوا على ما فعَلوا وهُم يعلمونَ ﴾ [آل عمران : ٣/١٣٥] .

وكذلك جاءت السُّنَّة النَّبوية حاثَّةً عليه ومرغِّبة فيه :

١ ـ : روى الإمام أحمد والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال إبليس : وعزّتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال : وعزّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني .

٢ ـ : روى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

٣ ـ : روى ابن ماجه والبيهقي عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير » .

٤ ـ: روى أبو داود والترمذي عن بلال بن يسار بن زيد رضي الله عنه قال : حدثني أبي عن جدّي أنه سمع النبي ﷺ يقول : « من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فرَّ من الزحف » .

٥ ـ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » . رواه البخاري . وفي رواية الإمام مسلم : « إنّه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » . يغان : يُغطّى .

وعن أبي ذرّ مرفوعاً : « إن لكل داء دواء ، وإن دواء الذنوب الاستغفار » .

٦ ـ: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كُتب له بكل مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنة » ، رواه الطبراني .

٧ ـ: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض » .

٨ ـ: روى البخاري عن شداد بن أوسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : سيد الاستغفار أن يقول العبد :

« اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرِّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من يومه دخل الجنة ، ومن قالها إذا أمسى موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة .

ذكر الإمام النووي رحمه الله في الأذكار عن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم إن استغفاري مع إصراري لؤم ، وإن ترك الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني ، وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك ، يا من إذا وعد وفى وإذا توعد تجاوز وعفا ، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين .

أكثر من هذا الاستغفار يا أخي فإنه جامع مانع :

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم ، غفّار الذنوب ذا الجلال والإكرام وأتوب إليه ، من جميع المعاصي كلها والذنوب والآثام ، ومن كل ذنب أذنبته عمداً وخطأ ، ظاهراً وباطناً ، قولاً وفعلاً ، في جميع حركاتي وسكناتي ، وخطراتي وأنفاسي كلها ، دائماً أبداً سرمداً من الذنب الذي أعلم ، ومن الذنب الذي لا أعلم ، عدد ما أحاط به العلم ، وأحصاه الكتاب ، وخطّه القلم ، وعدد ما أوجدته القدرة وخصصته الإرادة ومداد كلمات الله ، وكما ينبغي لجلال وجه ربّنا وجلاله وجماله وكماله وكما يحب ربّنا ويرضى .

☆ ☆ ☆

التَّهليل

وهو ذكر « لا إله إلا الله » . قال الله تعالى : ﴿ فاعلم أنّه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩/٤٧] . ﴿ وإذا قيلَ لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ [الصافات : ٣٥/٣٧] .

١ ـ: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوْلى منك لما رأيت من حرصك على الحديث « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » .

٢ ـ: روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفسٍ من ولد إسماعيل » .

٣ ـ: وروى الطبراني عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له ألفي ألف حسنة » .

٤ ـ: وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله

الحمد وهو على كل شيءٍ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

٥ ـ: روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ليس من عبدٍ يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولم يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد » .

أهمية كلمة التوحيد :

إن هذه الكلمة يقوم عليها بناء الإسلام ، وهي التي تميز المسلم من الكافر ، فالذين يؤمنون بها لهم الفلاح والسعادة والفوز والرقي في الدنيا والآخرة . والذين يعرضون عنها لهم الخزي والخسران والخذلان في الدنيا والآخرة .

ولا بد لهذه الكلمة أن تخرج إلى حيّز التطبيق العملي حتى تؤتي أكلها وتقطف ثمراتها بحيث لا يخضع قائلها إلا لله تبارك وتعالى ، ولا يستجيب إلا لندائه ، ولا يرهب إلا جانب سلطانه ، لأن الإله هو المستحق للعبادة من حيث كبرياؤه وجلالة شأنه ، وعلو منزلته ، وهو الجدير بأن يعبده الناس ويطأطئوا له رؤوسهم في العبادة ، ويلتزمون شرعه .

تأثير كلمة التوحيد في حياة الإنسان :

١ ـ: المؤمن بهذه الكلمة واسع الأفق بعيد النظر لأنه يؤمن بالذي خلق السموات والأرض ويملك مشارق الأرض ومغاربها .

٢ ـ: المؤمن بهذه الكلمة تنشأ في نفسه معاني العز والكرامة لأنه يعلم أن الله الواحد هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون من القوى ، وأنه لا ضارّ ولا نافع ولا محي ولا مميت إلا هو ، وهو صاحب الحكم والسلطان والسيادة وذلك فلا يهاب ظالماً ولا يخاف جبّاراً ولا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق ، وفي الوقت نفسه ينشئ الإيمان بهذه الكلمة التواضع في نفس صاحبها فلا يتعالى على أحد ، ولا يتكبر ولا يتجبر .

٣ ـ: الإيمان بهذه الكلمة يربي الإنسان على قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر

والثبات والتوكل وتملأ قلبه جراة لا يبالي بوجودها قوى الكون بأسره مجتمعة ومن أجل ذلك لا يكون في الدنيا أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله تعالى وحده فلا يكاد يخيفه دوي القنابل ولا مطر الرصاص ولا هدير الطائرات .

٤ ـ: الإيمان بـ « لا إله إلا الله » يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله ومحافظاً عليه فلا تعرف الفوضى إليه سبيلاً .

٥ ـ: إن قولك « لا إله » يعني تمرد كامل على كل طاغوت ، وثورة على كل جبار يريد أن يجعل من نفسه إلهاً تخضع له الرقاب ليستذل العباد .

وقولك « إلا الله » استجابة لنداء الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ، واعتراف كامل بأن الذي يُعبد حقّ عبادته بأن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر هو الله خالق الخلق بيده ملكوت السموات والأرض .

يقول السيد محمد إقبال رحمه الله تعالى في كلمة التوحيد :

• إن كلمة لا إله إلا الله ، هي المرشد الجليل الذي يهدي كل إنسان إلى سواء السبيل ، وهذا هو أصل الأصول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، وعملاً بمقتضى (لا إله إلا الله) يجب على المسلم أن يحطِّم كل طاغوت وكل باطل وكل خرافة يتخلل بين العبد والمعبود ، ثم يثبت ويشهد بالله الواحد القهار . فإذا قال أحد (لا إله إلا الله) فكأنه أقرَّ وأقسم أن لا يطيع أحداً ولا يعبد شيئاً ، ولا يعتقد أن هناك كائناً أزلياً وأبدياً إلا الله .

• إنَ الحياة الكريمة ، والعيشة الراضية لا تتأتى إلا بحرارة ذكر الله والثقة بنصره فلا سبيل إلى الحرية إلا بنقاء الفكر من همزات الشياطين ، وإغراء المفسدين وعفّته عن أدناس الشرك ، وصفائه من أثر الاستعمار .

فإننا بتوحيد الله نحرر أفكارنا من الشرك ، لأن كلمة (لا إله) تضمن لنا الحرية الفكرية ، و (إلا الله) هي حرارة الذكر ، فالبداية هي التطهير ، ثم يكون بعده البناء والتعمير . وبدون هذا يسيء الإنسان إلى نفسه ، ويستخدم الأشياء في غير وجهاتها النافعة وطريقها الجادّة ، ويتجعّد في لفائف صدره القلب السليم فيرى المعوجَ مستقيماً ، ويتمثل له القبيح حسناً .

• اعلم أنه لا يمكن لك أن تأخذ من جمال الحق نصيباً إلا بعد أن تنال نصيبك من جلال الحق ، لأن الجمال مظهر من مظاهر القوة ، فالخالي من القوة لا يهتدي إلى الجمال سبيلاً ، فإن التوحيد الذي هو جمال يحتاج إلى الكفر بالطاغوت أولاً ، وهذا لا يتأتى إلا بالقوة والجلال ، ولذلك ترى (لا إله) هو الجلال قبل (إلا الله) الذي هو الجمال .

فإذا تمت للمؤمن قوة الإيمان تحققت أمانيه فوق الزمان والمكان حتى لكأن الشمس والقمر بإرادته يأتمران ويضيئان ، وفي تلاقي قوتا السلب والإيجاب يتعادل ميزان الحياة ويستقر كيانها فبين (لا) و (إلا) تجرى الكائنات بحسبان وتسخر الموجودات للإنسان .

• إن كلمة التوحيد هي كلمة القدر التي صُنعت منها العناصر فمن (لا) تتولد الحركة وبـ (إلا) تمضي إلى السكون ، ومنهما البداية والنهاية لقوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾ .

إن أيّ أمة لا تضيء حياتها بمصباح (لا إله إلا الله) تتخبط في دياجير الظلام ، ولا تستطيع أن تحطّم الأغلال والأصفاد ، وهي في حتمية القدر وقانون العدالة سائرة إلى ما يشبه الفناء مذلّةً واستعباداً . ونفي الطواغيت هو البداية لإثبات الإيمان بالله وحده . إن بناء بيت جديد لا بد له من إزالة الأنقاض ، وكذلك الشأن لا تقوم العقيدة الصحيحة إلا بعد محو عقائد الشرك .

وإذا أردت أن تطلق الأسير من قيده ، والمستعبد من أغلاله فأنبت في ترابه بذور التوحيد ، وإذ ذاك يعلم أن لا سيادة لأحد فوقه سوى الله ، ولن يكون سجوده بعد اليوم على الأرض إلا لله الذي خلقه من ترابها ، وصاغه بشراً سويّاً .

إن كلمة (لا) تحمل هول الرعود ، وتبعث الحركة في الجلمود ، وتخلق في المتخلفين قوّة الصعود .

• إن كلمة (لا) وحدها إنما هي عدم محض ، والعدم لا ينشئ الوجود ، والنفي من غير إثبات ، إنما هو الفناء ، فالأمم يخرج زرعها ، ويزكو نبتها ، ويتم عمرانها حين تصل النفي بالإيجاب ، وتربط (لا) بـ (إلا) .

• أيها المؤمن إنك لخليق بأن تنشد مقامك ، وتتعرف فوق النجوم مكانك ، فلا تكن كالطير الحائر الذي يضل في سيره ، وينشد طعامه من صيد غيره .

لا تكن في فطرتك السامية ، وفي اختيار منزلك من الدنيا أقلّ من صغار الطير التي تختار بين فروع الأشجار مكان عشها ، ومقرّ وجودها .

إن سوائم المراعي لا تعرف أسرار أسود الأجم ، فلا تفتح مغاليق قلبك ، ولا تفض بأسرار نفسك إلا لأهلها ، ولا تشرب الراح مع غبيّ ولو كان قيصر الروم أو كسرى فارس . وخير ليوسفنا من أن يأكله الذئب من أن يشتريه بثمن بخس من يجهل قدره .

● إذا لم تتذوق معاني سيرة رسول الله ﷺ فنزّه اسمه الشريف عن لسانك وشفتيك إن لحظة من جلوة الحق وتجلي نوره ، كافية لتعيد نصيباً وافراً من المجد للرجال الأحرار المؤمنين الكاملين .

تحقيق كلمة الإخلاص :

في الصحيحين عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » ، وقال في الرابعة : « وإن رغم أنف أبي ذر » . فخرج أبو ذر يقول : وإن رغم أنف أبي ذر .

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال عند موته : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل » .

وأحاديث هذا الباب نوعان :

(أحدها) : ما فيه من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها وهذا ظاهر ، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طُهّر من ذنوبه بالنار . وحديث أبي ذر معناه : أن الزنى والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ، وليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيد .

(الثاني) : ما فيه أنه يحرم على النار : وقد حمله بعضهم على الخلود فيها ، أو على ما يخلّد فيها من أهلها ، وهي ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من الموحدين من عصاتهم بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين .

أو أن المعنى يكون : يحرم على النار التي يستحقها أهل الخلود .

وفي الصحيحين : أن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ، وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتضٍ لذلك ، لكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه ، وانتفاء موانعه ، وقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع وهذا قول الحسن البصري ووهب بن منبه وهذا أظهر .

قيل للحسن البصري رحمه الله : إن أناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة : فقال من قال لا إله إلا الله فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة .

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك .

ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتّب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، فقال الرجل : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه ، فقال النبي ﷺ : « من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل لجنة فلينظر إلى هذا » .

وقد ذهبت طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت في ابتداء

الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد ، وقبل نزول الفرائض والحدود منهم الزهري والثوري وغيرهما ..

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر ، ففي بعضها من قال لا إله إلا الله مخلصا ، وفي بعضها : مستيقنا ، وفي بعضها : مصدقا بها قلبه ولسانه ، وهذا كله من عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين .

فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله : أن لا يأله قلبه غير الله حبّاً ورجاء ، وخوفا وطمعاً ، وتوكّلاً واستعانة ، وخضوعاً وإنابة وطلبا .

وتحققه بأن محمداً رسول الله : أن لا يعبد الله بغير ماشرعه على لسان نبيه محمد ﷺ ، وهذا المعنى جاء مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » . قيل وما إخلاصها يارسول الله ؟ قال : « أن تحجزك عما حرّم الله عليك » .

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه : أن قول العبد (لا إله إلا الله) يقتضي أن لا إله غير الله ، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبةً له وإجلالاً ، ومحبةً وخوفا ، ورجاء وتوكّلا عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل .

فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة الله ، أو خوفه أو رجائه أو التوكّل عليه أو العمل لأجله كما ورد إطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثلا أن يقول : ماشاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت ، وكذلك ما يقدح في التوحيد . وتفرد الله بالنفع والضرّ كالطيرة والرّقى المكروهة ، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق على كثير من الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ، ومن أتى حائضا أو امرأة في دبرها ، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ، أو اتبع نظاما ومنهاجا غير نظام

ومنهاج الإسلام ، أو رضي أو نصر حكماً غير حكم الله ، وإن كان ذلك لا يخرجه من الملّة بالكلّية ، ولهذا قال السلف : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتّبع كما قال تعالى : ﴿ أرأيتَ من اتَّخذَ إلَههُ هواهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣/٤٥] . قال الحسن : هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه وسعى في تحصيله . وقال قتادة : هو الذي كلما هوي شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع .

وروي من حديث أبي أمامة مرفوعاً بإسنادٍ ضعيف : ما تحت ظلّ السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوىً متَّبع . وفي حديث آخر لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك رُدّت عليهم ، ويقال لهم كذبتم .

ويشهد لهذا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة (نوع من الثياب) ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » . فدلّ هذا على أن من أحبّ شيئاً وأطاعه وكان من غاية قصده ومطلوبه ، ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده . وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه . ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمّى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ ألم أعهَد إليكُم يابَني آدمَ أن لا تعبُدوا الشَّيطانَ إنَّهُ لكُم عدوٌّ مُبينٌ ﴾ [يس : ٦٠/٣٦] .

وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام قوله لأبيه : ﴿ ياأبتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إنَّ الشَّيطانَ كانَ للرَّحمنِ عَصِيّاً ﴾ [مريم : ٤٤/١٩] .

فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته ، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر : ٤٢/١٥] . فهم الذين حققوا قول لا إله إلا الله ، وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة . وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله وهم عباد الله حقاً .

أما من قال لا إله إلا الله بلسانه ولم يترجمها إلى أعمال وسلوك فهو المقصود بقوله

تعـالى : ﴿ ومن أضـلُّ ممّن اتّبـع هـواه بغير هـدى من الله ؟! ﴾ [القصص : ٥٠/٢٨] ، ﴿ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ﴾ [ص : ٢٦/٣٨] .

فياهذا كن عبداً خالصاً لله وتحرر من عبودية الهوى فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار ﴿ أأربابٌ متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ [يوسف : ٣٩/١٢] .

﴿ ذلكَ بأنَّهم اتَّبعوا ما أسخطَ اللهَ وكرهوا رضوانه فأحبطَ أعمالَهم ﴾ [محمد : ٢٨/٤٧] .

ومن لم يحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم أشدّ حرّاً .

جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين ففي الحديث : تقول النار : جُز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي . وفي مسند الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه : لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم . هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام .

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم ، قال الجنيد رحمه الله ، قالت النار : يا ربّ لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشدّ مني ؟ قال : أسلّط عليك ناري الكبرى ، قالت : وهل نار أعظم مني ؟ قال : نعم نار محبتي أسكنتها في قلوب أوليائي المؤمنين .

من صدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه ، ولم يرج إلا إياه ، ولم يخش أحداً إلا الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه . ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كلّما زلّ أن يتلافى تلك الزلّة بالتوبة الصادقة النصوح .

قال زيد بن أسلم : إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبّه أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك .

وقال الشعبي : إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب . وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية فيمن يحبه فكلما زلّ في هوّة الهوى أخذ بيده إلى النجاة ، ويسّر له التوبة . وينبهه على قبح الزلة فيفزع إلى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفّرة لما جنى .

وفي بعض الآثار يقول الله تعالى : أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أويسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاصي .

يا قوم : قلوبكم على أصل الطهارة ، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها قليلاً من دموع العين ، وإذا بها قد طهُرت .

فضائل كلمة التوحيد :

هي كلمة التقوى ، وكلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ودعوة الرسل كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢١/٢٥] ، وهي مفتاح الجنة ، وهي ثمن الجنة ، وهي نجاة من النار سمع النبي ﷺ مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله فقال : خرجت من النار . رواه مسلم .

وهي توجب المغفرة : ففي مسند الإمام أحمد عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة ، فوضع رسول الله ﷺ يده وقال : الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم » .

وهي أحسن الحسنات : قال أبو ذر : قلت يا رسول الله علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني عن النار قال : « **إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها** » قلت يا رسول الله : لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال : « هي أحسن الحسنات » .

وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب : ففي المسند أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « جدّدوا إيمانكم ، قالوا : كيف نجدّد إيماننا ؟ قال : **قولوا : لا إله إلا الله** » .

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن ، فلو وزنت بالسموات والأرض لرجحت بهن .

وهي أمان من وحشة القبر وهول الحشر كما في مسند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، ولا في نشورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله

قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ [فاطر : ٣٤/٣٥] » .

وفي حديث مرسل : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة كانت له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، واستجلب بها الغنى ، واستقرع باب الجنة » .

فيا أخي ليكن هتافك ونشيدك :

لا إلــه إلا الله	أفني بهـا عمري
لا إلــه إلا الله	أخلو بها وحدي
لا إلــه إلا الله	أدخل بها قبري
لا إلــه إلا الله	ألقى بها ربّي

لا إلـه إلا الله العظيم الحليم ، لا إلـه إلا الله رب العرش العظيم ، لا إلـه إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم ، لا إلـه إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين ..

التَّسبيح

التَّسبيح : هو التنزيه أي تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به فله سبحانه وتعالى صفات الكمال في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله .

قال الله سبحانه : ﴿ تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ [الإسراء : ٤٤/١٧] .

وقال عزّ شأنه : ﴿ وسبِّح بحمد ربِّك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النَّهار لعلَّك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠/٢٠] .

وقال سبحانه : ﴿ ألم تر أن الله يسبِّح له من في السموات والأرض والطَّير صافَّاتٍ كلٌّ قد علِم صلاته وتسبيحه ﴾ [النُّور : ٤١/٢٤] .

١ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان

على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » ، رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

٢ ـ: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » ، رواه البزار .

٣ ـ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » ، رواه مسلم والترمذي والنسائي .

٤ ـ: عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال حدثني أبي قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبّح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ، أو تحطّ عنه ألف خطيئة » ، رواه مسلم والترمذي .

٥ ـ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس » ، رواه مسلم والترمذي .

٦ ـ: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي ، فقال يا محمد : أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ، رواه الترمذي والطبراني في الصغير والأوسط .

٧ ـ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « إذا حدثتكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله : إن العبد إذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمّهن تحت جناحه ، وصعد بهن لا يمرّ بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحيّا بهنّ وجهُ الرحمن ، ثم تلا عبد الله : ﴿ إليه يصعدُ الكلمُ الطّيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ١٠/٣٥] » ، رواه الحاكم .

٨ ـ: عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن

أضحى وهي جالسة ، فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ » قالت : نعم ، قال النبي ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .

٩ ـ : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : رآني النبي ﷺ ، وأنا أحرّك شفتيّ ، فقال لي : « بأي شيء تحرّك شفتيك يا أبا أمامة ؟ » فقلت : أذكر الله يا رسول الله ، فقال : « ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، قال تقول :

« سبحان الله عدد ما خلق ، سبحان الله ملء ما خلق ، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء ، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء ، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه ، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه ، سبحان الله عدد كل شيء ، سبحان الله ملء كل شيء ، الحمد لله عدد ما خلق ، والحمد لله ملء ما خلق ، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء ، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء ، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه ، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه ، والحمد لله عدد كل شيء ، والحمد لله ملء كل شيء » ، رواه أحمد وابن أبي الدنيا واللفظ له ، والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه كما في الترغيب والترهيب للمنذري .

التَّحَميد

التَّحميد هو قول الحمد لله . **والحمد لغةً** : الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم سواء كان في مقابلة نعمة أم لا .

ومعنى الثناء : الإتيان بما يدل على التعظيم .

واصطلاحاً : الحمد هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره ، سواء كان ذلك قولاً باللسان ، أو اعتقاداً بالجنان ، أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء . وربّنا سبحانه وتعالى هو المستحق للمحامد كلها حيث أبرزنا من العدم إلى الوجود ، وجعلنا من بني آدم المفضلين على كثير ممن خلق ، ووهبنا العقل لنميِّز به بين الحق

والباطل ، والهدى والضلال ، وجعلنا من المسلمين فنعمه ظاهرة وباطنة وفي كل نفس ﴿ وإن تعدُّوا نعمةَ الله لا تُحصوها ﴾ [ابراهيم : ٣٤/١٤] ، فهي هطالة سحاء لا تغيض .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أوّل من يُدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله عز وجل في السّراء والضّراء » ، رواه ابن أبي الدنيا والبزار والطبراني .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبدٍ من نعمة فقال : الحمد لله ، إلا أدّى شكرها ، فإن قالها ثانياً جدّد الله له ثوابها ، فإن قالها الثالثة : غفر الله له ذنوبه » ، رواه الحاكم .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : ياربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، فعضّلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : ياربنا إن عبداً قد قال مقالةً لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله وهو أعلم بما قاله عبده : ماذا قال عبدي ؟ قال : ياربّ إنه قد قال : ياربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها .

وروى البخاري في الضعفاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً : عن رسول الله ﷺ قال : « من قال الحمد لله ربّ العالمين حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه على كل حال حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ـ ثلاث مرات ـ فتقول الحفظة : ربّنا لا نحسن كنه ما قدّسك عبدك هذا وحمدك وما ندري كيف نكتبه ؟ فيوحي الله إليهم أن اكتبوه كما قال عبدي » .

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته ، والحمد لله الذي ذلّ كل شيء لعزّته ، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته ، فقالها يطلب بها ما عند الله كتب الله له بها ألف حسنة ، ورفع له بها يوم القيامة ألف درجة ، ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ نزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إذا سرّك أن تعبد الله ليلةً حقّ عبادته ، أو يوماً فقل : اللهم لك الحمد حمداً

كثيراً خالداً مع خلودك ، ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون علمك ، ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون مشيئتك ، ولك الحمد حمداً لا جزاء لقائله إلا رضاك عنه .

وروى الترمذي وقال حديث حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » .

فنحمده سبحانه على ما أنعم وألهم ، ونحمده سبحانه على كل حال ، ونعوذ به سبحانه من حال أهل النار ، فيا أخي :

إذا استيقظت من نومك فقل : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور .

وإذا لبست ثوباً جديداً فقل : الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي .

وإذا أكلت طعاماً فقل : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين .

وإذا خرجت من الخلاء فقل : الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ، الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيَّ قوّته ، ودفع عني أذاه .

وإذا أخذت مضجعك لتنام فقل : الحمد لله الذي كفاني وآواني ، وأطعمني وسقاني والذي منَّ عليَّ فأفضل ، والذي أعطاني فأجزل ، الحمد لله على كل حال : اللهم ربَّ كل شيء ومليكه وإله كل شيء ، أعوذ بك من النار .

وإذا عطست فقل : الحمد لله ربِّ العالمين .

وإذا رأيت مبتلىً فقل : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه .

وإذا نظرت في المرآة فقل : الحمد لله ، اللهم كما حسّنت خلقي فحسّن خُلقي ، الحمد لله الذي سوّى خلقي فعدّله ، وكرّم صورة وجهي فحسّنها وجعلني من المسلمين .

وإذا رأيت ما تحب فقل : الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات .

وإذا رأيت ما تكره فقل : الحمد لله على كل حال .

وإذا رأيت نفسك موفقّاً للخير وداعياً إليه فقل : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ .

وإذا تخلصت من ظالم أو ما يسوؤك فقل : ﴿ الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظّالمين ﴾ .

وإذا تخلّصت من همٍّ أو غمٍّ فقل : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربّنا لغفور شكور ﴾ .

وإذا انتصرت على عدوّك فقل : ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ﴾ .

واختم دعاءك بالحمد لله ربّ العالمين كما قال عز وجل : ﴿ وآخرُ دعواهم أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ﴾ .

وإذا حلفت لتحمدنّ ربّك بمجامع المحامد فقل : الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، أحمدك يا ربّ بجميع محامدك ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمك ما علمت منها وما لم أعلم وعلى كل حال .

☆ ☆ ☆

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « **قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة** » .

وروى الطبراني في الأوسط والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواءً من تسعة وتسعين داءً أيسرها الهمّ** » .

وروى الطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول : **لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

الذِّكْرُ خَلْفَ الصَّلَوات الْمَكْتوبَة

روى النسائي والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » .

وروى الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمّة الله إلى الصلاة الأخرى » .

وروى أبو داود والنسائي عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يوماً ، ثم قال : « يا معاذ ، والله إني لأحبّك » ، فقال له معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك ، قال : « أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال في تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وروى البزار عن أبي الزهراء عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال دبر الصلاة : سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله قام مغفوراً له » .

وروى الطبراني عن عبد الله بن أرقم عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قال دُبر كل صلاة : سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين » فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر ، وفي لفظٍ : بالمكيال ..

☆ ☆ ☆

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلّى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » . رواه الترمذي وغيره ، وقال الترمذي حديث حسن .

الصَّلاةُ على سَيِّدنا رَسُول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلُّون على النَّبيّ يا أيُّها الَّذين آمنُوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٥٦] .

ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآية الشريفة بحرف (إن) التي هي للتوكيد ، ثم أتى بلفظ الجلالة (الله) الذي هو الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات ، لأنك إذا قلت (الله) فقد حققت جميع أسمائه وصفاته . ثم أتى بصيغة المضارع الدالة على الدوام والاستمرار (يصلّون) . ثم أمر عباده المؤمنين خاصة بأن يصلّوا على النبي ويسلّموا تسليماً .

كل ذلك لينبّه على أنه سبحانه وجميع ملائكته يصلّون على نبيّنا دواماً واستمراراً بلا حدّ ولا قيد . وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى ، وأنّى لهم بذلك ، بل لو قيل للعاقل أيّما أحب إليك أن تكون جميع أعمال الخلائق في صحيفتك ، أو صلاة الله تعالى عليك ؟ لما اختار غير الصلاة من الله ، فما ظنّك فيمن يصلّي عليه ربّنا سبحانه وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار . وهذا التشريف الذي شرّف الله به محمداً أتمّ وأجمع من تشريف آدم بأمر الملائكة له بالسجود ، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف .

وقد أخبر الله عن نفسه بالصلاة على النبي ﷺ ثم عن الملائكة بالصلاة عليه . فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم بذلك .

☆ ☆ ☆

قال الفاكهاني في (مسالك الحنفا) : « قدّم صلاته تعالى عليه ترغيباً للمؤمنين في ذلك وترهيباً من تركها فكأنه سبحانه قال : إن الله بجلاله وعظمته وعلوّ شأنه ، وارتفاعه وغناه عن خلقه يصلي عليه ، وأن الملائكة مع اشتغالهم بذكر الله ومكانتهم من الله يصلون عليه ، فأنتم أحق بذلك ، إذ أنتم محتاجون إليه صلوات الله عليه في شفاعته لكم ، ولما نالكم ببركة رسالته ويُمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة .

☆ ☆ ☆

وقال ابن كثير في تفسيره : المقصود من هذه الآية : أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلّي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَيْن العلوي والسفلي معاً .

☆ ☆ ☆

وقال القاضي عياض : الإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها .

وقال الألوسي في تفسيره : إنه لم تؤمر أمة من الأمم بالصلاة على نبيها سوى هذه الأمة المحمدية فهي من خصوصياتها .

معنى الصلاة على النبيّ :

أصل هذه اللفظة يرجع إلى **معنيين :**

أحدهما : الدعاء والتبريك .

الثاني : العبادة .

والصلاة لغةً : الدعاء ، والدعاء نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، هذه صلاة الآدمي .

وأما صلاة الله سبحانه على عبده **فنوعان :**

عامة : وهي صلاته على عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ هوَ الَذي يَصلّي عليكُم وملائكتهُ ليُخرِجَكُم من الظُلُماتِ إلى النُورِ ﴾ [الأحزاب : ٤٣/٣٣] .

وخاصة : وهي صلاته على أنبيائه ورسله خصوصاً سيدنا محمد ﷺ .

والمراد منها هنا : ثناء عليه عند الملائكة ، وإظهار لفضله وشرفه ، وإرادة تكريمه وتقريبه ، فهي تتضمن الخبر والطلب . وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة **لوجهين :**

أحدهما : أنه يتضمن ثناء المصلي عليه ، والإشادة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى .

والوجه الثاني : أن ذلك سمّي منّا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلّي عليه ، فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه ، وصلاتنا نحن عليه ، سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به .

فالصلاة من العبد على النبي ثناء عليه ، وإرادة من الله أن يعليَ ذكره ، ويزيده تعظيماً وتشريفاً .

قال الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحه : قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء .

☆ ☆ ☆

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله كما في (الدّر المنضود) لابن حجر : « صلاة الله تعالى على نبيه وعلى المصلّين عليه معناها : إفاضة أنواع الكرامات ، ولطائف النعم عليهم . وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضتها عليه .

☆ ☆ ☆

وعن ابن عطاء أنه قال : الصلاة من الله تعالى وصلة ، ومن الملائكة رفعة ، ومن الأمة متابعة ومحبة .

وفي تفسير الفخر الرازي : إن قيل إذا صلى الله وملائكته عليه ﷺ فأي حاجة إلى صلاتنا ؟ نقول : الصلاة عليه ليس لحاجة إليها ، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه ، وإنما هو لإظهار تعظيمه ، كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه سبحانه ولا حاجة إليه البتة . وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ، ولهذا قال ﷺ : « من صلى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً » .

فضل الصلاة على رسول الله ﷺ :

١ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشراً » . رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه .

٢ ـ : عن أبي بُردة بن نيار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى عليّ من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه بها عشر سيئات » . رواه النسائي والطبراني والبزار .

٣ ـ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا عليّ ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة » . رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

٤ ـ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يسمع النداء اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة » ، رواه البخاري .

٥ ـ : عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيّب النفس يُرى في وجهه البشر ، قالوا : يا رسول الله أصبحت اليوم طيّب النفس يُرى في وجهك البشر ؟ قال : « أجل ، أتاني آتٍ من ربي عز وجل ، فقال : من صلّى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردّ عليه مثلها » ، رواه أحمد والنسائي .

٦ ـ : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » ، رواه النسائي وابن حبان في صحيحه .

٧ ـ : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أَوْلى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » ، رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه . قوله : أَوْلى الناس بي : أحق الناس بشفاعتي من كروب يوم القيامة .

٨ ـ : عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربُع الليل قام فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء

الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه ، قال أبي بن كعب : فقلت يارسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ماشئت ، قلت : الربع ؟ قال : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : فالنصف ؟ قال : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : فالثلثين ؟ قال : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ، قال : إذاً تكفى همك ويغفر لك ذنبك » ، رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حديث حسن صحيح . وفي رواية لأحمد عنه قال : « قال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك » ، وإسناد هذه جيد .

٩ ـ : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » ، رواه أبو حفص بن شاهين .

١٠ ـ : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه : اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك وصلّ على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة ، وقال : لا يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة » ، رواه ابن حبان في صحيحه . زكاة : طهرة من الذنوب . وفي رواية : « صلّوا عليّ فإن صلاتكم عليّ زكاة » .

١١ ـ : عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ ، قالوا : يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك ، وقد أرمت ـ يعني بليت ـ ؟ فقال : إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في صحيحه .

١٢ ـ : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح » ، رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

١٣ ـ : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صليتم عليّ

فأحسنوا الصلاة ، فإنكم لا تدرون لعلّ ذلك يُعرض عليّ قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين ، وخاتم النبيين عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون » ، رواه الديلمي في مسند الفردوس .

١٤ ـ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الزهراء واليوم الأغرّ فإن صلاتكم تُعرض عليّ » ، رواه الطبراني .

١٥ ـ : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « زيّنوا مجالسكم بالصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ نور لكم يوم القيامة » ، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس .

١٦ ـ : عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ » ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

أقوال بعض العلماء في الصلاة على رسول الله ﷺ :

● **قال العارف الصاوي في حاشيته على الجلالين** : اعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النّبي ﷺ وذكر الخلاف في تعيين الواجب ، ثم قال : وبالجملة فالصلاة على النّبي ﷺ توصل إلى الله تعالى من غير شيخ ، لأن الشيخ فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويُصلّي الله على المصلّي .

● **وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى** : من كان يكثر من ذكر الله تعالى لا يقطع عنه لطفه أبداً ولا يكله إلى غيره ، فمن فاته الصيام والقيام (النفل) فليكثر من ذكر الله تعالى ومن الصلاة على النبي ﷺ ، فقد قال ﷺ : « من صلّى عليّ مرة واحدة صلّى الله عليه عشراً » ، فلو فعل الإنسان جميع الطاعات مدة عمره ثم صلّى على النّبي ﷺ مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله في جميع عمره من الطاعات لأنك تصلي عليه حسب وسعك ، والله يصلي عليك حسب ربوبيته ، عطية القوم على قدر أقدارهم هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلّى عليك عشراً بكل صلاة ، فما أحسن عيش من أطاع الله بذكره وبالصلاة على رسوله ﷺ .

● **وقال أيضاً رحمه الله في كتاب (مفتاح الفلاح)** : « ولعلّ سرّ مشروعية الصلاة

على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن روح الإنسان ضعيفة لا تستعد لقبول الأنوار الإلهية ، فإذا استحكمت العلاقة بين روحه وأرواح الأنبياء بالصلاة فالأنوار الفائضة من عالم الغيب على أرواح الأنبياء تنعكس على أرواح المصلين عليهم » .

● **وقال الإمام محمد بن عمر الغمري الواسطي في كتاب (منح المنة) :** « اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً ، وذلك عَوْن له على سلوكه في الطريق ، وطلب القرب من ربّ الأرباب دون غيرها من الأذكار ، فإن ذلك ، فتح لباب الهداية إلى الله تعالى ، فإنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى ، والدليل لنا عليه ، والمعرّف لنا به عز وجل ، والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه ، فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ، ووسيلة إلى منازل القرب ، فهو ﷺ الواسطة بين الخلق وبين ربِّهم تعالى ، واعلم أن مدد جميع الخلق من الأنبياء والأولياء منه ﷺ ، وأن جميع أعمالهم تعرض عليه ﷺ ، وله ﷺ في كل أجر ، فإنه السبب في ذلك . فالصلاة عليه ﷺ من أعظم العون للتقرب إلى الله ورسوله ، وبها يكتسب النور ولا تزول الظلمة إلا بالنور ، والإكثار من الصلاة عليه ﷺ يثمر تمكن محبته وأن لها في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقاً سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد ، فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ حتى يجني ثمرتها وتلوح له بركتها ، وما هي في جميع منازل هذا الطريق إلا مصباح يهتدى به ، ونور يستضاء به ، فمن عمر قلبه بالصلاة عليه ﷺ اطّلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد .

● **وقال الشيخ محمد عثمان الميرغني رحمه الله تعالى :** « اعلم أنه لابد من شيخ عارف ، فإذا أدركته فذلك المطلوب ، فعند ذلك اصرف أوقاتك كلها في الذكر ومجاهدة النفس والاشتغال بالله وترك ما سواه لتأنس به . واعلم أن الخير في العكوف على جناب الحبيب ، وهذا القصد يا لبيب ، وذلك إما تعلّقاً صوريّاً أو معنوياً ، فالصّوري على نوعين :

الأول : باتباع جميع أوامره ﷺ واجتناب نواهيه وذلك بمواظبة سننه وآثاره ، والعكوف على ما ورد عنه لتحظى بأسراره وارتكاب العزائم لتحظى بالغنائم .

الثاني : الفناء في محبته وشدة الشوق والغيبة في مودته ، وكثرة تذكره والصلاة عليه ومداومة مطالعة المدائح المحركة للشوق إليه » .

● **قال بعض الشيوخ** : من لم يجد شيخاً مربياً فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ وإنها لكنز لما فيها من سرّ الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ، ففي الصلاة على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله .

● **وقال عبد الرحمن العيدروس رحمه الله تعالى** : « يعدم المربون في آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ » .

● **وقال أبو العباس التيجاني** : « من لم يجد حيلة في العثور على الشيخ الكامل استغرق ما يطيقه من الأوقات في كثرة الصلاة على النّبي ﷺ بالتأدب والحضور واستحضار القلب أنه جالس بين يديه ﷺ » .

● **وعن أبي المواهب الشاذلي رحمه الله تعالى** : « لله عباد يتولّى تربيتهم النّبي ﷺ بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه ﷺ » .

● **وقال السيد محمود الكردي في كتاب (الباقيات الصالحات)** : « واتفقوا على أن كثرة الصلاة والسلام على النبي ﷺ من علامات حسن الخاتمة ، ومن ثمراتها أنها تقوم مقام الشيخ المربّي عند عدم وجوده » .

☆ ☆ ☆

فالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ من أعظم القربات شأناً ، وأكثرها ثواباً ، وأرفعها مقاماً ، وأن الله يصلّي على من صلّى عليه ﷺ مرة يصلّي عليه عشر مرات كما مرّ في الأحاديث ، وصلاة الله سبحانه على عبده هي رحمته إياه وإخراجه من ظلمات طبعه وحيرته إلى نور الحقيقة ﴿ هوَ الَّذي يُصلّي عليكم ليُخرجَكُم من الظُّلُماتِ إلى النُّور ﴾ فأكرم بها من عبادة تنير القلب وتطهر الروح وتقوي الصلة برسول الله ﷺ .

ومن علامات صلاة الله تعالى على عبده أن يزيّنه بأنوار الإيمان ، ويحلّيه بحلية التوفيق ، ويتوّجه بتاج الصدق ، ويسقط عن نفسه الأهواء والإرادات الباطلة ، ويبدله

بها الرضا بالمقدور . وسبب مضاعفة أجر الصلاة عليه ﷺ **ما ذكره الغزالي رحمه الله في (إحياء علوم الدين)** : « وإنما تضاعف الصلاة عليه ﷺ لأن الصلاة عليه ليست حسنة واحدة بل حسنات ، إذ فيها تجديد الإيمان بالله أولا ، ثم بالرسول ثانيا ، ثم بتعظيمه ثالثا ، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعا ، ثم تجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع الكرامات خامسا ، ثم بذكر آله سادسا ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، ثم بتعظيم آله بنسبتهم إليه سابعاً ، ثم بإظهار المودة لهم ثامناً ، **ولم يسأل ﷺ من أمته إلا المودّة في القربى** ، ثم الابتهال والتضرع في الدعاء تاسعا ، والدعاء مخ العبادة ، ثم بالاعتراف عاشرا بأن الأمر كله لله وأن النبي ﷺ وإن جلّ قدره فهو محتاج إلى رحمة ربّه عز وجل ، فهذه عشر حسنات سوى ما ورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها ، وأن السيئة بمثلها فقط » .

والصلاة على رسول الله ﷺ تكسب المؤمن شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة وأنه يكون من أقرب الناس إليه .

وأنها وسيلة لرّد رسول الله ﷺ السلام على من صلّى وسلّم عليه .

وأنها سبب لغفران الذنوب وكشف الكروب وإذهاب الهموم والغموم فهي علاج نفسي عظيم يُخلص الإنسان من كثير من الأمراض النفسية والأوهام الفكرية وهموم الحياة ومشاكلها .

وأنها زكاة للنفس وطهرة للقلب والروح **يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (جلاء الأفهام)** في تعليقه على حديث « صلّوا عليَّ فإن صلاتكم عليّ زكاة لكم » قال : في هذا الحديث الإخبار بأن الصلاة زكاة للمصلي عليه ، والزكاة تتضمن النماء والبركة والطهارة والحديث « **صلّوا عليّ فإن الصلاة عليّ كفارة لكم** » **قيل فيه** : إنها كفارة **وهي تتضمن محو الذنب** قال : فتضمن الحديثان : إن الصلاة عليه ﷺ تحصل طهارة النفس من رذائلها ، ويثبت بها النماء والزيادة في كمالاتها وفضائلها . وإلى هذين الأمرين يرجع كمال النفس ، فعُلم أنه لا كمال إلا بالصلاة على النبي ﷺ التي هي من لوازم محبته ومتابعته وتقديمه على كل من سواه من المخلوقين » .

وعلى المؤمن أن يحسن الصلاة عليه ﷺ وذلك بحضور القلب والشعور بأنه ﷺ أمامه يسمع صلاته لأن صلاتنا معروضة عليه ﷺ .

وعلى المؤمن أن يزيّن مجالسه بالصلاة عليه فإنها مكفرة لما يحدث فيها من اللغط وليعلم أنها تقوم مقام المرشد إذا صدقت النية وارتبط القلب به ﷺ ارتباطاً وثيقاً فحينئذٍ ترتبط الروح بروحه وحدّث بعد ذلك عن عطاء الله سبحانه وفضله ولا حرج .

☆ ☆ ☆

قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى : « وينبغي أن يحافظ على كتب الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبتهم ، ومن أغفل ذلك حُرم حظاً عظيماً ، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يثبته لا كلام يرويه ، فلذلك لا يتقيد بالرواية ولا يقتصر فيه على ما في الأصل ، وهكذا الأمر في الثناء على الله تعالى عند ذكر اسمه نحو : عز وجل ، وتبارك وتعالى . ثم قال : وليجتنب في إثباتها نقصين :

أحدهما : أن يكتبها منقوصة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك كما يفعله بعض الكسالى والجهلة والعوام فيكتبون صورة (صلعم) بدلاً عن ﷺ .

والثاني : أن يكتبها منقوصة معنىً بأن لا يكتب فيها (وسلّم) .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه (الدّر المنضود) : « أفضل كيفيات الصلاة على النّبي ﷺ أن يجمع جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ وهو :

اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك النّبي الأميّ وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيته ، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

وبارك على محمد عبدك ورسولك النّبي الأُميّ وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . وكما يليق بعظيم شرفه وكماله ورضاك عنه ، وما تحب وترضى له دائماً أبداً عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك ، ورضا نفسك ، وزنة عرشك ، أفضل صلاة وأكملها وأتمّها كلّما ذكرك وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلّم تسليماً كذلك وعلينا معهم » .

وإليك ياأخي بعض صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ لتثابر على قراءتها ،

وتحظى ببركاتها ، ولكن بشرط حضور القلب :

• اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

• اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة تحيي بها روحي ، وتوفّر بها فتوحي ، وترفع بها حجبي ، وتنوّر بها قلبي ، وتؤكد بها حبّي ، وتحقق بها قربي ، وتزكّي بها لبّي ، وتفرج بها كربي ، وتكشف بها غمّي ، وتغفر بها ذنبي ، وتستر بها عيبي ، وتؤهلني لرؤيته ومشاهدته ، وتسعدني بمكالمته ومشافهته ، وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته والحمد لله رب العالمين .

• ياكامل الذات ، ياجميل الصفات ، يامنتهى الغايات ، يانور الحق ، ياسراج العوالم ، يامحمد ، ياأحمد ، ياأبا القاسم ، جلّ كمالك أن يعبّر عنه لسان ، وعزّ جمالك أن يكون مدركاً لإنسان ، وتعاظم جلالك أن يخطر في جنان صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يارسول الله يامجلى الكمالات الإلهية الأعظم .

• اللهم صلِّ على سيدنا محمد المصور في القلوب جماله . اللهم صلِّ على سيدنا محمد الثابت في العقول كماله . اللهم صلِّ على سيدنا محمد الماثل في كل حين جلاله . اللهم صلِّ على سيدنا محمد القائم في كل عصرٍ مثاله .

• اللهم صلِّ أفضل صلاة وأكملها وأدومها وأشملها على سيدنا محمد عبدك الذي خصصته بالسيادة العامة فهو سيد العالمين على الإطلاق ، ورسولك الذي بعثته بأحسن الشمائل وأوضح الدلائل ليتم مكارم الأخلاق ، صلاة تناسب مابينك وبينه من القرب الذي ما فاز به أحد . وتشاكل مالديكما من الحب الذي انفرد به في الأزل والأبد ، صلاة لا يعدّها ، ولا يحدّها قلم ولا لسان ، ولا يصفها ولا يعرفها ملك ولا إنسان ، صلاة تسود كافّة الصلوات ، كسيادته على كافّة المخلوقات صلاة يشملني نورها من جميع جهاتي في جميع أوقاتي ، ويلازم جميع ذراتي في حياتي وبعد مماتي ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وسلم تسليماً كثيراً .

• اللهم صلِّ على سيّدنا محمد بقدر حبّك فيه ، وزدني يا مولاي حبّاً فيه ، بجاهه عندك فرّج عني ما أنا فيه ، إلهي لا أسألك ردّ القضاء بل أسألك اللطف فيه وعلى آله وصحبه وسلم .

• اللهم صلِّ على سيّدنا محمد صلاة توصلني إليه ، وتجمعني عليه ، وتقربني لحضرته ، وتمتعني برؤيته ، فأشاهده عياناً ، وأراه يقظة ومناماً ، وتقع عين قلبي على عين ذاته ، وأحظى بعطفه وأفوز بمناجاته ، واهدني بنورك نور اليقين ، وأيدني بروحٍ منك يا أرحم الراحمين ، وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

• اللهم صلِّ على سيّدنا محمد صلاة تقوي بها روحي في محبته ، وتُطلق بها لساني فيلهج بمناجاة حضرته ، اللهم اشفني برضاه إذا مرضت ، واسقني بذكراه إذا ظمئت ، وأزل حجاب الغفلة عن قلبي به إذا حجبت ، وصل روحي بحضرته وهذّب نفسي بشريعته ، وأشرق على قلبي أنوار محبته ، وأسعدني بلقائه وارزقني برؤيته ، وأقلني به يا مولاي إذا زلّت القدم ، واهدني بهديه حتى أحيا من العدم .

• اللهم صلِّ على سيّدنا محمد صلاة يرتاح لها الْجَنان ، ويطمئن بها القلب ، ويزداد بها الإيمان ، صلاة تقودنا لامتثال أمرك ، وترشدنا لحمدك وشكرك ، وتلهمنا تسبيحك وذكرك ، وتمنحنا رضاك وعفوك ، صلاة ندخل بها حماك ، ونُدرك من أجلها فضلك وهداك .

• اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة تمنحنا بها قدسية في النفس وصحة في الأبدان ، ونوراً في البصر ، ورقّة في الوجدان ، وقوة في السمع ، وضياءً تكتحل به العينان ، وطهارة في القلب ، وعفّة في اللسان ، وصلِّ على مولانا محمد نور الإيمان وفيض الإحسان صلاة دائمة مدى الدهور والعصور والأزمان .

• اللهم صلِّ على سيّدنا محمد صلاة تتعشقها الأرواح ، وتبعث في النفوس البشائر والأفراح وعلى آله وصحبه .

• الصلاة والسلام عليك يا نسيم الحياة يا شمس الأكوان ، يا رحمة الله في صوْرة إنسان ، ياسماء الغيوب يا يقظة الوجدان ، ياطهارة القلوب ياجزاء الإحسان ، يا عقل

الكون ، ياضمير الزمان ، يارقة الشعور ياوحي البيان ، ياحاسّة الخير يا فهمَ القرآن ، ياجنَّة الرّوح يا خُضر الرضوان .

الصلاة والسلام عليك يامن لا تُدرك العقول عظمتك إحاطة وتقديراً ، يامن ملأت فضاء الوجود إشراقاً وتنويراً ، ياقطر الندى على شجرة الحياة التي طهّر الله بها القلوب تطهيراً .

الصلاة والسلام عليك يامن أنت للشمس بهاء ونور ، وللكواكب روعةٌ وظهور ، وللحياة بهجةٌ وسرورة ، وللماء ريّ وطهور .

الصلاة والسلام عليك ياشعاع نور اليقين ، ياعين بصائر العارفين ، ياطهارة سرائر الموحّدين ، ياتبصرة المستبصرين ، يافرحة المكروبين ، ياسلوة المحزونين .

الصلاة والسلام عليك يانور الشهود ، ياسعد السعود ، ياآية الدهر ، يامعجزة الخلود ، ياعباقة الزهر يابسمة الوجود .

الصلاة والسلام عليك ياليلة القدر ، يانور البدر ، يامطلع الفجر ، ياأريج الورد ، ياعطر الزهر ، أنت السرور واليُسر ، والفخر والذخر ، والعفاف والطهر ، والفتح والنصر ، والحمد والشكر .

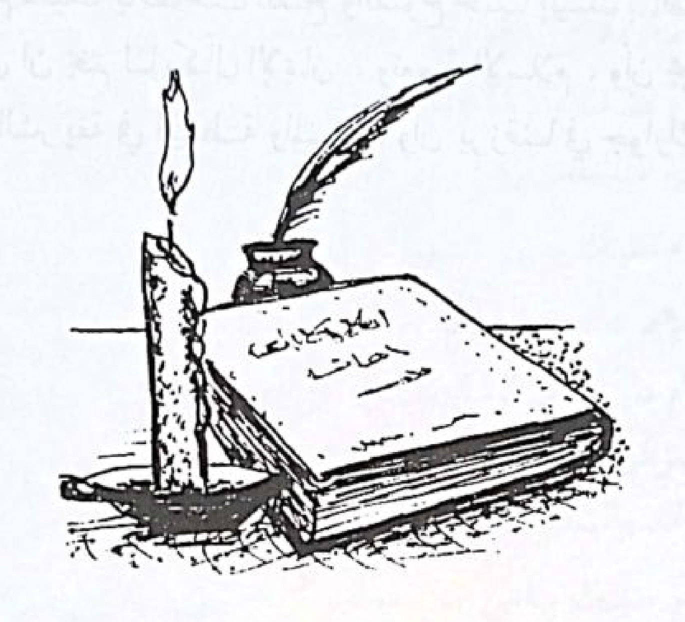
الصلاة والسلام عليك يامن أنت للعالمين رحمة وشفاء ، وللمسلمين عز ورجاء ، هانحن أولاء خدّامك الأوفياء ، المتوسلون بجنابك ، الموقنون بإمدادك ، المتحققون من بركاتك ، الواقفون على أعتابك طالبين كريم رعايتك ، وعظيم شفاعتك ، ذرة من مددك تكفيني ، ونظرة من كرمك ترضيني ، فما ناداك صادق إلاّ لبّيت النداء ، وما استغاث بك مؤمن إلى الله إلاّ زال عنه الشقاء ، نعم ، يراك البصير بعين قلبه ويأتيه الفرج ، وتشرق روحك الشريفة لأحبابك عندما يشتد الحرج .

سيدي رسول الله وحقّ حقك ، ومقام قربك ، وإشراق وجهك . حرام على المنكرين مشاهدتك ، وبعيد على الواهمين مخاطبتك ، وهيهات للمتشككين الوصول إلى مقام حضرتك لأن قدرك لا يعرف بالوهم والظن والخيال ، ومقامك لا يُدرك بالكلام والتخمين والجدال ، فمن ذا الذي صلّى عليك ولم تُشرق روحك عليه ، ومن الذي استشفع

بك ولم يصل نصر الله إليه ، نحن في حماك يارسول الله ، نحن في رحابك يا حبيب الله ، نحن في جاهك يا صفيّ الله ، نحن في حرمك يا أعزّ خلق الله ، فما من أحد إلا و يعلم أن الله هو المعطي وأنت يارسول الله مصدر العطاء ، والله نور السموات والأرض وأنت مرآة هذا الضياء ، لأنك النور المبين الذي ملأ إشراقه العالمين ، وأنت كتاب الله ، وميثاق النبيين ، وأنت نظر الحق في قلوب المؤمنين .

الصلاة والسلام عليك يا إمام الهدى ، يا بحر الندى ، يا غوث الورى .

الصلاة والسلام عليك يا صاحب الفتح والفتوح جئنا إليك بالقلب والروح ، أنت وسيلتنا إلى الله تعالى أن يختم لنا بكمال الإيمان ، ونعمة الإسلام ، وأن يجمعنا بك في أعلى مقام و يرينا ذاتك الشريفة في اليقظة والمنام ، وأن يرزقنا في جوارك يا إمام المرسلين حسن الختام .



خاتمة

في فوائد نافعة

● أخرج ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن فديك قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كربني أمر إلا تمثَّل لي جبريل فقال يا محمد : قل توكّلت على الحيّ الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً » . ورواه الحاكم والطبراني عن أبي هريرة بلفظه .

● أخرج الشيخان في صحيحها عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العرش الكريم » . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم في باب دعاء الكرب : فيه حديث ابن عباس وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به ، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة . قال الطبري : كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب . فإن قيل هذا ذكر وليس فيه دعاء ، فجوابه من وجهين مشهورين :

أحدهما : أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء .

والثاني : جواب سفيان بن عيينة قال : أما علمت قوله تعالى : « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

وقال الشاعر :

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

● عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبي الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » .

وقال الإمام جعفر بن محمد رضي الله عنهما : عجبت لمن خاف سوءاً كيف يذهب عنه أن يقول : حسبي الله ونعم الوكيل . والله تعالى يقول : ﴿ فانقلبوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمسَسْهُم سوء ﴾ .

وعجبت لمن مُكر به كيف يذهبُ عنه أن يقول : « وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد » والله تعالى يقول : ﴿ فوقاهُ اللهُ سيّئات ما مكروا ﴾ .

وعجبتُ لمن ابتلي بالغمّ كيف يذهب عنه أن يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » والله تعالى يقول : ﴿ فاستَجبنا لهُ ونَجّيناهُ من الغمّ وكذلكَ نُنجي المؤمنين ﴾ .

● **دعاء الفرج** : اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسّرّ في علمك ، وانقادَ كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لي من كل هم أصبحت أو أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً . اللهم إن عفوك عن ذنوبي ، وتجاوزَك عن خطيئتي ، وسَتْرَك على قبيح عملي ، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصّرت عنه . أدعوك آمناً ، وأسألكَ مستأنساً ، فإنك المحسن إليّ ، وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك ، تتودّد إليّ بنعمك ، وأتبغّض إليك بالمعاصي ، ولكن الثقة بك ، حملتني على الجراءة عليك ، فَجُد بفضلك وإحسانك عليّ إنك أنت التواب الرحيم .

● يا ودود ، يا ودود ، يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعّالاً لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني .

● قال أبو طالب المكي في قوت القلوب روينا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم طاف سبعاً بالبيت وهو يومئذٍ ليس بمبنيّ ربوة حمراء ثم قام فصلّى ركعتين ثم قال : اللهم إنك تعلم سرّي وعلانيتي ، فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ، والرضى بما قسمت لي يا ذا الجلال والإكرام » ، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذرّيتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر

من بين عينيه ، واتّجرت له من وراء كل تاجر ، وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها .

● عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ : من قال ثلاث مرات صباحاً ومساءً « بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم تصبه فجأة بلاء » ، رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان .

قال السيد مصطفى البكري :

كلّ من في الوجود يرمي بسهمه	غنٍ لي باسم من أحبّ وخَلّي
إنه لا يضرّ شيء مع اسمه	لا أبالي وإن أصاب فؤادي

● يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوي يا عزيز أسألك تألهاً إليك ، واستغراقاً فيك ، وفناءً بك عمّن سواك ، ولطفاً شاملاً جلياً وخفياً ، ورزقاً طيباً هنياً ومريّاً ، وقوة في الإيمان واليقين ، وصلابة في الحق والدين ، وعزّاً بك يدوم ويتخلّد ، وشرفاً يبقى ويتأبد ، ولا يخالطه تكبر ولا عتوّ ، ولا إرادة فساد في الأرض ولا علوّ ، إنك سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

● روى الدارمي ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار لم يقربه شيطان حتى يمسي ، وإن قرأها حين يمسي لم يقربه شيطان حتى يصبح ، ولا يرى شيئاً يكرهه في أهله وماله . وروى الطبراني في الكبير والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشر آيات ، أربعاً من أول البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح » .

● روى أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدّى شكر ليلته » .

● روى أحمد والطبراني وأبو يعلى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خطبنا

رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « يا أيها الناس : اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » ، فقال له من شاء الله أن يقول : « وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ » قال : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » .

● روى النسائي والطبراني والحاكم وغيرهم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له » .

● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً وجبت له الجنة » ، رواه أبو داود .

● وعن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « ما من عبدٍ يقول عند ردّ الله تعالى روحَه عليه (عند الاستيقاظ من النوم) : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، إلا غفر الله تعالى له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر » . رواه ابن السني بإسناد صحيح كما في الأذكار للنووي .

● عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يُقال له : كفيت ووقيت وهُديت ، وتنحّى عنه الشيطان » ، رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، قال الترمذي حديث حسن ، زاد أبو داود في روايته فيقول : يعني الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي ؟

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، أنه كان إذا دخل المسجد يقول : « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، قال : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حُفظ منّي سائر اليوم » ، حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد .

● وفي سنن أبي داود عن بعض بنات النبي ﷺ ورضي الله عنهن ، أن النبي ﷺ كان يعلمها فيقول : « قولي حين تصبحين : سبحان الله و بحمده لا قوة إلا بالله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فإنه من قالهن حين يصبح حُفظ حتى يمسي ، ومن قالهن حين يمسي حُفظ حتى يصبح » .

● وروى ابن السنّي أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا أنه يفزع في منامه ، فقال رسول الله ﷺ : « إذا أويت إلى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه ومن شرّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » فقالها فذهب عنه ، وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه فعلّقه عليه .

● عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي وخواتيم البقرة عند الكرب ، أغاثه الله عز وجل » ، رواه ابن السني .

وفي كتاب ابن السني (عمل اليوم والليلة) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصابه همّ أو حَزَنٌ فليدع بهذه الكلمات ، يقول : اللهم أنا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمُك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ؛ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم نور صدري ، وربيع قلبي ، وجَلاء حُزني ، وذهاب همّي » فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، إن المغبونَ لمنْ غُبنَ في هؤلاء الكلمات ، فقال : « أجل فقولهن وعلموهن ، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حُزنه ، وأطال فرحه » .

● عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعليّ : « يا علي ، ألا أعلّمك كلماتٍ ، إذا وقعت في ورطةٍ قلتَها ؟ قلت : بلى ، جعلني الله فداءك ، قال : إذا وقعت في ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلّي العظيم ، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء » . رواه ابن السني . الورْطة : الهلاك .

وصلى الله وسلم و بارك على سيدنا محمد وآله وصحبه

محمد أديب كلكل

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم طبع هذا الكتاب بتاريخ ١٩٩٤/٦/١م
عدد النسخ (١٠٠٠)

صون الإيمان

من عثرات اللسان

الكلمة لها أثرها الفعّال في سلوك الأفراد والجماعات ، واللسان هو المظهر لتلك الآثار المترتبة على الكلمات ، فهو المعبّر عن مستودعات الضمائر ، والمخبر بمكنونات السرائر .

وكتاب **(صون الإيمان من عثرات اللسان)**

يعرض نموذجين من عثرات اللسان :

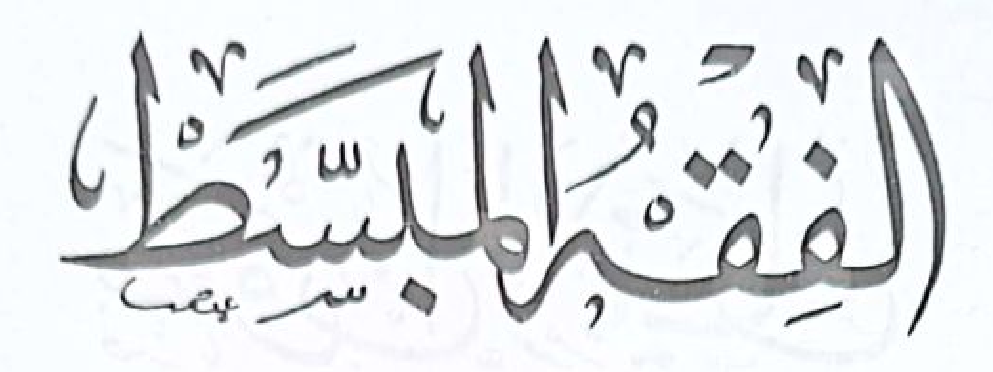
أ ـ عثرات تضعف الإيمان وتبدد نوره .

ب ـ وعثرات تطفئ شعلته وتزلزل بنيانه .

والمؤمن من وضع نصب عينيه الحكمة القائلة :

« سلامة الإنسان في حفظ اللسان »

يطلب من المكتبة العربية ـ حماه ـ سورية .


الفقه المبسط

حقيقة الذكر

هذا الكتاب

- ان العلاج الروحي الذي أعده الإسلام لصفاء الأرواح وإشراقها وتخليصها من طغيان المادة وأوضارها ، وبعث الذكرى في النفوس وقطع مادة الغفلة عن الله هو ذكر الله تبارك وتعالى ، فهو خير علاج للنفس من أدوائها ، وأعظم وسيلة للقرب من الله جل وعلا .

- فهو عماد الحياة الروحية ، والمقصود الأعظم من تشريع العبادات وخاصة الصلاة قال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ .

- والذكر نوعان :

أ - ذكر مشروع وهو ما وافق الكتاب والسنة وأقوال العلماء الصادقين المخلصين وهو الذكر النافع المرضي .

ب - وذكر محرف قد قامت فيه البدعة وقعدت ، وانتصرت فيه الأهواء ، والعصبية للأشخاص ، واختلت فيه الموازين .

- وهذا الكتاب يشرح لك يا أخي ذلك كله مدعماً بالأدلة الناصعة ، والنقول الصحيحة ، فاحرص عليه فإنه السبيل السليم والمهيع القويم .